

مكتبة مكتبة الإسكندرية

1954

مكتبة نوبل

ارنست همنغواي

الولاية المتزايدة



دار الكتب

ترجمة : علي القاسمي

ولیمہ متینفہ



برعاية السيدة  
سوزا قمارك

المشرف العام  
د. ناصر الأنصاري

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

المجلس القومي للشباب

وزارة التنمية الاقتصادية

تصميم الغلاف  
د. مدحت متولي

التنفيذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

# ولیم متقی

روایۃ

ارنست ہمنجواہی

ترجمہ  
دکتر علی القاسمی



## وليمة متنقلة

لوحة الفلاف من أعمال الفنان : مصطفى عيد الوهاب

همنجواى ، أرست، ١٨٩٩ - ١٩٦١ .

وليمة متنقلة : رواية/ أرست همنجواى .

القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٩ .

٢٦٠ ص ؛ ٢٤سم.

تدمك: ٣ - ١٣٨ - ٤٢١ - ٩٧٧ - ٩٧٨ .

١ - القصص الإنجليزية .

١ - العنوان .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٣٧٢ / ٢٠٠٩

I.S.B.N 978-977-421-138-3

ديوى ٨٢٢

## توطئة

انطلقت فعاليات الحملة القومية للقراءة للجميع فى دورتها التاسعة عشرة هذا العام تحت شعار «مصر السلام». هذا الشعار الذى ظلت السيدة الفاضلة سوزان مبارك تطرحه منذ بداية تنفيذ حلمها ليصير الكتاب زادًا متاحًا للجميع، وتصبح القراءة عادة لدى الأجيال الجديدة. لقد ظلت الدعوة للسلام تحلق فى فلك دورات المهرجان السابقة. فهى جزء من تاريخ مصر العريقة، التى بدأت الحضارة على أرضها، منذ وقع رمسيس الثانى أول معاهدة سلام. لم يكن هناك حينئذ من يضاهيه تقدمًا أو قوة، ولكنه كان يُعلم العالم أن من شيم الأقوياء التوق إلى السلام.

لقد جرت فى النهر مياه كثيرة منذ حازت السيدة الفاضلة سوزان مبارك جائزة التسامح الدولى لعام ١٩٨٨ من الأكاديمية الأوروبية للعلوم والفنون التى جاء فى تقريرها «إن الأكاديمية منحت الجائزة للسيدة سوزان مبارك عرفانًا بدورها الكبير فى إذكاء روح التسامح وطنيًا وإقليميًا وعالميًا، وتقديرًا لجهودها الجادة»، وأصبحت القراءة للجميع من أهم المشروعات الثقافية

العمللاقة فى العالم العربى، وتم اتخاذه نموذجاً يحتذى به فى بلاد أخرى.

ومازالت مكتبة الأسرة، كرافد رئيسى من روافد القراءة للجميع، تقوم بدورها فى إعادة الروح إلى الكتاب كمصدر مهم وخالد للمعرفة فى زمن تزحف فيه مصادر الميديا المختلفة. فالكتاب هو الجسر الراسخ الذى يربط ذاكرة الأمة وتاريخها وإنجازاتها بأبنائها، وهو الفضاء الساحر الذى يلتقى به المثقفون والمفكرون والمبدعون بالأجيال المختلفة.

وتواصل مكتبة الأسرة هذا العام نشر أمهات الكتب، وستستكمل نشر تراث الأمة الإبداعى، وستعمل على ربط الكتاب بمصادر المعرفة الحديثة كالإنترنت، وعلى التوسع فى إصدار كتب الفنون المختلفة كالمرسح والموسيقى إيماناً منها برسالة الفنون الرفيعة لتنمية وتطوير وتهذيب روح المجتمع، وحمايته من ضروب التعصب والكراهية والعنف الدخيلة عليه.

وتصدر مكتبة الأسرة هذا العام من خلال سلاسلها المختلفة.. الأدب والفكر العلوم الاجتماعية والعلوم والتكنولوجيا والفنون والمثويات والتراث وسلسلة الطفل، وستشكل هذه السلاسل بانوراما معرفية وتاريخية وعلمية وإبداعية وفكرية، وتمثل مرآة لاجتهادات الفلاسفة والشعراء والعلماء والمفكرين عبر قرون لتحقيق السلام للبشرية من خلال حلمهم الدائم بتحقيق الخير والعدل والجمال.

مكتبة الأسرة

---

## قائمة المحتويات

١. مقدمة المترجم: خفايا الترجمة وفخاها: متى يرندى  
همنجواى الكوفية والعقال؟ ٩
٢. ملاحظة ٢٩
٣. مقدمة المؤلف ٣١
٤. وليمة متقلّة ٣٣
٥. مسرد بالأعلام اللاتينية ومقابلاتها العربية ٢٣٩





## مقدمة المترجم خفايا الترجمة وفخاها:

متى يرتدي همنجواي الكوفية والعقال؟

بقلم: الدكتور علي القاسمي

### همنجواي كاتب الطلاب المفضل:

كنت طالباً في الجامعة الأمريكية في بيروت عندما أهدى إليّ أحد الأصدقاء هو الكاتب الأمريكي جون مكلنك فريزير، الذي كان يشاركني إعداد كتاب باللغة الإنجليزية عن القصة الحديثة في العراق — أهدى إليّ كتاباً من أعمال إرنست همنجواي عنوانه (الوليمة المتنقلة) كان قد صدر في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٣ بعد وفاة مؤلفه منتحراً عام ١٩٦١.

وكنت قد قرأت عدداً من مؤلفات همنجواي الأخرى منها مجموعة قصصه القصيرة، وروايته (وما تزال الشمس تشرق)، وروايته (لن تُقرع الأجراس؟)، وقصته الطويلة (ثلوج كليمنجارو)، وقصته الطويلة (الشيخ والبحر) التي نال علي إثرها جائزة نوبل للآداب عام ١٩٥٤. كما كنت قد قرأت كتاباً عن حياته بعنوان (بابا همنجواي) للصحفي الأمريكي هتشنر الذي حرص على رفقة خلال السنوات العشر الأخيرة من حياته كان يحتفظ خلالها بسجل مفصل عن تنقلات همنجواي وعلاقاته

وأنشطته المختلفة . وكنت أعتبر همنجواي ، آنذاك ، كاتب المفضل باللغة الإنجليزية، بل يمكنني القول إن همنجواي هو كاتب الطلاب المفضل لسهولة لغته، وسلاسة أسلوبه، وللتشويق الناتج من موضوعاته الرومانسية، وروح المغامرة التي تتجلى في قصصه. ولا يضارعه في سهولة لغته من الكتاب الفرنسيين من مجاليه إلا مارسل بانويل.

### باريس وليمة متنقلة:

قرأت كتاب ( الوليمة المتنقلة) فأعجبني أيما إعجاب، لأنه كان يتحدث عن مدينة باريس التي عاش فيها في أوائل العشرينات من القرن العشرين، من سنة ١٩٢١-١٩٢٦، وهي سنوات تقع في تلك الفترة التي يسميها الفرنسيون بالحقبة الجميلة La belle époque أو بسنوات الجنون Les années folles . كما يتحدث عن الأدباء والفنانين الذين كانوا يعيشون في باريس في تلك الأيام والذين ربطته معهم صلات مودة و صداقة، خاصة أولئك الذين قدموا من بريطانيا وأمريكا واتخذوا باريس مربعا لمزاولة أدبهم وفنهم. وفي مقدمة أولئك الأدباء الشاعر الأمريكي عزرا باوند والشاعر الأمريكي البريطاني تي. أس. إليوت، والروائي البريطاني جيمس جويس، والكاتبة الأمريكية غيرتريدود شتاين، والروائي الأمريكي سكوت فترزجيرالد، وغيرهم.

وفي ميسور القارئ الكريم أن يتصور المتعة التي تتيحها قراءة هذا الكتاب، الذي يرسم، بريشة أديب كبير، شخصيات

أولئك الأدباء الكبار ويفضح بعض أسرارهم. وكان همنجواي قد سجل ذكرياته تلك في السنوات الثلاث الأخيرة من حياته، بعد أن اكتملت أنواته الفنية والفكرية، وتعامل مع شخصياته وموضوعاته بأسلوب روائي ساخر أخاذ. أضف إلى ذلك أن هذا الكتاب يشكل جنساً أدبياً جديداً يختلف عن الأجناس الأدبية التي مارسها همنجواي من قصة ومقالة ورواية. فالكتاب عبارة عن ذكريات سيرة ذاتية صيغت بشكل روائي.

وتبادر إلى ذهني آنذاك ضرورة ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية لأتقاسم المنفعة مع قرائها، ولأوفر للمكتبة العربية معلومات دسمة عن أولئك المشاهير من الأدباء والفنانين، لا يجدها الباحثون عادة في المراجع المختصة بالأعلام والسير والتراجم.

### صعوبات الترجمة:

ولكنني عندما أعملت الفكر في الأمر، تبين لي أنني لم أكن قادراً على ترجمة الكتاب يومذاك على الرغم من سهولة لغة همنجواي وبساطته تراكيبيها؛ لأن الترجمة عملية إبحار من مرفأ إلى آخر عبر بحر للتواصل الإنساني في رحلة محفوفة بالمخاطر. فلا يكفي معرفة المرفأين وامتلاك باخرة، للوصول إلى الشاطئ الآخر. فقد تعترض البحار أمواج عاتية أو عواصف هوجاء أو أمطار طوفانية. وإذ ذلك لا بد له من معرفة معمقة بأصول الملاحة البحرية، وخبرة بخفايا البحر الذي يقطعه، ودراية بالأنواء الجوية أيام السفر.

والترجمة ليست مجرد توليد المقابلات المعجمية لمفردات النص الأصلي. وإنما هي نقلة تجري في إطار عملية التواصل. بيد أنها أكثر تعقيدا من تواصل بين ناطقين بلغة واحدة. فالمترجم يجتاز حدود لغتين عبر رموز لغوية، وأخرى ثقافية اجتماعية، وثالثة أسلوبية أدبية. فلا يكفي نقل النص مجردا من حملاته الثقافية وعاريا من كسوته الأسلوبية المتميزة. وإنما يتحتم على المترجم أن يوقع النص في سياقه الثقافي ومقامه الاجتماعي، وأن يصوغه بأسلوب يتناسب مع أسلوب الكاتب الأصلي. وإذا فشل المترجم في واحد من هذه الميادين الثلاثة فإنه يخل بأمانة النقل التي تعدّ عماد الترجمة الناجحة.

### خيانة المترجمين:

كنت أخشى أن أشارك في ما يسميه الإيطاليون بخيانة الترجمة، أو أن تنطبق عليّ مقولة الأديب الإسباني الأستاذ جوليو- سيزار سانتوبو ، الأستاذ بجامعة ليون بإسبانيا، الذي أعرب عن دهشته لعدم زج كثير من المترجمين في السجون والمعتقلات لأن ترجماتهم مليئة بجرائم الكذب والتزوير وإخفاء الحقيقة وغير ذلك من الجرائم التي يعاقب عليها القانون. فالترجمة لا تتطلب الكفاية اللغوية، أي التمكن من اللغتين المنقول منها والمنقول إليها، فحسب، وإنما تتطلب كذلك الكفاية الأدبية والكفاية الثقافية- الاجتماعية. وتتمثل الكفاية الأدبية في قدرة المترجم على معرفة الأساليب الأدبية التي ثوّن فيها النص الأصلي وتمكنه من

مضامياتها في اللغة الهدف. أما الكفاية الثقافية-الاجتماعية فتعني إلمام المترجم بالسياق الاجتماعي والثقافي للخطاب وظروف إرساله وتلقيه. ولا يمكن عزل لغة النص عن الأسلوب الذي صيغت فيه والموضوع الذي تناوله.

### مثبطات الترجمة

#### جهل الموضوع:

وقد صرفت النظر عن ترجمة (الوليمة المتنقلة) للأسباب الآتية:

أولاً، يتحدّث همنجواي عن مدينة باريس التي أمضى فيها أزهى سنوات شبابه بعشق وهيام كما لو كانت امرأة جميلة أغرم بمفاتيحها وحفظ عن ظهر قلب خريطة جسدها وتضاريسه. فهو يتحدّث بشغف عن أحياء باريس ومعالمها وساحاتها وشوارعها ومطاعمها ومقاهيها. كان يخرج من شقته الكائنة في شارع الكاردينال لوموان في الحيّ اللاتيني، فيتمشّي على رصيف نهر السين، ويتصفح الكتب المعروضة في أكشاك باعة الكتب القديمة المنتشرة على الرصيف، ثم يخترق الحيّ ليصل إلى مقهى المفضل الواقع في ميدان سان ميشيل، ويجلس في المقهى، ويخرج من جيبه دفترًا وقلمًا، ويشرع في كتابة أفانيسه. وعندما كان يعود وقت الظهر إلى شقته لتناول طعام الغداء مع زوجته الشابة الجميلة هادلي كان يعرج على مكتبة شكسبير الواقعة في ساحة الأوديون آنذاك، وكان في أثناء سرده لذكرياته:

يسمى الشوارع والساحات بأسمائها، ويصف المطاعم والمخازن وما تعرضه من أطعمة ومأكولات في واجهاتها.

وشعرت آنذاك أنه ليس بميسوري أن أترجم بأمانة وإحساس صادق نصاً أدبياً يصف مدينة لم أزرها من قبل، ولم تربطني بها وشيجة محبة كما هو حال المؤلف. كنت أخاف أن أتيه، وأنا أترجم الكتاب، في زقاق من أزقتها حتى لو استعنت بخريطة مفصلة لتلك المدينة.

ثانياً، كان همنجواي رجلاً يحب الحياة حتى الموت. كان يريد أن يحيا بجميع مشاعره وأحاسيسه وعواطفه وانفعالاته، في الواقع والخيال، في الممكن والمستحيل، فكان يتوخى تجريب الحب والكراهة، والفرح والتروح، والرضا والغضب، والأمل واليأس، والطمأنينة والخوف، وجميع الانفعالات الإنسانية مهما كانت هوبتها، ومهما كان لونها: أحمر قانياً بلون الدم المراق، أم وردياً فاتحاً بلون الزهر في الربيع. ولهذا فقد تقم إلى مركز التجنيد للتطوع في الحرب العالمية الأولى ولما يبلغ الثامنة عشرة من العمر، وعندما رفض بسبب باطن قدمه المسطح، ألح كثيراً على المسؤولين حتى قبلوه سائق سياراة إسعاف وأرسلوه إلى الجبهة الإيطالية، وجرح هناك جرحاً بليغاً، وتبلورت خبرته تلك في روايته (وما تزال الشمس تشرق). وعندما اندلعت الحرب الأهلية الإسبانية تطوع فيها مراسلاً صحفياً مناصراً للجمهوريين وخاض غمارها في كل الجبهات ما مكّنه من كتابة روايته (لن

تُقرع الأجراس؟). ومارس اصطبياد الأسود في أفريقيا وكتب عنها رائعته (ثلوج كليمنجارو).

وفي باريس، كان همنجواي مولعاً بالرهان على سباقات الخيل في حلبات الجري والقفز، ومفتوناً بالألعاب الدراجات النارية والهوائية. وكان يذهب بصورة منتظمة إلى النمسا وسويسرا للتزلج على الجليد في الجبال الشاهقة ويغامر في التزلج تحت جبال جليدية على وشك الانهيار. ولم يكتفِ بالقمار في ميادين سباق الخيل بل كان يقامر في لعب الورق وجيبه خاو أحياناً. وكان همنجواي يمارس الملاكمة وقام بتعليم الشاعر عزرا باوند هذه الرياضة الخطرة.

أما أنا فلم تكن لي خبرة في الحياة وكانت تجاربي فيها محدودة وليست هوايات همنجواي من هواياتي. وكنت أتساءل هل كان باستطاعتي أن أترجم نصاً لا خبرة لي في أحداثه ولا أشارك مؤلفه أحاسيسه وانفعالاته حول موضوعه؟ إضافة إلى أن همنجواي كان يستعمل في حديثه عن هواياته تلك بعض المصطلحات التقنية أحياناً، وهي مصطلحات مفهومة لدى من يزاول القمار أو الرهان على الخيل أو سباقات الدراجات أو التزلج أو الملاكمة، مثلاً، ولكنها تشكل صعوبة، يستمولوجية أكثر منها لغوية، لمن لا يلم بتلك الهوايات. وإذا لم تتسلل ذاتية المترجم إلى عمله، فقدت ترجمته الدفء والحياة.



### صعوبة السهل الممتنع من الأساليب:

ثالثاً، على الرغم من أن لغة همنجواي العامة في منتهى السهولة وأن تراكيبه النحوية في غاية البساطة، فإن أسلوبه يضع عقبات متعددة في طريق من يريد أن يترجمه إلى العربية. وتتعاظم هذه الصعوبات في جبهتين على الأقل:

الأولى، يعدّ نقاد الأدب الإنجليزي همنجواي معلّمة في تاريخ الكتابة باللغة الإنجليزية، لأنه انتقل بها من مرحلة للتعبير المنمق الرفيع إلى التعبير البسيط المتواضع. لقد تخول همنجواي بالقصة من كلام الأدباء إلى كلام الناس البسطاء، ولم يتردّد في استعمال تعبيراتهم العامية أحياناً. المهم عنده أن تكون جُمْلُهُ جُمْلًا حَقِيقِيَّةً تقوّه بها أو سمع أحدهم ينطقها. وفي هذا يقول همنجواي في الفصل الثاني من كتاب *الوليمة المتنقلة*:

"ولكن يحدث أحياناً أن أشرع في كتابة قصة ما ولا أتمكن من التقدّم فيها، فكنّت أجلس أمام النار وأعصر قشور البرتقالات الصغيرة على أطراف اللهب وأشاهد الرذاذ الأزرق الذي تخلفه. وأنهض وأحتقّ في سطوح باريس وأقول لنفسي: "لا تقلق، لقد كنّت تكتب يوماً من قبل وستكتب الآن. كل ما عليك أن تفعله هو أن تكتب جملة حقيقيّة واحدة. أكتب أصدق جملة تعرفها." وهكذا أتمكن أخيراً من كتابة جملة حقيقيّة واحدة، ثم أواصل من هناك. لقد كان ذلك أمراً ميسوراً، لأن هنالك دائماً جملة حقيقيّة أعرفها أو رأيتها أو سمعت شخصاً ما يقولها. وإذا بدأت الكتابة بتكلف أو كمن يمهّد لتقديم شيء ما، شعرت بأن عليّ أن أحذف المحسنات

والمقدمات والإلتواءات اللفظية، وأرمي بها بعيداً لأبدأ بأول جملة خبرية حقيقية بسيطة كتبها. "

إذن لا تشكل نصوص همنجواي العامة صعوبة تذكر للمترجم على مستوى الفهم لأن مفرداتها بسيطة شائعة وبنياتها النحوية سهلة بعيدة عن التعقيد. ومع ذلك يظل همنجواي عصياً على الترجمة على الرغم من سهولته الظاهرية وإغرائه الشديد. فصعوبته تكمن في سهله الممتنع. وبساطته البادية للعيان هي ذاتها التي تسبب للمترجم صعوبة على مستوى التعبير. هل يستطيع المترجم العربي الذي فهم العبارة أو الفقرة أن يصوغها بنفس البساطة باللغة العربية، لفظياً ونحويّاً كما تقتضي أمانة الترجمة، خاصة أن العربية تعرف ازدواجية بين اللغة العامية التي يتحدثها الناس، واللغة الفصيحة التي يستعملها الأدباء؟

فالمترجم العربي، مثلاً، يقف حائراً عندما يستخدم همنجواي كلمة واحدة عدة مرات في الفقرة الواحدة بل في الجملة الواحدة، كأن يقول: " كان المطعم جيداً والطعام جيداً والشراب جيداً وكانت شهيتنا جيدة. " لأنه لا يعبأ بتنويع المترادفات التي تثري النصّ وتغنيه لفظياً، وإنما يهتم بالأثر الذي يتركه النصّ في نفس القارئ. بيد أن المرء يتساءل ما إذا كانت البلاغة العربية وأساليبها الفصيحة تتقبل ذلك.

وهنا يثار سؤال مشروع هو: ماذا إذا حسن المترجم أسلوب النص في اللغة المنقول إليها وجعله أكثر تقبلاً من قبل قرائها وأكثر انسجاماً مع ذائقتهم الفنية؟ هل يتهم المترجم آنذاك بخيانة

الكاتب الأصلي ومقاصده. ومن الأمثلة الشهيرة التي تضرب في هذا المجال اضطلاع الشاعر الفرنسي الرومانسي بودلير بترجمة قصص الكاتب الأمريكي إدغار ألن بو. فنحن نعرف أن إدغار ألن بو يعدّ من رواد القصة القصيرة في العالم كما يعتبر أبنا القصة البوليسية. ولكن الذي قد لا نعرفه هو أن الأمريكيين أنفسهم لا يُقبلون على قراءة أعماله لأنهم لا يستسيغون أسلوبه المعقد المرتبك كعقله. ولهذا فإن أعماله تتمتع بشهرة أكبر وإقبال أوسع عليها في فرنسا بفضل ترجمة بودلير الذي صاغها بأسلوب شاعري سلس محبّب.

### تقنية جبل الجليد القصصية:

والثانية، يُعدّ همنجواي صاحب تقنية خاصة في كتابة القصة القصيرة والرواية تُلخص في أن الكاتب لا يزود القارئ بالمعلومات المطلوبة مباشرة، وإنما بدعه يكشف تلك المعلومات بنفسه ويستتبط كثيرها الغائب من قليلها الحاضر، أي أن يقرأ ما بين السطور وما وراء الفواصل والنقط. ويُطلق على تلك التقنية اسم جبل الجليد. فأنت ترى جزءاً من جبل الجليد بارزاً فوق سطح الماء في المحيط، وقياساً عليه تستطيع أن تقدر حجم وصلادة الجزء المغمور منه تحت سطح الماء، وهو عادة أكبر وأصلد.

فعندما يريد همنجواي أن يتهم أحد شخصيات كتابه *الوليمة المتنقلة* — ولنقل سكوت فترجيرالد — بالكذب أو عدم الدقة في

الكلام، فإنه لا يقول ذلك مباشرة وإنما يسوق حواراً بريئاً — على ما يبدو — بينه وبين فتزجيرالد يستشف منه القارئ أن فتزجيرالد قد أخطأ أو كذب. وعندما يبتغي همنجواي أن ينسوه بالإمامة بالأمور الطبية لأن والده كان طبيباً ولأنه هو نفسه كثيراً ما كان يطالع المجالات الطبية المتخصصة، فإنه لا يصرح بذلك مباشرة وإنما يسرد أحداثاً يستتبط منها القارئ أن لهمنجواي ثقافة طبية جيدة.

فهمنجواي الروائي لا يطرح أسئلة مباشرة ولا يسرد جميع الأحداث، وإنما يستخدم التلميح بدلاً من التصريح، والتضمين بدلاً من التقنين. إنه يلجأ إلى تقنية "جبل الجليد" ليتيح للقارئ متعة الاكتشاف والمشاركة في العمل الإبداعي. يقول همنجواي إنه عندما التقى الروائي الأمريكي سكوت فتزجيرالد، صاحب رواية (غاتسبي العظيم)، التي يعدّها بعض النقاد أروع الروايات التي كتبت باللغة الإنجليزية في القرن العشرين، تحدث سكوت فتزجيرالد عن الأدب كما لو كان يلقي خطاباً. ويضيف:

"ولكن أعقبت الخطاب حصّة الأسئلة. وفهمت منها أن سكوت يعتقد أن بوسع الروائي أن يعثر على ضالته بتوجيه الأسئلة المباشرة إلى أصدقائه ومعارفه. ولهذا كان التحقيق مباشراً..."

فهمنجواي يستخدم التلميح بدلاً من التصريح، ويستعمل الإيحاء عوضاً عن التوضيح. وفي هذا يقول الشيخ أمين الخولي في تعليق له على قصة قصيرة مترجمة لهمنجواي:

" ليست القصة القصيرة ديباجة مرصعة، ولا ألفاظاً منمقة، ولا أحداثاً لافتة، ولا حركة عنيفة، ولا هي عقدة دقيقة، ولا حبكة متينة، بل هي همسة، أو لمسة، أو خفقة، أو مسقط ظل، أو شعاع ضوء، أو فتنة لون، أو ما إلى ذلك من إحياء الفن... ومن هنا لا تكون كما يبدو عملاً هيناً."

ويمكن خطر ترجمة همنجواي في أن المترجم قد يستخدم من غير قصد، مفردات وصيغاً تصرّح بالمضمون وتكشف عن مرامي همنجواي بصورة مباشرة في حين أن قصد المؤلف هو أن يترك مهمة الاكتشاف للقارئ لا للمترجم. ويذكرني هذا الوضع بالترجمة العربية لرواية (الغريب) لألبير كامي. ففي النص الفرنسي كانت جميع الأفعال التي أدت إلى مقتل العربي الجزائري أفعالاً انعكاسية أو أفعالاً بصيغة المبني للمجهول، بحيث تُعطي الانطباع للقارئ بأن القاتل كان مسلوب الإرادة ولم يقصد قتل الشاب الجزائري ولا يعرف لماذا قتله، وفي ذلك إشارة إلى فلسفة المؤلف في عبثية الوجود ولا معقولية تصرفات الإنسان المسير لا المخير، في حين أن المترجم العربي وضع جميع تلك الأفعال بصيغة المبني للمعلوم وهي الصيغة الأكثر شيوعاً والأيسر استعمالاً باللغة العربية. وهكذا أفسد المترجم مقاصد المؤلف. ولنضرب مثلاً في هاتين الجملتين:

(١) امتدّت يده إلى المسدس، فانطلقت منه رصاصة.

(٢) مدّ يده إلى المسدس، وأطلق منه رصاصة.

يتحدث همنجواي في كتاب (الوليمة المتقلّبة) عن باريس في العشرينات من القرن العشرين وعن الأدباء الذين التقى بهم هناك وربطته معهم صداقة ومودة. ولكنه، في حقيقة الأمر وبصورة غير مباشرة، يتحدث عن نفسه من خلالهم ومن خلال باريس. فنحن نرى أحياء باريس التي ارتادها، وشققها التي سكنها، ومطاعمها التي أكل فيها، ومقاهيها التي كتب قصصه على طاولاتها، وحلبات سباق الخيول التي قامر فيها، وهكذا. ونحن نتعرف كذلك على الأدباء البريطانيين والأمريكيين من خلال المحادثات التي تجري بينه وبينهم.

يمكننا أن نعدّ هذا الكتاب من كتب السيرة الذاتية ولكنه ذوّن بطريقة مبتكرة وأسلوب روائي يختلف عن أساليب الكتب التي سبقته من هذا الصنف الأدبي.

### صعوبة ترجمة السخرية والتهكم:

ثالثاً، لقد كتب همنجواي عدداً من فصول كتابه هذا (الوليمة المتقلّبة) بأسلوب ساخر. ونحن نعرف أن الفكاهة أصعب أجناس الكلام، وإن السخرية هي النوع الأصعب من أنواع هذا الجنس. فهي تتطلب قبل كل شيء تمكناً من الموضوع، وروحاً مرحة، وعينين ترتديان نظارتين تحيلان الذوات والأجسام إلى أشكاز كاريكاتورية، وتبحراً في اللغة وثروتها اللفظية بحيث يختار الكاتب تلك المفردات والأوزان الصرفية التي تتوفّر، بالإضافة إلى معناها المركزي، على معنى هامشي مضحك.

فلو نظرنا إلى العبارات التالية: تفصح في كلامه، تعمق في كلامه، تفنن في كلامه، تفقر في كلامه، تنطع في كلامه؛ نجد أنه على الرغم من أنها جميعاً شبه مترادفات وأن الفعل فيها التزم بصيغة واحدة هي (تفعل) فإن العبارتين الأخيرتين هما أقرب إلى السخرية من ذلك المتكلم. وتستمدان تلك السخرية من صيغة الفعل، ومن معناه المركزي، ومن معناه الهامشي الذي اكتسبه بالاستعمال في مثل هذا المقام.

ولكن السخرية في هاتين العبارتين سخرية مباشرة أشبه ما تكون بالفكاهة الناتجة من انزلاق أحدهم على قشرة بنان الموز وتكرسه أرساً. أما السخرية التي استخدمها همنجواي في كتابه (الوليمة المتنقلة) فكانت أعمق وأبعد مرمى وتتأني من قراءة نص كامل وليس من كلمة أو عبارة.

ومن الأمثلة على ذلك سخريته المرة من صديقه الكاتب سكوت فتزجيرالد ، الذي أرجح أن همنجواي كان يغار منه أو يحسده بسبب تألقه روائياً ولأنه كان غنياً في حين كان همنجواي يومذاك يقاسي الفاقة والعوز. وكان فتزجيرالد آنذاك متزوجاً بالاشابة الحسناء زبلدة، وكان مغرماً بها جداً على الرغم من تفننها في تعذيبه ، ولم يعلم أحد آنذاك أنها في طريق الجنون التي ستقودها إلى مستشفى الأمراض العقلية. وذات يوم دعا فتزجيرالد صديقه همنجواي لتناول طعام الغداء في مطعم فاخر ليتشاور معه في أمر خطير. فلبى همنجواي الدعوة مسروراً، حباً في الطعام أساساً. وبعد أن تناولوا ما لذ من طعام وشراب، أخذ فتزجيرالد

يمهد للموضوع بأحاديث متنوعة. وعندما أخذنا في تناول الحلوى  
فتح فتزجيرالد الموضوع وجرى الحوار التالي، كما صاغه  
همنجواي:

"وأخيرا وفيما كنا نأكل كعكة الكرز ونشرب آخر غرافة  
نبيذ، قال لي:

— أنت تعلم أنني لم أضاجع امرأة أخرى سوى زيلدة.

— لا، لا أعرف ذلك.

— ظننتُ أنني أخبرتك بذلك.

— لا، لقد أخبرتني بأشياء كثيرة، ولكن ليس ذلك.

— هذا ما يتعين عليّ أن أسألك عنه.

— طيب، استمر.

— تقول زيلدة إن تكويني البدني لا يساعدني أبدا على إسعاد

أية امرأة، وهذا الذي يكثرها في الأساس. وتقول إنها مسألة

مقاييس. ولم استعد مشاعري الطبيعية منذ أن أخبرتني بذلك.

ويجب أن أعرف الحقيقة.

قلتُ له: تعال معي إلى المكتب؟

— أين المكتب؟

قلتُ: في المرحاض.

ورجعنا وجلسنا إلى الطاولة، وقلتُ له:

— إنك طبيعي تماما. أنت على ما يرام وليس من عيب فيك.

انظر إلى نفسك من الأعلى وستبدو قصيرا. اذهب إلى متحف



الوفور وألقى نظرة على تماثيل الرجال ثم اذهب إلى منزلك وانظر إلى نفسك في المرآة.

— قد لا تكون تلك التماثيل مضبوطة.

— بلى، إنها جيدة. ومعظم الناس تتفق عليها..."

ويخرج القارئ من هذا الحوار بانطباع مفاده أن سكوت فترزجيرالد كان أقرب إلى أبله أو مغفل وليس بذلك الروائي العبقرى الذي كانت شركات هوليوود الأمريكية تتهاقت على تحويل رواياته إلى أشرطة سينمائية رائعة.

ويستطيع همنجواى أن يسترسل صفحة بعد صفحة بسخرية وتهكم مضحكين وفي الوقت نفسه يصنع فكراً وفناً وتاريخاً. وقد لا يوفق المترجم في استخدام المفردات والتراكيب المناسبة للأسلوب الساخر والقادرة على إثارة الضحك. ولجميع تلك الأسباب صرفت النظر عن ترجمة (الوليمة المتنقلة).

### نجاح الترجمة نسبي:

ثم ذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة. وتعمقت في دراسة أعمال الأدباء الذين تحدث عنهم همنجواى في كتابه الوليمة المتنقلة: عزرا باوند وتي أس إليوت وسكوت فترزجيرالد وغيرتيثيود شتاين وجيمس جويس وفورد مادوكس فورد ووندهام لويس وغيرهم. كما درست نظريات الترجمة والمعجمية. وبعد سنوات ذهبت إلى باريس لدراسة اللغة الفرنسية في السوربون.

واطلعت على الترجمة الفرنسية لكتاب (الوليمة المتنقلة) التي اختار لها المترجم الفرنسي (أو ربما الناشر) عنواناً يختلف قليلاً عن العنوان الأصلي ولكنه يتفق مع مضمون الكتاب، ومعنى العنوان الفرنسي (باريس عيد).

وفي باريس سكنت في شقة تقع في شارع كارنال لوموان الذي سكن فيه همنجواي، وكنت أتنزه على رصيف نهر السين الذي تحدث عنه همنجواي وأشتري الكتب من الأكشاك ذاتها، وارتاد المقاهي التي تطل على ساحة سان ميشيل التي كان يرتادها همنجواي. وقمت بزيارات منظمة لمعالم باريس ومتاحفها ومسارحها ومعارضها ودور أزيائها ومؤسساتها الثقافية، فتميت شغفاً خاصاً بباريس الثقافة والفن. وعاونني الحنين لترجمة كتاب همنجواي.

ومما ساعدني على اتخاذ قرارى بترجمة الكتاب تطوّر نظرتي لعملية الترجمة. فقد اقتنعت بأنه لا يشترط في المترجم أن يمارس فعلاً الخبرات التي مرّت بالمؤلف لتكون ترجمته صادقة، فالصدق صدقان صدق واقعي وصدق فني. وحتى المؤلف نفسه قد يتحدّث عن أمور من المتخيل وليس من الواقعي، فيصوّر أحداثاً لم تقع وتجارب لم يخبرها وأحاسيس لم تخالجه، ومع ذلك يحقق نجاحاً إذا توفرت له مخيلة مبدعة وتحلى بالصدق الفني. أما إدراك مفاهيم المصطلحات التقنية المتعلقة بهويات المؤلف كسباقات الخيول والدراجات النارية والتزلج والقمار، فبإمكان المترجم أن يرجع إلى المعاجم المختصة والموسوعات والكتب

المتخصصة في تلك الهوايات ليفهم لكيفية التي تجري بها ما يعينه على فهم أعمق للنصوص التي تدور حولها. وتطورَ مفهوم الأمانة في الترجمة لذيّ بحيث لم تعد المطابقة التامة بين النص الأصلي والنص المترجم، لأنه لا توجد مطلقاً مطابقة تامة بين أي لغتين من اللغات مهما كانت درجة القرابة بينهما ومهما بلغ التشابه بين بنيتيهما وأساالييهما. ولهذا فالترجمة الكاملة غير موجودة بنائاً، فكل ترجمة يشوبها القصور، ونجاح أي ترجمة هو نجاح نسبي. وطبعاً يتفاوت المترجمون في قدراتهم وخبراتهم فتتفاوت ترجماتهم من حيث النجاح. أما الأمانة في الترجمة فتعني أن المترجم لا يقفز على العبارات الصعبة فيترها ولا يضيف كلاماً لم يرد في النص الأصلي إلا ما يقتضيه التوضيح.

ومع ذلك، وقبل أن أشرع في ترجمة كتاب (الوليمة المتنقلة)، أمضيت أنا وابنتي عشاء عطلتنا ذلك الصيف في باريس وأقمنا في شقة في شارع الكارنال لوموان وأخذنا نتنزه في باريس متتبعين مسار همنجواي نفسه، ومسترشدين بكتابه بنسخته الإنجليزية والفرنسية، مارين بكل الأماكن والمقاهي والمطاعم التي كان يرتادها همنجواي والتي ما زالت تحتفظ بأسمائها. ولكننا عندما وصلنا إلى البناية رقم ١٢ في شارع الأوديون لم نجد مكتبة شركة شكسبير وهي مكتبة لبيع الكتب الإنجليزية وإعارتها أو مطالعتها فيها، وكان همنجواي يستعير الكتب منها كما كان يقترض بعض النقود من صاحبها الحساء سلفيا بيتش عندما يتأخر وصول حقوق التأليف إليه. وقيل لنا أن المكتبة تلك قد

---

أُغلقت وأن شركة أخرى قد أنشئت في الحي اللاتيني على رصيف  
السين واتخذت الاسم نفسه تكريماً للشركة الأولى، فذهبنا إلى هناك  
للاطلاع على الطباعات المختلفة لكتاب *(الوليمة المتنقلة)*. (\*)

---

(\*) الأسماء التي توضع عليها هذه العلامة (\*) توجد كتابتها بالحروف  
اللاتينية في آخر الكتاب. (المترجم)



## ملاحظة

بدأ إرنست همنجواي في تأليف هذا الكتاب في كوبا في خريف سنة ١٩٥٧، وواصل العمل فيه ببلدة كيتشوم في ولاية إداهو الأمريكية من شتاء ١٩٥٨ إلى سنة ١٩٥٩، وأخذه معه إلى إسبانيا عندما ذهب إلى هناك في أبريل عام ١٩٥٩، وأعادته معه إلى كوبا ثم إلى كيتشوم في أواخر خريف ذلك العام. وأنهى الكتاب في ربيع سنة ١٩٦٠ في كوبا، بعد أن وضعه جانباً مدة من الزمن ليكتب كتاباً آخر بعنوان: "الصيف الخطير" يدور على المنافسة العنيفة بين أنطونيو أودونز ولويس ميجيل دومنجين في حلقات مصارعة الثيران في إسبانيا عام ١٩٥٩. وأجرى بعض التعديلات على كتاب "الوليمة المتنقلة" في خريف عام ١٩٦٠ في كيتشوم. ويتناول هذا الكتاب حياة همنجواي في باريس من سنة ١٩٢١ إلى سنة ١٩٢٦

م. هـ .



## مقدمة المؤلف

لأسباب خاصة بالمؤلف، أغفل كثير من الأماكن، والأشخاص، والملاحظات، والانطباعات في هذا الكتاب. بعضها كان من الأسرار، وبعضها الآخر كان معروفاً للجميع، وكتب وسيكتب عنه كثيرون.

لم يُذكر في هذا الكتاب ملعب أنستاسي حيث كان الملاكمون يعملون نُدلاً كذلك، وحيث كانت الطاولات توضع تحت الأشجار، وحلقة الملاكمة في الحديقة. ولم يُذكر فيه التدريب مع لاري غينز، ولا جولات الملاكمة الرهيبة في سيرك الشتاء، ولا الأصدقاء الطيبون مثل شارلي سويني، وبيل بيرد، ومايك ستراتر؛ ولا أندري ماسن وميرو. ولم تذكر سفرائنا إلى الغابة السوداء، ولا نزھاتنا الاستكشافية للغابة القريبة من باريس التي استغرقت يوماً كاملاً والتي أحببناها كثيراً. كان من الممتع لو ضمَّ هذا الكتاب جميع تلك الذكريات، ولكن اضطررنا للتخلي عنها في الوقت الحاضر.



---

وللقارئ أن يعدّ هذا الكتاب من باب السرد الخيالي، إذا أراد  
ذلك. ولكن، ثمة احتمال دائم أن هذا الكتاب السردى قد يلقي  
ضوءاً كاشفاً على الحقيقة والواقع.

إرنست همنجواي

سان فرانسيسكو دي بلولا، كوبا ١٩٦٠

---

## وليمة متنقلة

إذا وإتاك الحظ بما فيه الكفاية لتعيش في باريس وأنت  
شباب، فإن ذكرها ستبقى معك أينما ذهبت طوال حياتك، لأن  
باريس وليمة متنقلة.

إرنست همنجواي

من رسالة إلى صديق عام ١٩٥٠



## مقهى جيد في ساحة سان ميشيل

صار الطقس رديئاً آنذاك. حدث التغيّر في يوم واحد فقط بعد انصرام فصل الخريف. وكان علينا أن نوصد النوافذ ليلاً في وجه المطر، وأخذت ريح صرصر تعرّي الأشجار من أوراقها في ساحة كونترإسكارب\*. وتبعثرت أوراق الأشجار المخلّصة بالمطر، وسافت الريح المطر صوب الحافلة الخضراء الجاثمة في المحطة، وغصّ مقهى الهواة\* برواده، وغطيت شيابيكه بالضباب نتيجة الحرارة والدخان في داخله. وهو مقهى كثيب سيئ السمعة كان يتجمع فيه سكّيرو الحي، وكنت أتحاشاه بسبب رائحة الأجساد القذرة ورائحة السكر الكريهة. ويظل الرجال والنساء الذين يرتادون مقهى الهواة مخمورين طوال الوقت، أو طوال الوقت الذي يستطيعون، وفي الغالب يخمر يشترونه باللتر أو نصف اللتر. وتضم قائمة مشروبات المقهى أسماء مشروبات غريبة غالية لا يتمكّن من شرائها إلا قليل من الناس ليجعلوا منها أساساً لمشروبات أخرى. وتدعى النساء المخمورات باللغة الفرنسية poivrottes.

كان مقهى الهواة بالوعة شارع موفتار\*، ذلك السوق الضيق المزدهم الرائع الذي يقود إلى ساحة كونترايسكارب. وكان لبنايات الشقق القديمة مراحيض، مرحاض واحد لكل طابق بجانب السلم الذي ينتهي بحافة مرتفعة على شكل حذاء عند مدخل الطابق لئلا ينزلق النزلاء. وكانت تلك المراحيض تصب في البالوعات التي تفرغ بضخ محتوياتها في عربات صهريج تجرها الخيول في الليل. وفي فصل الصيف، عندما تكون النوافذ مفتوحة، كنا نسمع الضخ وتتركز أنوفنا رائحة نفاذه. وكانت عربات الصهريج تلك مطلية بلون بني وزعفراني. وعندما كانت تلك العربات تمر في شارع الكاردنال لوموان\* تبدو أسطواناتها التي تجرها الخيول مثل لوحات الرسام براك\*. أما مقهى الهواة\* فلم يتول أحد تفرغها، وأمسى ملصقه المصفر، الذي يبين الشروط والعقوبات بحق السكر العلني، باطلاً ملغياً؛ لأن رواده مستقرون فيه دائماً وتفوح منهم رائحة كريهة.

فجأة حل كل حزن المدينة مع أول أمطار الشتاء الباردة، ولم نعد نرى سطوح البنايات العالية البيضاء عندما كنا نسير، ولم يبق سوى سواد الشوارع المبتل، وأبواب الحوانيت الصغيرة الموصدة، وحوانيت العشابين، والقرطاسية، والجرائد، ودكان قابلية — مسن الدرجة الثانية —، والفندق الذي لفظ فيه الشاعر فرلين\* أنفاسه الأخيرة والذي استأجرت فيه غرفة في الطابق العلوي لعملي.

كان علي أن أرتقي ستة أو ثمانية طوابق لبلوغ غرفتي في الطابق العلوي من الفندق، وكان الجو بارداً جداً، وكنت أعرف كم

يكلفني شراء حزمة من خشب الوقيد، وثلاث حزم من أصابع خشب الصنوبر القصيرة التي لا يزيد طولها على نصف قلم لتقبس النار من الوقيد، ثم حزمة من الخشب الصلب الطويل نصف الجاف اللازم لإشعال نار بمقدورها تدفئة الغرفة. ولهذا فقد سرتُ إلى الجانب الأقصى من الشارع لأصوّب نظري إلى السقف وأرى إذا كانت ثمة مداخن موقدة، وكيف يرتفع دخانها. لم يكن هناك دخان، وفكرت في برودة المدخنة في غرفتي، واحتمال عدم نفثها الدخان، وامتلاء الغرفة به، وضياح الخشب، وذهاب النقود معه؛ فواصلت سيري تحت المطر. وانحدرتُ ماراً بمدرسة هنري كواتريه الثانوية وكنيسة سان إتيان دو مون العتيقة، وساحة البانتيون\* التي كانت تعصف بها الريح العاتية، واتجهت إلى الجهة اليمنى اتقاء العاصفة، وأخيراً تحولتُ إلى الجانب المحجوب عن الريح من شارع سان ميشيل، وواصلت سيري ماراً بكلوني وشارع سان جرمان، حتى بلغت مقهى جيّداً أعرفه يقع على ميدان سان ميشيل.

كان مقهى لطيفاً، دافئاً ونظيفاً؛ وعلقت معطفي المطري القديم على المشجب ليجف، ووضعت قبعتي المبللة المهترئة على الرف فوق المصطبة، وطلبت قهوة بالحليب. جلبها النادل، وأخرجت دفترًا من جيب سترتي وقلمًا وشرعت بالكتابة. كنت أكتب قصة تجري أحداثها في ميشغان\*، ولما كان ذلك اليوم بارداً عاصفًا عنيفاً، فقد كان الطقس في القصة مماثلاً له. كنت قد شهدت نهاية فصل الخريف في طفولتي وفتوئي وشبابي، ولكن بإمكان المرء

أن يكتب بشكل أفضل في مكان دون غيره. وهذا ما يسمى بالازدراع — على ما أظن — فأنت تنقل نفسك من مكان إلى آخر، ويمكن أن يكون هذا الانتقال ضرورياً للناس كما هو الشأن بالنسبة للكائنات الحية الأخرى. كان الفتيان في القصة يشربون وهذا ما جعلني أشعر بالعطش أنا الآخر، فطلبت شراب الرّم سانت جيمس. فكان له مذاق رائع في ذلك البرد، وواصلت الكتابة، وداخلي إحساس لذيق وشعرت بشراب الرّم المارتييني يدفع جسمي كله وروحي.

دخلت فناء المقهى وجلست وحدها إلى طاولة قرب النافذة. كانت جميلة جداً ولها وجه عذب طري يتألق مثل قطعة نقد ضربت حديثاً، إذا كانوا يضربون النقود من بشرة ناعمة نضرها المطر؛ وكان شعرها أسود مثل جناح غراب، ومقصوفاً بشكل مائل حاد على خدها.

نظرت إليها فشوشتني وأثارتني كثيراً. وتمنيت لو أستطيع أن أضعها في القصة، أو في أي مكان آخر، ولكنها وضعت نفسها حيث يمكنها أن تراقب الشارع والمدخل، فعرفت أنها في انتظار شخص ما. ولهذا فقد واصلت الكتابة.

كانت القصة تكتب نفسها، وكنت أجد صعوبة في مجاراتها. فطلبت شراب رّم سان جيمس آخر، وأخذت أراقب الفتاة كلما رفعت رأسي، أو عندما كنت أبري القلم الذي كانت تتجمع رفاقاته الملتوية في الصحن تحت كأسه.

ثم عدت إلى الكتابة، وأوغلت بعيداً في القصة ونهت فيها. وصرت أكتبها وما عادت تكتب نفسها، ولم أرفع رأسي، ولم أعرف شيئاً عن الوقت، ولم أدرك أين كنت، ولم أطلب رَمَّ سان جيمس آخر. فقد مللت رَمَّ سان جيمس دون أن أفكر في ذلك. ثم انتهت القصة وشعرت بتعب شديد. قرأت الفقرة الأخيرة، ثم رفعت رأسي وجالت عيناى بحثاً عن الفتاة فلم تكن هناك. وقلبت في نفسي أمل أنها ذهبت مع رجل كريم. ولكنني شعرت بالحزن. أغلقت الدفتر على القصة ووضعت في جيبى الداخلي، وطلبت من النادل أن يجلب لي اثنتي عشرة محارة من المحارات البرتغالية ونصف غرافة من النبيذ الأبيض الموجود لديهم. فبعد كتابة كل قصة كنت أشعر بالجوع، ويدخلني إحساس بالحزن والسعادة في آن واحد، كما لو كنت قد مارست الجنس، وكنت متأكداً من أن تلك القصة جيدة جداً على الرغم من أنني لم أكن أعرف حقاً مدى جودتها حتى أقرأها مرة أخرى في اليوم التالي. وبعد أن أكلت المحارات المفعمّة بمذاق البحر القوي وبطعمها المعدنيّ الخفيف الذي أتى عليه النبيذ الأبيض البارد، وبعد أن شربت السائل البارد من كل محارة وأزلت أثره بمذاق النبيذ المنعش، زال عني الشعور بالجوع، وأخذت أحس بالسعادة، فرحت أخطط للغد.

الآن وقد حلّ الطقس الرديء، يمكننا أن نغادر باريس لفترة قصيرة إلى مكان يتحول فيه هذا المطر إلى ثلج يتساقط مخرقاً أشجار الصنوبر فيغطي الطرقات والتلال، وعلى ارتفاع نسمع



معه الجليد وهو يتكسر تحت وقع أقدامنا ونحن عائدون إلى المنزل ليلاً؛ فَتَحَتَ قَمَةً لَزَافَانْ\* يوجد فندق عائلي رائع في شاليه، وسنكون معاً برفقة كتبنا، وفي الليل سنتدفأ في الفراش معاً، والشبابيك مشرعة والنجوم لامعة. هذا هو المكان الذي يمكن أن نذهب إليه. والسفر في الدرجة الثانية بالقطار ليس غالياً. ولا تكلف الإقامة في الفندق العائلي إلا أكثر بقليل مما ننفقه في باريس.

سأُخْلِى عن الغرفة التي استأجرها في الفندق بباريس لمزاولة الكتابة، وسيبقى عليّ فقط كراء الشقة الواقعة في البناية رقم ٧٤ في شارع كاردينال لوموان\*، وهو كراء ضئيل. ولقد كتبت تحقيقات صحفية لتورنتو، والشبكات لقاء ذلك مستحقة الأداء. وأستطيع أن أكتب في أي ظرف آخر ولدينا من المال ما يكفي للقيام بالرحلة.

وقد أستطيع وأنا بعيد عن باريس أن أكتب عن باريس، كما استطعت في باريس أن أكتب عن مشيغان\*. ولم أدرك آنذاك أن الوقت مبكر للكتابة عن باريس؛ لأنني لم أكن أعرفها بما فيه الكفاية. ولكن ذلك ما حدث في نهاية المطاف. وعلى كل حال، سنذهب إذا أرادت زوجتي الذهاب، وأتيت على المحارات والنبذ، ودفعت الحساب في المقهى، وعدت إلى الشقة الواقعة في أعلى التل، سالكاً أقصر الطرق ماراً على مونتين سانت جيفيف\* تحت المطر الذي أصبح الآن مجرد طقس محلي وليس شيئاً يغيّر حياتك.

قالت زوجتي: « أعتقد أن ذلك سيكون رائعاً حقاً، يا ناتي. »  
وكان لها وجه لطيف، وتزداد عيناها وابتناسمتها بريقاً لدى اتخاذ  
قرارات ما كما لو كانت تلك القرارات هدايا غالية.  
— " متى سنغادر؟ " — « متى ما شئت. »  
— " آه أريد السفر حالاً. ألا تعرف ذلك؟ "  
— " ربما سيكون الطقس رائعاً وصحواً عندما نعود، فالجو  
يغدو جميلاً جداً عندما يكون صحواً وبارداً. »  
قالت: " إني متأكدة من ذلك. أليس جميلاً منك أن تفكر في  
السفر كذلك؟ "

## توجيهات الأنسة شتاين

عندما عدنا إلى باريس، كان الجوّ صحوّاً وبارداً ورائقاً. فالمدينة تكيفت مع فصل الشتاء، وتوفّر خشب جيّد للبيع في محل الفحم والأخشاب الكائن عبر شارعنا، وثمة مجمرات خارج العديد من المقاهي الجيدة كيما يتمتّع الرواد بالدفء في شرفاتها. وكانت شقّتنا دافئة وبهيجة. وكنا نلقي في نار الخشب كرات من تراب الفحم رُصّت في كتل شبيهة بالبيض. وكان ضوء الشتاء الساقط على الشوارع جميلاً وأخاذاً. ولقد تعودت الآن على رؤية الأشجار العارية تحت السماء، وأنت تمشي في حدائق لكسمبورغ\* على ممرات مرصوفة بالحصى غسلها المطر وسط ريح حادة صافية. وعندما تعتاد على رؤية الأشجار تبدو لك مثل منحوتات بلا أوراق، وتهب رياح الشتاء على سطوح البرك والنافورات تحت الضوء اللامع. وصارت جميع المسافات قصيرة منذ أن ذهبنا إلى الجبال.

وبسبب التغيّر في الارتفاع لم يعد صعود التلال في باريس يضايقني، بل أصبح متعة، وصار ارتقاء السلم إلى الطابق العلويّ في الفندق، حيث أعمل في غرفة تطلّ على سطوح ومداخل الحيّ

الواقع على التل، ممتعاً كذلك. وكانت المدفأة تنفث الدخان بصورة جيدة، والغرفة دافئة، والعمل ساراً. وكنت أجلب معي المندرين والكستناء المحمصة إلى الغرفة في أكياس ورقية، وأقشر وأكل برتقالات صغيرة شبيهة بالمندرين، وأرمي قشورها وبذورها في النار، وأشوي الكستناء عندما أجوع. فأنا أشعر دائماً بالجوع بعدما أمشي أو أعمل أو عندما يكون الطقس بارداً. وكنت أحتفظ فسي غرفتي بقنينة من ماء الكرز جلبناها معنا من الجبال، وأتناول كأساً منه عندما أقارب نهاية قصة أو قبيل آخر عمل ذلك اليوم. وحين أنتهي من العمل أضع دفترتي، أو الورق، في مجرّ المنضدة وأضع ما تبقى من المندرين في جيبتي، وإلا فإنه سيتجمد إن تركته في الغرفة ليلاً.

كان يخالجني إحساس رائع وأنا أمشي نازلاً السلم بعد أن يحالفني الحظ في العمل. كنت دائماً أواصل العمل حتى أتم شيئاً ما وكنت أتوقف عندما أعرف ما الذي سيجري بعد ذلك في القصة. وبتلك الطريقة أتأكد من استمرارتي في العمل في اليوم التالي. ولكن يحدث أحياناً أن أشرع في كتابة قصة ما ولا أتمكن من التقدم فيها، فكنت أجلس أمام النار وأعصر قشور البرتقالات الصغيرة على أطراف اللهب وأشاهد الرذاذ الأزرق الذي تخلفه. وأنتصب وأحرق في سطوح باريس، وأقول لنفستي: "لا تقلق، لقد كنت تكتب يوماً من قبل وستكتب الآن، كل ما عليك أن تفعله هو أن تكتب جملة حقيقية واحدة. اكتب أصدق جملة تعرفها." وهكذا أتمكن أخيراً من كتابة جملة حقيقية واحدة، ثم أواصل من هناك.

لقد كان ذلك أمراً ميسوراً؛ لأن هنالك دائماً جملة حقيقية أعرفها أو رأيتها أو سمعت شخصاً ما يقولها. وإذا بدأت الكتابة بتكلف أو كمن يمهّد لتقديم شيء ما، شعرت بأن عليّ أن أحذف الزخرفات والمقدمات والالتواءات اللفظية، وأرمي بها بعيداً لأبدأ بأول جملة خبرية حقيقية بسيطة كتبتها. وفي تلك الغرفة في الطابق العلوي من الفندق، عقدت العزم على أن أكتب قصة عن كل شيء أعرفه. وكنت أحاول أن أفعل ذلك طوال الوقت الذي مارست فيه الكتابة. وهو تدريب جيد وقاس في الوقت نفسه.

وفي تلك الغرفة أيضاً تعلّمت ألا أفكر في أي شيء أكتب عنه ابتداءً من اللحظة التي أتوقّف فيها عن الكتابة إلى الوقت الذي أستاذفها فيه في اليوم التالي. وبذلك الطريقة يُتاح لشعوري الباطني أن يعمل عليه، وفي الوقت ذاته أستطيع أن أستمع إلى الآخرين وأراقب كل شيء. كنت أمل أن أتعلّم، فأخذت أقرأ حتى لا أظل أفكر في عملي، وأجعل من نفسي عاجزاً عن القيام به. كان يخالجنني إحساس رائع عند نزول السلم بعد أن أنجز عملاً جيّداً، وهذا يتطلب الحظ والانضباط كذلك، فأشعر بأنني طليق أستطيع أن أمشي حينئذ أينما شئت في باريس.

كنت أسلك في كل مرة طريقاً مختلفاً للوصول إلى حديقة لكسمبورغ، فأتمشى فيها قليلاً ثم أذهب إلى متحف لكسمبورغ الذي يضم لوحات فنية عظيمة، نقل معظمها الآن إلى متحفى اللوفر\* وجي دي بوم\*. ذهبت إلى ذلك المتحف يومياً تقريباً لأرى لوحات سيزان\* وماني\* ومونيه\* وبقية الانطباعيين الذين

تعرفت عليهم لأول مرة في معهد الفن في شيكاغو. تعلمت من رسم سيزان أشياء عديدة مكنتني من الاكتفاء بكتابة عبارات بسيطة حقيقية لتضمين قصصي الأبعاد التي أتوخاها. تعلمت منه كثيراً، ولكنني لم أكن بليغاً بالقدر الذي يتيسر لي تبين ذلك للآخرين. إضافة إلى أن ذلك سرّ لم أرد البوح به. وعندما يختفي الضوء في لكسمبورغ ، فإنني أسير مخترقاً الحديقة وأتوقف عند الشقة التي كانت تقطنها غرتروود شتاين في العمارة رقم ٢٧ في شارع فليروس\* .

زرت وزوجتي الأنسة شتاين، واستقبلتنا هي وصديقتها التي تعيش معها بكثير من الترحيب والموثّة، وراقت لنا الشقة الواسعة بلوحاتها العظيمة. كانت أشبه ما تكون بواحدة من أفخر الصالات في أفخم متحف وتمتاز عليها بموقد كبير وبكونها دافئة ومريحة؛ وأعطتانا طعاماً شهياً لنأكل وشاياً ومشروبات مقطّرة بصورة طبيعية من البرقوق الأرجواني والبرقوق الأصفر، أو من الفراولة البرية. وكانت هذه المشروبات الكحولية تدار علينا من أباريق زجاجية في كؤوس صغيرة؛ وسواء أكانت هذه المشروبات من الإجاص، أو الجانرك، أو التوت، فإن لها جميعاً طعم الفاكهة التي صُنعت منها، وتتحول على لسانك إلى نار منضبطة فتدفنك وتجعلك مسترخياً.

كانت الأنسة شتاين ضخمة ولكنها ليست طويلة، وممتلئة الجسم كامراًة فلاح. ولها عينان جميلتان ووجه يهودي — ألماني قوي ويمكن أن يكون كذلك وجه امرأة من فريولانو\*، ونكرتسي

هينتها بامرأة قروية من شمال إيطاليا، بملابسها ووجهها الحيوي وشعرها الغزير الأسود الذي تصفّفه بالطريقة نفسها منذ أن كانت في المدرسة. وكانت تتكلم طوال الوقت، وتبدأ بالحديث عن الناس والأماكن.

وكانت رفيقتها صغيرة الجسم وغامقة السمرة، وصوتها سار جداً، وشعرها مقصوص على غرار شعر جان دارك\*، كما تظهر في رسوم بوته دي مونفل\*، ولها أنف معقوف. وكانت منهمكة في تطريز قطعة قماش بين يديها عندما زرناهما أول مرة. وعند زيارتنا الأولى كانت تطرز شيئاً وتهتم بتقديم الأكل والشراب وتحدث إلى زوجتي. تشارك في محادثة وتنصت إلى أخرى، وغالباً ما تقاطع المحادثة التي لا تشارك فيها. وأخبرتني فيما بعد أنها تتحدث دائماً مع الزوجات. وشعرت أننا وزوجتي أن الزوجات يمكن احتمالهن. غير أننا أحببنا الأنسة شتاين وصديقتها، على الرغم من أن صديقتها كانت مخيفة الطلعة. وكانت اللوحات والكعك والنبيد جميعاً فاخرة بحق. وبدأ على شتاين وصديقتها أنهما أحبتانا كذلك وعاملتانا كما لو كنا طفلين طيبين مؤدبين واعدين، وشعرت أنهما سامحتانا على حبنا وزواجنا — والزمنا كليل بذلك — وقبلنا دعوة زوجتي لهما لتناول الشاي معنا.

وعندما جاءتا إلى شقتنا بدا عليهما أنهما أحبتانا أكثر، وربما يعود ذلك إلى أن المكان صغير ونحن أقرب إلى بعضنا البعض. جلست الأنسة شتاين على الفراش المبسوط على الأرض، وطلبت

أن ترى القصص التي كتبتها وقالت إنها أعجبها ما عدا واحدة بعنوان (هنالك في مشيغان \*).

وقالت: "إنها جيدة. ليست هذه هي المسألة على الإطلاق، ولكن لا يمكن تعليقها inaccrochable. وهذا يعني أنها مثل لوحة يرسمها الفنان بيد أنه لا يستطيع تعليقها عندما يقيم معرضاً، ولا يشتريها أحد لأنه لا يمكنه تعليقها هو الآخر."

— "ولكن ماذا لو لم تكن قدرة، وإنما كنت أحاول فقط أن أستعمل فيها الكلمات التي يستعملها الناس فعلاً؟ إنها الكلمات الوحيدة التي تستطيع أن تجعل من لقصة حقيقة وينبغي استعمالها؟ بل يجب استعمالها."

— "إنك لم تفهم المقصود بتاتاً." أجابت "يجب أن لا تكتب أي شيء لا يمكن تعليقه. إنه خطأ، وإنه لأمر سخيف."

وأخبرتني أنها تريد أن تنشر بعض نتائجها في مجلة (أتلنتيك الشهرية) \*، وستنشره المجلة. وأعلمتني أنني لم أكن كاتباً جيداً بما فيه الكفاية لينشر إنتاجي في تلك المجلة أو في جريدة (ذي ستردي إيفنغ بوست) \* ولكن ربما كنت كاتباً جديداً نوعاً ما على طريقتي الخاصة، غير أن أول شيء ينبغي أن أتذكره هو ألا أكتب قصصاً لا يمكن تعليقها. ولم أجادلها في ذلك، ولم أحاول أن أشرح لها ما الذي كنت أحاول أن أفعله بشأن الحوار في قصصي. لقد كان ذلك من شأني، والإنصات إليها أكثر إمتاعاً. وأخبرتني عصر ذلك اليوم كذلك كيف نشترى اللوحات الفنية.



قالت: " بإمكانك أن تشتري إما الملابس وإما اللوحات. إن الأمر بهذه البساطة. وليس هنالك رجل ليس غنياً بمقدوره أن يشتري الاثنين معاً. لا تهتما بثيابكما، ولا توجهها عناية إلى الموضة مطلقاً، واشترى ملابسكما للراحة والديمومة، وستوفران مال الملابس لشراء الصور."

وقلت " حتى لو لم أشتري ملابس أخرى بالمرة، فإنني لا أتمكن من شراء لوحات بيكاسو \* التي أريد."

— " لا، إنه خارج نطاق إمكاناتك. يتحتم عليك أن تشتري لوحات الرسامين الذين هم في مثل سنك — من دفعئك في الخدمة العسكرية— وستعرفهم. ستقابلهم في الحي. هنالك دائماً رسامون جدد جيّدون. ولكن لا تشتري كثيراً من الملابس. إنها زوجتك دائماً. فملابس النساء هي الغالية."

ولمحت زوجتي وهي تحاول أن لا تنظر إلى الملابس الغربية الرخيصة التي كانت ترتديها الآنسة شتاين، وقد نجحت في محاولتها. وعندما غادرتا شعرت أننا ما زلنا من المفضلّين لديهما، إذ طلبتا منا أن نأتي ثانية إلى ٢٧ شارع فليروس.

أما دعوتها لي لزيارتها في شقتها بعد الساعة الخامسة في وقت الشتاء في أي يوم أشاء فقد جاءت بعد ذلك اللقاء بفترة. حدث ذلك حين التقيت الآنسة شتاين في حديقة لكسمبورغ، ولا أستطيع أن أتذكر إذا كانت تمشي كلبها أو لا، ولا أذكر إذا كان لها كلب آنذاك. وما أذكره على وجه التأكيد، أنني كنت أمشي نفسي، ما يمنا لا نستطيع في ذلك الوقت شراء كلب ولا حتى

قُطَّة؛ والقُطَط الوحيدة التي كنت أعرفها هي قُطَط المقاهي والمطاعم الصغيرة، أو القُطَط الكبيرة التي كنت أنظر إليها بإعجاب وهي في شبابيك حارس العمارة. وبعد ذلك كنت غالباً ما ألتقي بالآنسة شتاين مع كلبها في حدائق لكسمبورغ؛ ولكن أظن أن لقائي معها هذه المرة كان قبل أن تفتني كلباً.

بيد أنني قبلت دعوتها، مع كلب كانت أو بدون كلب؛ وأخذتُ أمرَ عليها في شقتها، وكانت تعطيني دائماً نبذ ماء الحياة، وتلح في إعادة ملء كأسِي، وكنت أنظر إلى لوحاتها ونتحدث. كانت اللوحات مثيرة، والحديث شيقاً جداً. كانت هي التي تتكلم في الغالب، وحتتني عن الفن الحديث وعن الرسامين — بوصفهم بشراً أكثر من كونهم رسامين — وتحدثت عن عملها. وأطلعنتني على المجلدات العديدة لمخطوطة كتبها وتقوم رفيقتها بطباعتها كل يوم. وقالت إن الكتابة يومياً تجعلها سعيدة، ولكن عندما عرفتُها بشكل أفضل تبين لي أن ما يسعدها حقاً هو نشر نتائجها الذي يتباين من يوم لآخر تبعاً لنشاطها، وحصولها على اعتراف الآخرين بها.

لم يتفاقم الأمر بعد عندما عرفتُها أول مرة، ما دامت قد نشرت ثلاثاً من قصصها وكانت مفهومة لجميع القراء. وإحدى هذه القصص وعنوانها (ملانكتا)\* كانت جيدة جداً؛ ونشرت نماذج جيدة من كتاباتها التجريبية في كتاب، وأثنى عليها النقاد الذين التقوا بها أو عرفوها. كانت لها شخصية لا تقاوم بحيث يمكنها إذا شاعت أن تكسب أي شخص إلى صفها. وكان النقاد الذين التقوا

بها ورأوا لوحاتها قد وثقوا بكتاباتها وإن لم يفهموها بسبب حماستهم لها كشخص، وبسبب ثقتهم في حصافتها. وكانت قد اكتشفت عدة حقائق عن الإيقاع واستعمال الكلمات بصورة متكررة، وهي اكتشافات قيمة، وكانت تحسن الحديث عنها. ولكنها كانت تكره بذل الجهد في مراجعة ما تكتب وجعله مفهوماً، على الرغم من حاجتها لنشر نتائجها والإقبال عليه، خاصة كتابها الطويل بصورة لا تصدق والموسوم بـ (صنع الأمريكان)\*.

بدأ هذا الكتاب بصورة فائقة، واستمر بشكل جيد لمسافة طويلة، مُرصّعاً بمقطوعات عظيمة من النثر المتألق الجميل، ثم سقط في تكرار ممل لا نهاية له، كان أحرى بكتاب آخر أكثر إحساساً أن يلقي به في سلة المهملات. وتعرفت على الكتاب جيداً عندما دعوت — أو بالأحرى دُفعت إلى دعوة — فورد ماديوكس فورد\* إلى نشره مسلسلاً في مجلة (ذي ترانس أتلانتيك ريفيو)\*، وكنت أعلم أنه سيتعدى حياة المجلة. ولكي ينشر هذا الكتاب في المجلة، كان عليّ أن أقرأ مسوداته وأصححها، لأن هذا النوع من العمل لا يبعث السرور في نفس الأنسة شتاين.

وفي هذا المساء البارد وبعد أن مررت بمسكن حارس العمارة وفنائها البارد في طريقي إلى الشقة الدافئة، أخذت الأنسة شتاين تثقني في الجنس، فقد أصبحنا في ذلك الوقت نودّ بعضنا كثيراً؛ وكنت قد تعلمت أن لكل شيء لم أفهمه سبباً ذا صلة محتملة بالجنس. كانت الأنسة شتاين تظن أن ثقافتي الجنسية ليست

كافية، وعليّ أن أعترف بأنني متحيز ضد المثلية الجنسية (اللواط) ما دمت لا أعرف عنها إلا جوانبها الأكثر بدائية. كنت أدرك آنذاك لماذا يحمل الفتى سكيناً وهو عازم على استعمالها عندما يكون في صحبة غانيات في تلك الأيام التي لم تكن فيها كلمة (ذئاب) مستعملة في اللغة الدارجة لتدل على الرجال المهووسين بملاحقة النساء. وكنت أعرف عدة مصطلحات وتعبيرات غير قابلة للتعليق منذ أيام إقامتي في مدينة كنساس\*، كما اكتسبت أشياء إضافية من أحياء مختلفة من تلك المدينة، ومن شيكاغو وقوارب البحيرة. وفي أثناء استجواب الأنسة شتاين لي حاولت أن أخبرها أنه عندما تكون فتى بصحبة الرجال يتوجب عليك أن تكون مستعداً لقتل رجل ما، وأن تعرف كيف تفعل ذلك، وأن تعرف أنك ستفعل ذلك من أجل أن لا يعبثوا بك. وهذا مصطلح يمكن تعليقه. وإذا كنت تعرف أنك ستقتل، فإن الآخرين سيشعرون بذلك حالاً ويتركوك وشأنك؛ ولكن هناك مواقف معينة لا يمكنك أن تدع نفسك تجبر على فعل شيء أو توضع في الفخ. وبإمكاني أن أعتبر عن أفكاري بصورة أكثر حيوية ووضوحاً باستعمال تعبيرات لا يمكن تعليقها كان يستعملها "الذئاب" على قوارب البحيرة، مثل "هذا لا يكفي ولا بد من مرأب له". بيد أنني كنت دائماً حذراً في استعمال لغتي مع الأنسة شتاين، حتى إن اقتضى الحال استخدام بضعة عبارات حقيقية قادرة على توضيح قصدي والإعراب بصورة أفضل عن موقفي.

— "نعم، نعم، همنجواي،" قالت الانسة شتاين "ولكنك كنت تعيش في وسط من المجرمين والمنحرفين جنسياً".  
لم أرد أن أجادلها في ذلك، على الرغم من اعتقادي أنني عشت في العالم كما هو، وفيه جميع أنواع الناس، وبذلت جهدي لتقهمهم، مع أنني لم أستطع أن أحب بعضهم، وما زلت أكره بعضاً منهم.

وسألته: "ولكن ماذا تقولين عن ذلك الشيخ ذي الشمائل اللطيفة والاسم العظيم الذي عادني في المستشفى في إيطاليا وجلب إليّ قنينة مارسالا\* أو كمباري\*، وتصرف بشكل لائق، ثم في أحد الأيام كان عليّ أن أطلب من الممرضة أن لا تدع ذلك الرجل يدخل غرفتي مرة ثانية بتاتاً؟"

— "إن هؤلاء الناس مرضى، وليس في مقنورهم مساعدة أنفسهم، وينبغي عليك أن تشعر بالشفقة نحوهم".  
وسألته: "وهل عليّ أن أشعر بالشفقة تجاه فلان؟" وذكرت اسمه، ويسره أن يذكر اسمه بنفسه، بحيث أشعر أنني لست بحاجة لذكره نيابة عنه.

— "لا، إنه شرير. إنه مفسد، وهو شرير حقاً".

— "ولكن من المفروض أنه كاتب جيد".

قالت: "إنه ليس كذلك". وأضافت: "إنه مجرد استعراضسي، ويفسد الآخرين لمجرد متعة الإفساد، ويدفع الناس إلى ممارسات شريرة كذلك. المخدرات، مثلاً".

— "وفي ميلانو\*، أَلَمْ يحاول الرجل الذي ينبغي عليّ أن  
أشعر نحوه بالشفقة إفسادي؟"

— "لا تكن سخيّاً. كيف يمكنه أن يأمل في إفسادك؟ هل تُفسد  
فتى مثلك معتاداً على الشراب، بقنينة مارسالا؟ لا، إنه عجوز  
يُرثى له ولا يستطيع نبذ ما يفعل. لقد كان مريضاً، ولا خيار له  
في ذلك، وينبغي لك أن تشفق عليه."

قلت: "لقد رثيت له في ذلك الوقت، ولكنني أصبت بخيبة  
أمل لأنه كان يتحلى بشمائل لطيفة."

واحتسيت جرعة أخرى من نبيذ ماء الحياة، ورثيت للرجل  
العجوز، وألقيت نظرة على لوحة بيكاسو للفتاة العارية التي تحمل  
سلة زهور. لم أكن أنا الذي بدأت المحادثة وشعرت أنها غدت  
خطيرة نوعاً ما. وفي العادة لا تتخلّل المحادثات مع الأنسة شتاين  
أي فترات استراحة بتاتاً، ولكننا هذه المرة توقفنا، وكانت تريد أن  
تخبرني بأمر ما، فملأت كأسِي.

— "إنك لا تعرف شيئاً عن ذلك في الحقيقة، يا همنجواي.  
التقيت مجرمين معروفين وأناساً مرضى ورجالاً شريرين. المهم  
في الموضوع هو أن اللواط الذكورية أمر قبيح وكريه، وبعد  
اقترافها يشعر الرجال بالاشمئزاز من أنفسهم. فيشربون ويتناولون  
المخدرات لتسكين آلامهم، ولكنهم يشمئزون من الفعل فيغيثرون  
دائماً شريكهم ولا يمكنهم أن يشعروا بالسعادة حقاً."

— "مفهوم."

— " بالنسبة للنساء، الأمر على عكس ذلك. لا يعلن شيئاً  
يتقززن منه، ولا شيء منفّر، وبعد ذلك يشعرون بالسعادة، ويمكنهن  
أن يعشن حياة سعيدة معاً. "

قلت : " مفهوم. ولكن ماذا عن فلانة؟ "

— " إنها شريرة حقاً، ولهذا لا يمكنها أبداً أن تكون سعيدة إلا  
مع رفيقة جديدة كل مرة. إنها تفسد الناس. "

— " فهمت. "

— " هل أنت متأكد من أنك تفهم ما أقول؟ "

هناك أشياء كثيرة كان عليّ أن أفهمها في تلك الأيام،  
وسررت عندما أخذنا نتحدث عن موضوع آخر. ولدى عودتي  
وجدت المنزل مغلقاً، ولهذا كان عليّ أن أسير محاذاته إلى شارع  
فوجيرار\*، وأستدير حول نهايته السفلى. إنه لمن المحزن أن  
يكون المنزل مغلقاً ومقفلاً. وشعرت بالحزن وأنا أسير حوله بدلاً  
من التمشي في داخله، وأنا أبحث الخطى في طريق العودة إلى  
منزلي الكائن في شارع الكاردنال لوموان\*. وكان النهار قد بدأ  
رائعاً أيضاً، وعليّ أن أعمل بجد غداً. فالعمل يستطيع أن يشفي  
كل شيء تقريباً. وهذا ما كنت أعتقد آنذاك وما أعتقد الآن.  
وانتهيت إلى أن الأنسة شتاين تشعر بأن ما يجب عليّ أن أشفي  
منه هو الشباب وحبّي لزوجتي. وفارقني الشعور بالحزن عندما  
وصلت إلى منزلي في شارع الكاردنال لوموان وأخبرت زوجتي  
عن المعرفة الجديدة التي اكتسبتها مؤخراً. وفي الليل كنا سعيدين  
بمعرفتنا القديمة، وبالمعرفة الجديدة الأخرى التي حصلنا عليها في  
الجبال.

## الجيل الضائع

كان من السهل التعمّد على التوقّف عند ٢٧ شارع فليريس  
عصراً للتمتّع بالدفء ومشاهدة اللوحات العظيمة وتجاذب أطراف  
الحديث. وغالباً ما كانت الأنسة شتاين بدون ضيوف، وترخّب بي  
دوماً، وظلّت ودودة معي وقتاً طويلاً. وعندما كنت أعود من  
السفرات التي أقوم بها لحضور المؤتمرات السياسيّة المتنوعة أو  
لزيرة الشرق الأدنى أو ألمانيا لفائدة الجريدة الكندية، ووكالات  
الأنباء التي كنت أعمل لحسابها، كانت الأنسة شتاين تريّني أن  
أخبرها بجميع التفاصيل المسليّة، فهناك دائماً أمور مضحكة تحبّها  
وقصص من نوع ما يسمّيه الألمان بـ "سخرية المشانق". وكانت  
ترغب في الاطلاع على الوجه الضاحك من العالم، وليس الوجه  
الحقيقي، ولا الوجه السيئ أبداً.

كنت شاباً، ولم أكن كئيباً، وكانت تحدث دائماً أشياء غريبة  
وفكاهية في أسوأ الأوقات وتحب الأنسة شتاين سماعها. أما  
الأشياء الأخرى فلم أتحدث عنها إليها بل كنت أكتبها بنفسني.  
وعندما لم أكن قد رجعت من رحلة ما، وأتوقّف في شارع  
فليريس بعد العمل، أحاول أن أحمل الأنسة شتاين على الكلام عن



الكتب. وحين أكتب فإن من الضروري أن أقرأ بعد الكتابة؛ لأنك إذا واصلت التفكير في ما تكتب فإنك ستفقد الشيء الذي تكتب عنه قبل أن تستطيع الاستمرار فيه في اليوم التالي. ومن اللازم أن تترىض بدنياً، وأن ينال التعب من جسدك، وأن تمارس الحب مع من تحب. فذلك أفضل من أي شيء آخر. ولكن بعد ذلك ، عندما تكون فارغاً، يجب أن تقرأ لكلاً تفكر في عملك أو تقلق عليه، حتى تستطيع القيام به مرة أخرى. كنت قد تعلمت أن لا أنزع بئر كتابتي برمته، بل أتوقف دائماً وفي قعر البئر شيء ما، وأدعه يمتلئ في الليل من الينابيع التي ترفده.

ولكي أنأى بفكري عن الكتابة بعد العمل، كنت أقرأ أحياناً للأدباء الذين يكتبون آنذاك، من أمثال اللوس هكسلي\* و د. هـ. لورنس\*، أو أي أديب آخر له كتب منشورة أستطيع اقتناءها من مكتبة سلفيا بيتش\* أو أعثر عليها على رصيف شاطئ نهر السين.

— " هكسلي رجل ميت." قالت الأنسة شتاين " لماذا تريد أن تقرأ لرجل ميت؟ ألا تستطيع أن ترى أنه ميت؟"  
لم أستطع آنذاك أن أعدّه رجلاً ميتاً، وقلت لها إن كتبه أمتعني وأبعدني عن التفكير.

— " يجب أن تقرأ ما هو جيد حقاً، أو ما هو سيئ صراحة."  
— " إنني أقرأ كتباً جيدة حقاً طوال هذا الشتاء، وخلال الشتاء الماضي، وسأقرأها في الشتاء القادم، ولا أحب الكتب السيئة صراحة."

— " لماذا تقرأ، يا همنجواي، هذا الكلام الفارغ؟ كلام فارغ  
مبالغ فيه كتبه رجل ميت. "  
— " أودّ أن أطلع على ما يكتبون، وهذا يجعل فكري يبتعد  
عن تكرار ما يفعلون. "  
— " ولأي كاتب آخر تقرأ الآن؟ "  
— " د. هـ. لورنس، لقد كتب بعض القصص القصيرة  
الجيدة، ولحداها بعنوان "الضابط البروسي. "  
— " حاولت أن أقرأ رواياته، ولكنه لا يُطاق. إنه مُحزن  
ومناف للطبيعة. يكتب مثل رجل مريض. "  
قالت: " أعجبتني روايته (أبناء وعشاق) وكذلك (الطاووس  
الأبيض) التي قد لا تكون بنفس جودة الرواية الأولى. ولم أستطع  
قراءة روايته (نساء عاشقات). "  
— " إذا كنت لا تريد أن تقرأ ما هو سيئ، وتريد أن تقرأ  
شيئاً يستولي على اهتمامك، شيئاً رائعاً في حد ذاته، فعليك أن تقرأ  
ماري بيلوك لاوندس\* "  
لم أكن قد سمعت بها، فأعارتني الأنسة شتاين (النزيل)، تلك  
القصة الرائعة عن جاك\* السفاح، وكتاباً آخر عن جريمة قتل  
وقعت في مكان خارج باريس لا يمكن أن يكون إلا (إنغابن لي  
بان)\*. ويوفر كلا الكتابين قراءة ممتعة بعد العمل، فالشخص  
واقعيون والربح ليس زائفاً أبداً. والكتابان ملائمان تماماً لتضية  
الوقت بعد أن تكون قد انتهيت من العمل، ولهذا قرأت جميع  
مؤلفات السيدة بيلوك لاوندس\* التي وقعت تحت يدي. ولكن عدد

كتبها محدود وليس فيها ما هو بمثل جودة الكتابين الأولين. ولم أجد شيئاً مناسباً لأوقات فراغي في النهار أو الليل حتى ظهر أول كتب سيمنون \* القيمة.

أظن أن الأنسة شتاين كانت ستحب كتب سيمنون الجيدة — وأول كتاب قرأته له إما (هويس القناة رقم ١) أو (منزل القناة) — ولكنني لست متأكداً؛ لأنني عندما تعرفت على الأنسة شتاين لم تكن تميل إلى القراءة بالفرنسية على الرغم من أنها كانت تحب التحدث بها. وجانيت فلانر \* هي التي أعارتي أول كتابين قرأتهما لسيمنون عندما كان مراسلاً صحفياً يتولى تغطية أخبار الجرائم.

وخلال السنوات الثلاث أو الأربع التي ربطتني فيها صداقة حميمة مع غيرتروود شتاين، لا أذكر أنها تحدثت بالخير عن أي كاتب لم يكتب بإطراء عن أعمالها الأدبية أو يفعل شيئاً ما لازدهار عملها فيما عدا رونالد فيربانك \*، وفيما بعد سكوت فيتزجيرالد \*. وحين التقيتها أول مرة لم تتحدث عن شيروود أندرسون \* بوصفه كاتباً وإنما أثنت عليه باعتباره رجلاً، وأطرت عينيه الإيطاليتين الواسعتين الجميلتين الدافنتين، ولطفه وسحره كذلك. وأنا لا تهمني عيناه الإيطاليتان الواسعتان الجميلتان الدافنتان بقدر ما أعجبتني بعض قصصه القصيرة. فقد كتبت ببساطة، وأحياناً بصورة أخاذة، وكان يعرف الأناس الذين يكتب عنهم ويعنى بهم من أعماقه. والأنسة شتاين لم تكن تريد أن تتحدث عن قصصه وإنما كانت تتحدث دوماً عن شخصه.

وسألتها : " وماذا عن رواياته؟" ولكنها لم تشأ أن تتحدث عن أعمال أندرسن بأكثر مما تتحدث عن جويس. فإذا ذكرت جويس مرتين في حضرته فإنك لن تدعى مرة أخرى إلى منزلها؛ لأنك بذلك كمن يثني على جنرال عسكري أمام جنرال آخر. وقد تعلمت أن لا تفعل ذلك بعد أن وقعت في المحذور أول مرة. والجنرال الذي تتحدث إليه سيثني كثيراً على الجنرال الذي انهزم أمامه ويسعه أن يتكلم بالتفصيل عن كيفية انتصاره عليه.

كانت قصص أندرسون جيدة جداً بحيث لا يمكن أن تكون موضوعاً لمحادثة سارة. كنت مستعداً لأخبر الأنسة شتاين كم هي غثة رواياته، ولكن ذلك أمر سيئ كذلك؛ لأنه يتضمن نقداً موجهاً لواحد من أكثر أنصارها إخلاصاً. وعندما كتب آخر رواياته وتدعى (ضحكة معتمة) ألفيتها رديئة وسخيفة ومفتعلة بصورة فظيعة لدرجة أنه لم يسعني إلا أن أنقدها بتهكم وسخرية. وغدت الأنسة شتاين في غاية الغضب؛ لأنني هاجمت شخصاً بشكل جزءاً من جهاز دعايتها. غير أنها لم تكن غاضبة قبل ذلك ولوقت طويل. وهي، نفسها، أخذت تكيل المديح بسخاء لشيروود\* بعد أن انهار ككاتب.

كانت غاضبة على عزرا باوند\*؛ لأنه جلس بسرعة على مقعد صغير هزيل لا يُركن إليه وغير مريح، ومن الممكن جداً أنه أعطي له لغاية ماء، وقد خلخله أو كسره. أما كونه شاعراً عظيماً ورجلاً لطيفاً كريماً وأنه وضع نفسه في مكان يليق بحجمه الطبيعي فليس لذلك أي اعتبار لديها. وقد اخترعت بصورة حاذقة وخبيثة أسباب كرهها لعزرا باوند بعد سنوات عديدة.

كان ذلك بعدما عدنا من كندا وكنا نعيش في شارع نوتردام دي شامب\*، وكنت والآنسة شتاين ما زلنا صديقين حميمين، في ذلك الوقت أدلت الآنسة شتاين بمقولتها عن الجيل الضائع. كان لديها بعض المشاكل في نظام التشغيل بالسيارة التي كانت تقودها وهي من نوع فورد تي\* القديم، ولم يكن الشاب المكلف بإصلاحها في الكراج، والذي كان قد اشترك في الحرب خلال السنة الأخيرة، بارعا في المهنة، أو ربما لم يخرق أولوية السيارات الأخرى ويباشر إصلاح سيارة الآنسة شتاين الفورد. وعلى أي حال، فإن الآنسة شتاين لم تعد جادا وشكته لصاحب الكراج الذي أنبهه بقسوة قائلاً له: "إنكم جميعا جيل ضائع".

— "هذا هو شأنكم. هكذا أنتم جميعاً." قالت الآنسة شتاين "جميعكم أنتم الشباب الذين شاركتم في الحرب . إنكم جيل ضائع." قلت لها : "حقاً؟"

— "نعم." أصرت قائلة "إنكم لا تحترمون أي شيء، وتهلكون أنفسكم بالشراب..."

فسألتها: "هل كان الميكانيكي الشاب سكران؟"

— "طبعاً لا."

— "هل رأيتني أنا سكران؟"

— "لا، ولكن أصدقائك يسكرون."

قلت: "لقد حدث أن سكرت، ولكنني لا آتي إلى هنا وأنا سكران."

— "طبعاً لا. لم أقل ذلك."

قلت: " من المحتمل أن يكون صاحب الكراج ثملاً قبل الساعة الحادية عشرة صباحاً؛ ولهذا استطاع أن ينطق بمثل تلك العبارات البديعة."

— " لا تجادلني، يا همنجواي، فذلك لا ينفع أبداً." وأضافت قائلة: " أنتم جميعاً جيل ضائع، كما قال صاحب الكراج بالضبط." وبعد ذلك، عندما كتبت روايتي الأولى حاولت أن أوازن اقتباس الأنسة شتاين من صاحب الكراج باستشهاد من الطقوس الكنسية. ولكن تلك الليلة وأثناء عودتي إلى المنزل ماشياً، أخذت أفكر في ذلك الفتى في الكراج وفيما إذا كان قد حدث له في الحرب أن نُقل في إحدى تلك العربات التي حُولت إلى سيارات إسعاف. وتذكرت كيف كانوا يحرقون مكابحها أثناء الهبوط بها على جانب الجبل وهي محملة تماماً بالجرحي، ثم ينتهي بهم الأمر إلى وضع ناقل السرعة على موضع السير إلى الوراء للتقليل من سرعة انحدارها، وكيف أن العربات الأخيرة قيدت فارغة على جانب الجبل لتستبدل بها سيارات فيات كبيرة لها تروس متينة وصنعت مكابحها برمتها من المعدن الخالص. وفكرت في الأنسة شتاين وشيروود أندرسون والغرور والكسل الذهني في مقابل التواضع والانضباط. وتساءلت من الذي يسمي من بالجبل الضائع؟ ثم، وبينما كنت متجهاً إلى مقهى بستان الليلك والضوء مُسلطاً على صديقي القديم، تمثال المارشال نبي\* وهو مستل سيفه، وظلال الأشجار على التمثال البرونزي، وهو ينتصب وحيداً هناك ولا أحد خلفه، والفشل الذريع الذي مُني به في معركة

واترلو، فكرت أن الأجيال جميعها كانت أجيالاً ضائعة بسبب أو  
بآخر، وهي ضائعة اليوم، وستكون ضائعة في المستقبل؛ وتوقفت  
عند المقهى لأمنح رفقتي للتمثال وأشرب بيرة باردة قبل الذهاب  
إلى المنزل عبر المنشرة (معمل نشر الخشب). وبينما كنت جالماً  
وبيدي البيرة، وأنا أراقب التمثال وأتذكر كم يوماً حارب نبي  
شخصياً، وهو في مؤخرة الجيش أثناء الانسحاب من موسكو بعد  
أن عاد نابليون بعربة برفقة الجنرال كولنكور\*، فكرت أية صديقة  
دافئة وودود كانت الأنسة شتاين، وما أجمل ما قالته عن الشاعر  
أبولينير\* وعن موته يوم الهدنة عام ١٩١٨ وكانت الجماهير تهتف  
(فليسقط غيوم)، وحسب أبولينير وهو في سكرات الموت أنهم  
يهتفون ضده، وعقدت العزم على أن أخدمها، وأن أتأكد أنها تنال  
ما تستحق على العمل الجيد الذي أنجزته ما دام ذلك في  
ميسوري، ولهذا ساعدني يا ربي وساعد مايك نبي. ولكن فليذهب  
حديثها عن (الجيل الضائع) وكل الشعارات الرخيصة القنرة إلى  
الجحيم. وعندما وصلت إلى العمارة حيث أقطن وولجت في  
ساحتها وارتقيت السلم إلى بيتي ورأيت زوجتي وابني وقطته (ف  
بوس)، وكلهم سعداء والنار في الموقد، قلت لزوجتي: "أتدريين أن  
غيرتروا امرأة لطيفة، على كل حال؟"

— "طبعاً، يا تاتي."

— "ولكنها تقول كثيراً من الكلام الفارغ أحياناً."

— "لا أسمعها بتاتاً." قالت زوجتي "أنا زوجة، وصديقتها

هي التي تتحدث معي."

## شركة شكسبير

لم تكن لدي، في تلك الأيام، نقود لشراء الكتب. فكنت أكتري الكتب من مكتبة (شركة شكسبير)\*، التي كانت مكتبة لمطالعة الكتب أو شرائها أو كرائها، وتملكها سلفيا بيتش\*، وتقع في ١٢ شارع الأوديون\*. ففي شارع تجتاحه ريح باردة، كانت تلك المكتبة مكاناً دافئاً بهيجاً يتوفر على موقد كبير في الشتاء، وعلى مناضد ورفوف كتب، والمطبوعات الجديدة معروضة في الواجهة، وصور مشاهير الألباء من الأحياء والأموات معلقة على الجدران. كانت جميع الصور تبدو كأنها لقطات فوتوغرافية طبيعية، وحتى الكتاب الأموات ظهروا كما لو كانوا أحياء حقاً. وكان لسلفيا وجه مفعم بالحياة ونو تقاطيع حادة، ولها عيانان بنيتان تفيضان حيوية مثل عيني حيوان صغير، وفريحتين مثل عيني صبية، ولها شعر بني متموج منسدل إلى الخلف ابتداء من جبهتها الجميلة، ومقطوع تحت أذنيها وعند ياقة السترة البنّية التي ترتديها. ولها ساقان جميلتان، وكانت حنون ومرحة وتبدي اهتماماً بالآخرين، وتحب المزاح والقليل والقال. وليس هناك من الذين عرفتهم من كان أكثر عطفاً عليّ منها.



كنت في غاية الخجل عندما ذهبت أول مرة إلى المكتبة، ولم يكن معي المال الكافي للاشتراك في مكتبة كراء الكتب. فأخبرتني سلفيا أنني أستطيع أن أدفع مبلغ التأمين في أي وقت يتوفر فيه لدي المال، وأعدت لي بطاقة مشارك وقالت إنه يمكنني أن أستعير كتباً بالعدد الذي أَرغب فيه.

لم يكن لديها سبب لتتق بي. فلم تكن تعرفني، والعنوان الذي ذكرته لها — ٧٤ شارع الكاردنال لوموان — لم يكن هناك عنوان أهزل منه. ولكنها كانت سيّدة بهيجة وجذابة وكريمة. وخلفها رفوف ورفوف من ثروة المكتبة مرصوفة على جميع الجدران حتى السقف وممتدة إلى الغرفة الخلفية.

بدأت بترجنيف\* وأخذت مجلدي (تخطيطات رجل رياضي) وأحد كتب د.هـ. لورنس الأولى، وأظنه (أبناء وعشاق)، وأخبرتني سلفيا أنني أستطيع أن أستعير كتباً أخرى إن شئت. فاخترت طبعة كنستاس غارنيت\* لكتاب (الحرب والسلام)\*، و(المقامر وقصص أخرى) لدستوفسكي\*.

وقالت سلفيا: "إنك لن تعود قريباً إذا قرأت كل ذلك."

قلت: "سأعود لأستد ما عليّ، فلدي بعض المال في الشقة."

قالت: "لم أقصد ذلك، فلك أن تدفع متى ما يناسبك."

وسألتها: "متى يأتي جويس\* إلى هنا؟"

— "إذا كان سيأتي فإنه يأتي عادة عصرأ." وأضافت: "ألم

تره من قبل؟"

قلت: " لمحناه مرة في مطعم (ميشود) \* وهو يتناول الطعام مع عائلته، ولكن لم يكن من اللائق أن ننظر إلى الناس وهم يأكلون، و(ميشود) مطعم غال."

— " هل تأكلون في المنزل؟"

قلت: " معظم الوجبات حالياً، فلدينا طاهية ماهرة."

— " لا توجد مطاعم قريبة منكم في الحارة، أليس كذلك؟"

— " لا، وكيف تعرفين ذلك؟"

قالت: "لقد سكن لاربود \* هناك، وأحبّ تلك الحارة كثيراً فيما عدا خلوها من المطاعم."

— " إن أقرب مطعم رخيص جيّد يقع في البانتيون \*."

— " لا أعرف ذلك الحيّ. ونحن نأكل في البيست. يجب أن

تأتي أنت وزوجتك لزيارتنا."

قلت: " أنتظري حتى تري إذا كنت سأدفع، ولكن شكراً كثيراً لدعوتك."

قالت: " لا تقرأ حتى الصيام."

كان بيتنا في شارع الكاردنال لوموان عبارة عن شقّة ذات غرفتين لا تتوفر على ماء ساخن ولا يوجد في داخلها مرحاض خاص بها وإنما تشتمل على وعاء صحيّ، لا يمكن وصفها بأنها غير مريحة من قبل شخص كان معتاداً على المرحاض الخارجي في مشيغان. وكانت شقتنا بهيجة ومرحة فهي تطل على منظر لطيف؛ ولغراشنا على الأرض حشية جيدة، وعلى جدرانها لوحات

نحبها. وعندما وصلتُ إلى البيت ومعى الكتب، أخبرت زوجتي  
عن المكتبة الرائعة التي اهتديت إليها.  
قالت: " ولكن، ثاني، يجب أن تعود إليها بعد الظهر لتسدّد ما  
عليك."

قلت: " سأذهب بالتأكيد، سنذهب معاً، ثم نعود سيرا على  
الرصيف بمحاذاة النهر."

— " لنتمشى عائدين في شارع السين\* وننظر إلى المعارض  
وواجهات المخازن فيه."

— " طبعاً، في وسعنا أن نتمشى أينما نريد، ويمكننا أن  
نتوقف في أحد المقاهي الجديدة حيث لا نعرف أحداً ولا يعرفنا  
أحد ونتناول مشروباً."

— " يمكننا أن نتناول مشروبين."

— " ثم نأكل في مكان آخر."

— " لا، لا تنس أن علينا أن ندفع للمكتبة."

— " سنعود إلى المنزل ونأكل هنا، فنتناول وجبة شهية  
ونشرب نبيذ (البون)\* من مخزن التعاونية الذي تربيته من هنا  
عبر الشباك وبالسعر المعلن في واجهة المحل. وبعد ذلك سنقرأ  
ونأوي إلى فراشنا ونمارس الحب."

— " ولن نحب أحداً آخر أبداً، بل نحب أحداً الآخر."

— " لا، أبداً."

— " ما أروعها من أمسية. أما الآن فيحسن بنا أن نتناول  
طعام الغداء."

قلت: " إنني جائع جداً، لقد عملت في المقهى ولم أتناول سوى فنجان قهوة بالحليب."

— " وكيف سار عملك، يا تاتي؟"

— " أظن أنه على ما يرام. أمل ذلك. ماذا عندنا للغداء؟"

— " قليل من الفجل وكبد العجل مع البطاطا المطحونة وسلاطة الهندباء، ثم كعكة التفاح."

— " وسنكون لنا جميع الكتب في العالم لقراءتها، وعندما نسافر في رحلات سنأخذها معنا."

— " وهل تسمح بذلك المكتبة؟"

— " بالتأكيد."

قالت: " نحن محظوظون لأنك وجدت ذلك المكان."

— " نحن دائماً محظوظون." رتدت مثل أبله ولم أنقَ على الخشب. وكان هنالك خشب في كل مكان بالشقة أيضاً.

## أهل السين

توجد عدة طرق للنزول إلى النهر من أعلى شارع الكاردنال لوموان، أقصرها الهبوط مباشرة في الشارع ذاته، ولكن هذا الطريق شديد الانحدار، ويوصلك بعد أن تقطع جزأه الحافل بالثقق وبداية شارع سان جرمان المليء بالحركة إلى جزء كثيب حيث توجد قطعة معزولة من ضفة النهر تعبت بها الريح، ويقع مخزن النبيذ على يمينك. وهذا المخزن لا يشبه أبداً من أسواق باريس الأخرى، فقد كان محتجزاً للجمارك تخزن فيه الخمور لحين دفع الضرائب عليها، ويبدو كثيباً من الخارج مثل مستودع عسكري أو معسكر اعتقال.

وفي الناحية الثانية من فرع السين تقع جزيرة سان لوي، بشوارعها الضيقة ومنازلها العتيقة العالية الجميلة، ويمكنك أن تعبر إلى هناك أو تستدير إلى اليسار لتمشي بمحاذاة ضفة النهر، بحيث تكون جزيرة سان لوي\* وكاتدرائية نوتردام\* وجزيرة المدينة\* في الجانب المقابل.

وفي أكشاك الكتب المنتشرة على رصيف النهر، يمكنك أن تجد أحياناً كتباً أمريكية حديثة الصدور تباع بأسعار رخيصة جداً.

ففي تلك الأيام كان لمطعم البرج الفضّي (تور دارجان) بضعة غرف في الطابق العلوي للإيجار، يُعطى نزلاؤها تخفيضاً على ما يأكلون في المطعم؛ وإذا ترك النزلاء أي كتب خلفهم، فإن الخدم يبيعونها إلى كشك الكتب الكائن على الرصيف غير بعيد عنهم، ولك أن تشتريها من صاحبة الكشك لقاء فرنكات قليلة، فهي لا تثق بالكتب المدوّنة بالإنجليزية، ولأنها لا تدفع شيئاً تقريباً لقاءها، وتكتفي بربح قليل وسريع.

وسألتني بعد أن أصبحنا أصدقاء: "هل هذه الكتب ذات نفع؟" — "أحياناً واحد منها."

— "كيف يستطيع المرء أن يعرف ذلك؟"

— "أستطيع أن أعرف عندما أقرأها."

— "ولكن سيقى الأمر نوعاً من المقاومة. وكم من الناس

يستطيع قراءة اللغة الإنجليزية؟"

— "احتفظي بها لي ودعيني ألقى نظرة عليها."

— "لا، لا أستطيع ادخارها، فأنت لا تمرّ بصورة منتظمة،

وتتغيب لفترة طويلة في كل مرة. عليّ أن أبيعها بأسرع ما يمكن.

ولا أحد يستطيع أن يعرف إذا كانت لا قيمة لها. فإذا تبين أنها

ليست ذات فائدة، فلن أستطيع بيعها أبداً."

— "وكيف تعرفين الكتاب الفرنسي القيم؟"

— "أولاً هناك الصور. ثم مسألة نوعية الصور. ثم هناك

التجليد. فإذا كان الكتاب جيداً، فإن صاحبه سيجلده بشكل لائق.

كل الكتب الإنجليزية مجلدة ولكنه تجليد سيئ، ولا سبيل للحكم على جودتها.

وبعد ذلك الكشاك القريب من مطعم البرج الفضي لا توجد أكشاك أخرى تباع الكتب الأمريكية أو الإنجليزية حتى تصل رصيف غراند أوغستان\*. ومن هناك وإلى ما بعد رصيف فولتير\*، توجد عدة أكشاك تباع تلك الكتب التي تشتري من مستخدمي الفنادق القائمة على الضفة اليسرى من النهر، وخاصة فندق فولتير\* الذي يؤمه الزبائن الأغنياء. وفي يوم من الأيام سألت صاحبة كشك أخرى كانت صديقتي كذلك عما إذا كان أصحاب الكتب هم الذين يبيعونها:

قالت: "لا، إنهم يرمونها. ولهذا يمكن للمرء أن يعرف أنها لا قيمة لها."

— "ربما يعطيها لهم أصدقاؤهم لقراءتها في البواخر\*."

قالت: "لا شك في ذلك. ولا بد أنهم يتركون الكثير منها في البواخر\*."

— "وهو كذلك. وتحتفظ شركة النقل بهذه الكتب وتجلسدها لتكون مكتبات البواخر\*."

قالت: "هذا عمل ذكي، على الأقل يجلبونها بشكل لائق، وهكذا تغدو لذلك الكتاب قيمة\*."

اعتدت على التمشي على رصيف النهر بعد أن أنتهي من العمل أو عندما أفكر في موضوع ما. فمن الأيسر علي أن أفكر وأنا أمشي أو أفعل شيئاً ما أو أتطلع إلى الناس وهم يفعلون شيئاً

يفهمونه. وفي رأس جزيرة المدينة\* وتحت الجسر الجديد\* حيث ينتصب تمثال هنري كواتريه\* تنتهي الجزيرة في نقطة شبيهة بانحناء سفينة حادّة؛ ويوجد منتزه صغير على جرف النهر وفيه أشجار كستناء ضخمة ومنتشرة الأغصان، وفي مجرى الماء وفي البرك المحاذية لنهر السين، توجد أماكن ممتازة لصيد السمك. فأنت تبيط السلم إلى المنتزه وتراقب الصيادين هناك وتحت الجسر. وتتغير البقع الجيدة لصيد السمك بتغير منسوب مياه النهر. ويستعمل الصيادون عصا طويلة من الخيزران ذات مفاصل ولها سلك دقيق يلتف على مكوك خفيف؛ ويقومون بنسفر الطعم بمهارة في بقعة الماء التي يصطادون فيها. وكانوا دائماً يصيدون شيئاً من السمك المسمى بـ (الغجوم)\*، وهو نوع من السمك النهري مكتنز الجسم وأطيب مذاقاً من السردين الطري، ويغذو لذيذ الطعم عندما يلقى كاملاً، وأستطيع أن آكل منه ملء الصحن، ويؤكل عادة بأكمله مع عظامه الناعمة.

ومن أفضل الأماكن لتناول هذا السمك مطعم مقام في الهواء الطلق على ضفة النهر في منطقة (با مودون)\*، ونذهب إليه عادة عندما يتوفر لدينا المال ونرغب في القيام بنزهة بعيداً عن حارتنا. ويسمى هذا المطعم بالصيد العجيب\*، ويقدم نبيذاً أبيض رائعاً هو نوع من (الموسكادت)\*. واسم المطعم مقتبس من قصة لموباسان\* ويطل على منظر نهري يشبه لوحة من لوحات سيسلي\*. ولا يتحتم عليك أن تذهب بعيداً لتأكل سمك الغجوم،



فبمقدورك أن تحصل على هذا السمك مقلباً بصورة جيدة في جزيرة سان لوي.

تعرفت على كثير من الرجال الذين كانوا يمارسون صيد السمك في الأماكن المثمرة من نهر السين بين جزيرة سان لوي وساحة فيرت غالانت\*، وأحياناً، عندما يكون الجو صحواً، كنت أشتري لترأً من النبيذ ورغيف خبز وبعض النقانق، وأجلس في الشمس وأقرأ أحد الكتب التي حملتها معي وأشاهد الصيادين.

لقد وصف مؤلفو كتب الرحلات الرجال الذين يصطادون السمك في نهر السين وكأنهم حمقى لا يصيدون شيئاً، ولكن الصيد هناك عمل جدي ومنتج. فمعظم الصيادين متقاعدون ذوو رواتب تقاعدية محدودة، لم يعرفوا آنذاك أنها ستمسي لا قيمة لها مع التضخم، أو رجال يمارسون الصيد طوال النهار أو لنصف نهار بعد العمل. وثمة صيد أفضل في تشارنتون\*، حيث يصب نهر المارن\* في نهر السين، وعلى جانبي باريس، ولكن هناك صيد جيد كذلك في باريس نفسها. ولم أقم بالصيد في باريس لأنني لم أتوفر على عدة الصيد وأفضل أن أأخذ نقودي لأتمكن من صيد السمك في إسبانيا. وكذلك لأنني لم أعرف أبداً في ذلك الوقت متى سأنتهي من عملي، ولا متى يمكنني مغادرة مكثبي، ولم أريد أن أتقيد بصيد السمك الذي له أوقاته الجيدة وأوقاته الرديئة. ولكنني كنت أتابعه عن كثب، فمن الممتع والمفيد أن أعرف عنه، ويسعدني دائماً وجود رجال يصيدون السمك في المدينة ذاتها. وله مردود جدي ويعودون منه إلى أسرهم بشيء من السمك الصغير.

لم يكن بوسعي أن أشعر بالوحدة على شاطئ النهر مطلقاً وأنا محاط بصيادي السمك، وأشاهد الحركة في النهر، ومراكب الشحن الجميلة والحياة الخاصة على متنها، وسفن القطر ومداخنها العالية التي تطوي إلى الخلف للمرور تحت الجسور، وهي تجر المراكب خلفها، وأشجار الدرداء على ضفاف النهر الصخرية، وأشجار الدلب، وأشجار الحور المنتشرة في أماكن متفرقة. وبسبب وجود أشجار كثيرة في المدينة، يمكنك أن ترى الربيع وهو يقترب كل يوم حتى تهب ريح دافئة ذات ليلة وتجلبه معها فجأة في صباح واحد. وأحياناً يتراجع الربيع أمام الأمطار الباردة الغزيرة حتى ليخيل إليك أنه لن يأتي أبداً وأنت ستخسر فصلاً من حياتك. وذلك هو الوقت الحزين الوحيد في باريس لأنه ليس طبيعياً. توقعت أن تكون حزينا في الخريف، حيث يموت جزء منك كل عام عندما تتساقط الأوراق من الأشجار التي تتعري أغصانها بفعل الريح والضوء الشتائي البارد. بيد أنك تدرك أن الربيع سيحل دائماً، كما نعرف أن النهر سيجري مرة أخرى بعد أن يتجمد. وعندما يتواصل هطول الأمطار الباردة وتقضي على الربيع، تشعر كأن فتى يافعاً مات بلا سبب.

في تلك الأيام، وعلى الرغم من أن الربيع كان يسأتي آخر الأمر فإن من المريع أن يشرف على الفشل في محاولته الوصول إلينا.

## ربيع زائف

عندما يأتي الربيع، وإن كان ربيعاً زائفاً، فإنه لا توجد مشاكل  
ما عدا اختيار المكان الذي نسعد فيه أكثر من غيرهِ. والشئ  
الوحيد الذي يمكن أن يفسد عليك يومك هو الناس، وإذا كان  
بمقدورك أن تتحاشى الالتزام بمقابلتهم فإن كل يوم من أيامك يغدو  
بلا حدود. فالناس هم الذين يضعون دائماً حدوداً للسعادة باستثناء  
القليل منهم الذين لهم طبيعة الربيع نفسه.

وفي أيام الربيع كنت أعمل في الصباح الباكر وزوجتي ما  
تزال نائمة؛ والنوافذ مشرعة، وأرصفت الشوارع لمّا تجف بعد من  
أثر المطر، وكانت الشمس تتشرف وجوه المنازل المواجهة لنا فنتنا،  
والدكاكين ما فتئت مغلقة. ووصل راعي المعز إلى شارعنا وهو  
ينفخ مزماره، وخرجت امرأة كانت تقطن في الطابق الذي فوقنا  
إلى الرصيف وهي تحمل قدراً كبيراً. واختار راعي المعز معزة  
سوداء لها ضرع كبير وحلبها في القدر، في حين كان كلبه يدفع  
بقية المعزات إلى الرصيف. وأخذت المعزات في النظر إلى ما  
حولها وهي تدبر رقابها مثل أولئك الذين يشاهدون المناظر  
الطبيعية. وتناول الراعي النقود من السيدة وشكرها ثم واصل

سيره في الشارع وهو يعزف مزمارة، والكلب يسوق المعزات أمامه، وقرونها تهتز. واستأنفت الكتابة، وصعدت السيدة السلم ومعها حبيب المعز. وكانت تلبس حذاء ذا نعل ناعم ولم أسمع سوى تنفسها عندما توقفت على السلم عند بابنا ثم سمعت انغلاق بابها. وكانت هي الزبونة الوحيدة لراعي حبيب المعز في عمارتنا.

قررت أن أنزل لشراء صحيفة سباق الخيل الصباحية. ولا توجد حارة، مهما كانت فقيرة، لا تباع فيها نسخة على الأقل من صحيفة سباق الخيل. ولكن عليك أن تشتريها مبكراً في يوم كهذا. ووجدت نسخة من تلك الصحيفة في شارع ديكارت\* عند زاوية ساحة (كونتراسكارب)\*. ولتقيت المعزات وهي تسير في شارع ديكارت. واستنشقت الهواء وعدت بسرعة لأرتقي السلم وأنجز عملي. وراودتني رغبة البقاء في الخارج ومتابعة المعزات في الشارع في ذلك الصباح الباكر. ولكن قبل أن أستأنف عملي ألقيت نظرة على الصحيفة. كان السباق سيجري في (انغهاين)\*، وهي حلبة صغيرة جميلة كانت تعدّ حنة الفرس ضئيل الحظ في الفوز.

وهكذا بعد أن انتهيت من العمل ذلك اليوم كنا سنذهب لحلبة السباق. فقد وصلني شيء من المال من جريدة تورنتو\* التي أنجزت بعض التحقيقات الصحفية لفائدتها. وكنا بحاجة لاستشارة إن وجدناها. وذات مرة راهنت زوجتي في حلبة (أوتي)\* على جواد يُسمى بـ (العنز الذهبي) وبلغت نسبة أرباحه المحتملة مائة وعشرين مقابل واحد، وكان متقدماً في السباق بعشرين مسافة

عندما سقط في القفزة الأخيرة وذهب معه من المال ما يكفينا سنة أشهر. وحاولنا ألا نتذكر ذلك أبداً، فقد كنا في وضع مالي جيد ذلك العام حتى سقط العنز الذهبي.

وسألتني (زوجتي): "هل لدينا المال الكافي حقاً للرهبان، يا تاتي؟"

— 'لا، ولكن سنراهن فقط بالمبلغ الذي نأخذه معنا. هل هنالك شيء آخر نودين إنفاق المال عليه؟"

قالت: "حسناً،..."

— "أعرف. أننا في ضائقة منذ مدة، وكنت أفتر عليك."

قالت: "لا، ولكن..."

أعرف كم كنت قاسياً وكيف كانت الأحوال سيئة. إن من يقوم بعمله ويشعر بالرضى عنه لا يزعجه الفقر. كنت أتمنى أن يكون لنا حوض الاستحمام (البانيو) والنش والمرحاض العصري أسوة بأناس أقل منزلة منا يتوفرون عليها، وهي أشياء نتمتع بها عندما نسافر، وكثيراً ما نسافر. كان هنالك دائماً الحمام العمومي في آخر الشارع قرب النهر. ولم تشك زوجتي أبداً ولا مرة واحدة في حين بكت عندما سقط العنز الذهبي. أذكر أنها بكت على الجواد وليس على المال. تصرفت بغباء عندما احتاجت إلى سترة صوفية رمادية اللون ولكنها أعجبتني كثيراً بعد أن اشترتها. وتصرفت بغباء بشأن أشياء أخرى كذلك. وكأنت تصرقاني جميعها جزءاً من معركتي ضد الفقر، وهي معركة لا تكسبها إلا بعدم الإنفاق، خصوصاً إذا كنت تقتني اللوحات بدلاً من

الملابس. ولكننا آنذاك لم نفكر بأننا فقراء. لم نقبل تلك الفكرة. كنا نعتقد أننا أرفع منزلة من أولئك الأغنياء الذين نحتقرهم ولا نشق بهم، ونحن محقون في ذلك. ولم يبدو لي غريباً أن ألبس كنزة بدلاً من الملابس الداخلية للدفع، فذلك يبدو شاذاً للأغنياء فقط. كنا نأكل جيداً وبثمن بخس، ونشرب جيداً وبثمن بخس، وننام جيداً، ونتدافأ معاً، ويحب أحدها الآخر.

قالت زوجتي: "أظن أنه حان الوقت لذلك، فنحن لم نذهب إلى حلبة السباق منذ وقت طويل. سنأخذ غداً وشيئاً من النبيذ معنا. سأعدّ شطائر لذيذة."

— "سنذهب بالقطار، فذلك أرخص. ولكن لنبقَ إذا كنت تفضلين ذلك، فأَي شيء نفعله اليوم سيكون ممتعاً، فهو يوم رائع." — "أرى أنه ينبغي أن نذهب."

— "ألا تفضلين أن تنفقي النقود على شيء آخر؟"

— "لا"، قالت بشمم، وكان لها خدان بارزان جميلان يناسبهما الشمم. وأضافت: "من نحن، على أي حال؟"

وهكذا توجهنا بالقطار من محطة الشمال مخترقين أوساخ أحياء المدينة وأكثرها كآبة، ثم مشينا من محطة الوصول إلى حلبة السباق. كنا مبكرين، فوضعت معطفي المطري على العشب الندي وجلسنا عليه وتناولنا غداً وشربنا من قنينة النبيذ، ونحن ننظر إلى المدرج القديم، وأكشاك الرهان الخشبية البنية اللون، والعشب الأخضر الذي ينمو بين مسارات حلبة السباق ويزداد اخضراراً عند الحواجز الخشبية، والبرك ذات الماء اللامع التي

يتعين على الخيول أن تثب فوقها، والجدران الحجرية المطلية باللون الأبيض، ومواقف الخيول وقضبانها البيضاء المقامة تحت الأشجار المورقة حديثاً، وقد أخذت أوائل الخيول تقد إليها. وشربنا مزيداً من النبيذ، ودرسنا عناصر السباق في الجريدة، ثم استأققت زوجتي علي معطفي المطري لتنام والشمس ترسل أشعتها إلى وجهها. وذهبت لأجد شخصاً كنت أعرفه منذ أيام سان سيرو\* في ميلانو\*، وأعطاني اسمي جواندين:

— "تذكر" إنهما ليسا استثماراً هاماً، ولكن لا تدع الثمن يبتطك."

وربحنا الأول بنصف المال الذي كان يتعين علينا إنفاقه، ودفع لنا اثني عشر مقابل واحد، وكان يثب بصورة جميلة، وظل في طليعة السباق، وبلغ النهاية متقدماً بأربع مسافات. وادخرنا نصف ما ربحنا ووضعناه جانباً، ثم راهنا بالنصف الثاني على الحصان الآخر، الذي انطلق في المقدمة طوال الميدان واثب فوق الحواجز، محتقظاً بتقدمه على الأرض المنبسطة كذلك، ولكن قبيل خط النهاية تقم عليه الحصان المفضل وهما تحت لهيب السياط. وذهبنا لتناول كأس من الشمبانيا في الحانة الواقعة تحت المدرج منتظرين إعلان النتائج.

وقالت زوجتي: "يا إلهي، إن السباق شديد الوطأة على الناس. أرايت كيف تقم عليه ذلك الحصان؟"  
— "ما زلت أحسّ بذلك في أعماقي."  
— "ما الربع الذي سيحقق؟"

— "ثمانية عشر لوحد طبقاً للجدول. ولكن ربما راهن عليه  
الناس كثيراً في الأخير."

ومرت الخيول، وكان جوادنا مبتلاً، ومنخراه يتسعان ليتنفس،  
والجوكي يربت عليه.

وقالت زوجتي: "المسكين. نحن نراهن فقط."

وراقبنا الخيول تمرّ بالقرب منا، وتناولنا كأساً أخرى من  
الشمبانيا، ثم أعلنت أسعار الأرباح: ٨٥. وهذا يعني أن الجواد  
الرابح يدر ٨٥ فرنكا لكل عشرة فرنكات.

وقلت: "لا بدّ أنهم راهنوا بكثير من المال في الأخير."  
ولكننا حقّقنا ربحاً وفيراً، مالا كثيراً بالنسبة لنا. والآن صار  
عندنا الربيع والمال كذلك. وشعرت بأن ذلك كل ما ينقصنا. وفي  
مثل ذلك اليوم كان كل واحد منا يحتفظ بربع الأرباح لينفقه،  
وتدخر النصف الباقي بمثابة رأس مال للسباق القادم. وكنت أخبئ  
رأس المال المخصص للرهان في معزل عن بقية المال.

وفي يوم آخر في نهاية ذلك العام، وبعد أن عدنا من إحدى  
رحلاتنا وأصبنا حظاً حسناً من سباق الخيل مرة أخرى، توقّفنا  
عند مطعم (برونيير)\* ونحن في طريقنا إلى المنزل. ودخلنا  
وجلسنا بعد أن تفحصنا المأكولات الشهية المعروضة مع أسعارها  
في واجهة المحل، وتناولنا محاراً وسرطان البحر المكسيكي مع  
كوّوس من نبيذ (السانسير)\*. ثم عدنا مشياً مخترقين حدائق  
(التويلري)\* في الظلام. وتوقّفنا برهة ننظر إلى قوس الكاروسل\*  
عبر الحدائق المعتمة، وأضواء ميدان (الكونكورد)\* وراء العنّمة



ثم الخط الطويل من الأضواء الممتد إلى قوس النصر\* . وبعد ذلك نظرنا إلى الخلف باتجاه متحف اللوفر\* المظلم، وقلت: " هل تظنين حقا أن الأقواس الثلاثة هي في خط واحد؟ هذان القوسان هنا وقوس السرميون\* في ميلانو؟"

— " لا أعرف، يا تاتي. يقولون ذلك، ولا بد أنهم يعرفون. أتذكر عندما خرجنا في الربيع على الجانب الإيطالي من سانت برنارد\* بعد أن تسلقنا في الجليد، وهبطنا أنا وأنت وتشنك\* طوال النهار في ذلك الربيع إلى أوستا\*؟"

— " لقد أطلق تشنك على نزهتنا تلك اسم (عبر سانت برنارد في أحذية عادية)؛ هل تتذكرين حذاءك يومها؟"

— " حذائي المسكين. هل نتذكر أننا تناولنا كؤوساً من سلطة الفواكه في مطعم بيفي\* في الكلاريا\* مع كابري وخوخاً طازجاً وفراولة بريّة بالتلج في أقداح طويلة؟"

— " ذلك هو الوقت الذي أخذتُ أتساءل فيه عن الأقواس الثلاثة."

— " أتذكر قوس السرميون. إنه يشبه هذا القوس."

— " هل تذكرين الفندق في (ايغل)\* حيث جلست أنت وتشنك في الحديقة ذلك اليوم تقرأن بينما كنتُ أنا أصيد السمك؟"

— " نعم، يا تاتي."

وتذكرت نهر الرون\*، ضيقاً رمادياً مليئاً بالماء المتلج، وعلى جانبيه المجريان المليونان بسمك السلمون: الستوكالبر\* وقناة

الرون \* . كان الستوكالبر صافياً حقاً ذلك اليوم، أما قناة الرون فكان ماؤها كدراً.

— " هل تذكرين أشجار البلوط المزهرة، وكيف حاولتُ أن أتذكر قصة كان رواها لي جيم غامبل \*، على ما أظن، عن كرمة الوستاريا \* المتسلقة، ولم أستطع أن أتذكرها؟ "

— " نعم، يا تاتي، وكنت أنت وتشنك تتحدثان دائماً عن كيفية جعل الأشياء تبدو حقيقية في الكتابة، بوضعها مباشرة ومن دون وصف. أتذكر كل شيء. كان مصيباً في بعض الأحيان، وكنت أنت على حق في أحيان أخرى. أتذكر الأضواء، والمضامين، والأشكال التي كنتم تناقشانها. "

والآن وبعد أن خرجنا من بوابة الحديقة اخترقنا اللوفر وقطعنا الشارع لنقف على الجسر، منحنيين على حاجزه الحجري متطلعين إلى النهر تحتنا.

قالت لي هادلي : " كنا الثلاثة نتجادل حول كل شيء، وحول أشياء بعينها، ويتندر بعضنا على بعض. أتذكر كل شيء فعلناه وكل شيء قلناه طوال تلك الرحلة. أتذكر كل شيء حقاً، كل شيء. عندما كنت وتشنك تتحدثان، كنت أشارك في الحديث، ولا أبقى مجرد زوجة كما هو الحال في شقة الأنسة شتاين. "

— " أتمنى أنني أستطيع أن أتذكر قصة كرمة الوستاريا المتسلقة. "

— " لم تكن مهمة. كان النبيذ هو المهم، يا تاتي. "

— " هل تذكرين أنني جلبت معي بعض النبيذ من إيغل إلى الشاليه. لقد باعوه لنا في الفندق. وقالوا ينبغي أن نتناوله مع السمك. وجلبناه ملفوفاً بنسخة من جريدة غازيت دي لوسيرن\*، على ما أظن."

— " وكان نبيذ السيون\* أفضل منه. أتذكر كيف طهت السيدة غانجسويش\* سمك السلمون عندما عدنا إلى الشاليه؟ لقد كان سمكاً لذيذ الطعم، يا تاتي، وشربنا نبيذ السيون والتهنكا الطعام على الشرفة، وكان سفح الجبل ينحدر تحتنا، وكان باستطاعتنا أن نرى عبر البحيرة الدنت دي ميدي\* ونصفها مغطى بالجليد، والأشجار على مصب نهر الزون الذي يلقي بمياهه في البحيرة."

— " إننا دائماً نفتقد تشنك في الشتاء والربيع."

— " دائماً. وأفنقده الآن عندما انتهى كل شيء."

كان تشنك جندياً محترفاً، وذهب إلى مونز\* بعد أن تخرج من ساندهيرست\*. التقينا به أول مرة في إيطاليا، وكان صديقي الحميم ثم صار صديقنا المفضل لوقت طويل. وكان يمضي إجازاته معنا في ذلك الوقت."

— " كان سيحاول الحصول على إجازة في الربيع المقبل. لقد كتب إلينا من كولونيا\* في الأسبوع الماضي."

— " أعرف. يجب أن نعيش في هذا الوقت الراهن ونتمتع بكل لحظة فيه."

— " إننا نشاهد الماء الآن وهو يضرب دعامة الجسر. ترى ما الذي نراه إذا نظرنا إلى أعالي النهر؟"

ونظرنا فألفيناها كلها أمامنا: نهرنا ومدينتنا وجزيرة مدينتنا.  
قالت: "إننا محظوظون. أمل أن يأتي تشنك، فهو يعتني بنا."  
— "إنه لا يظن ذلك."  
— "طبعاً لا."  
— "إنه يظن أننا نستكشف معاً."  
— "وهو كذلك، ولكن يعتمد على ما نستكشف."  
ومشينا عبر الجسر وأصبحنا على ضفة النهر حيث نسينا.  
وقلت: "هل أنت جائعة من جديد بعد أن تحدثنا وتمشينا  
طوال الوقت؟"  
— "طبعاً يا تاتي، ألسنت جائعاً أنت كذلك؟"  
— "لنذهب إلى مطعم فاخر ونتناول عشاء رائعاً."  
— "أين؟"  
— "في مطعم ميتشو\*."  
— "ذلك رائع، والمطعم قريب جداً من هنا."  
وهكذا سرنا في شارع سان بيرس حتى زاوية شارع  
جيكوب، وكنا نتوقف ونلقي نظرة على واجهات المحلات بما فيها  
من لوحات وأثاث. ووقفنا خارج مطعم ميتشو لنقرأ قائمة الطعام  
المعلقة على واجهته. كان المطعم غاصاً بالزبائن وانتظرنا حتى  
خرج بعضهم، وفي أثناء ذلك كنا نراقب الطاولات التي انتهى  
أصحابها من تناول قهوتهم.  
كنا جائعين من جديد بسبب المشي، وكان مطعم ميتشو مثيراً  
لشهيتنا، وغالباً بالنسبة لنا. وهناك رأينا جويس\* وعائلته: هو

وزوجته بجانب الحائط، وكان يمسك بقائمة الطعام بإحدى يديه ويحدّق فيها من خلال نظارتيه السميكتين، وكانت نورا\* إلى جانبه متفتحة الشهية ولكنها رهيفة الصحة؛ وكان جورجيو\* نحيفاً، أنيقاً، ناعم الشعر؛ وكان لابنته لوسيا\* شعر كثّ مجعد، ولم تكن آنذاك قد كبرت بعد، وكانوا جميعاً يتحدثون بالإيطالية.

وعندما كنت واقفاً هناك، تساءلت عما شعرنا به فوق الجسر وهل كان مجرد جوع. سألت زوجتي فقالت: " لا أدري، يا ناتي. هناك أصناف عديدة من الجوع ، وتزداد أثناء الربيع. ولكن ذلك انتهى الآن. والذكرى جوع.

كنت أتصرف بغباء. نظرت من خلال النافذة فرأيت سمكتين على مائدة، فأدركت أنني جائع بالمعنى البسيط للجوع. — " قلت إننا محظوظون اليوم. وهو كذلك طبعاً. ولكن توفّرت لنا النصيحة الصادقة والمعلومات الدقيقة. " ضحكت وقالت:

— " لم أقصد بقولي الحظّ الذي أصابنا في سباق الخيل. أنت تأخذ الكلام حرفياً. قصدت أننا محظوظون بمعنى آخر. " — " لا أظن أن تشنك يهتمّ بسباق الخيل. " قلت ذلك، متمادياً في تعقيد غباوتي.

— " لا، إنه يهتمّ به إذا كان يمتطي الجواد بنفسه. " — " ألا تريدان أن نذهبي إلى سباق الخيل مرة أخرى؟ " — " طبعاً، والآن نستطيع أن نذهب إلى هناك مرة ثانية متى

ما شئنا "

— "ولكن أتريدون الذهاب حقاً؟"

— "طبعاً، وأنت أيضاً، أليس كذلك؟"

وبعد أن دخلنا مطعم ميشو تناولنا وجبة شهية، ولكن بعد أن انتهينا لم يعد ثمة جوع، بيد أن الشعور الذي انتابنا بما يشبه الجوع عندما كنا فوق الجسر ما زال فينا عندما صعدنا الحافلة في طريقنا إلى المنزل. وظل ذلك الشعور فينا بعد ولوجنا غرفتنا وتطارحنا الغرام في الظلام. وعندما استيقظت في الليل والشبابيك مشرعة وضوء القمر على سطوح المنازل العالية، كان ذلك الشعور ما زال يقض مضجعي. وأشحت بوجهي عن ضوء القمر إلى الظل، غير أنني لم أستطع النوم وبقيت أفكر في ذلك الشعور. وقد استيقظ كلانا مرتين في تلك الليلة، والآن تنام زوجتي بكل حلاوة وضوء القمر يغمر وجهها. وكان عليّ أن أفكر في الأمر، وأنا في غاية الغباء. وعندما استيقظت في الصباح بدت الحياة لي في منتهى البساطة والربيع المبكر قد حل في المدينة، وسمعت مزمار بائع الحليب مع قطيعه من الماعز، وخرجت لجلب جريدة سباق الخيل.

بيد أن باريس مدينة قديمة جداً وكنا شابين يافعين وليس هنالك شيء سهل، ولا حتى الفقر ولا المال المفاجئ، ولا ضوء القمر، ولا الصحيح والخطأ، ولا تنفس امرأة مضطجة إلى جانبك في ضوء القمر.

## نهاية هواية

ذهبنا معاً إلى سباق الخيل عدة مرات ذلك العام وأعواماً أخرى ثلثه، وكنا نذهب بعد انتهاء عملي في الصباح الباكر، واستمتعت هادلي بالسباقات، وشغفت بها أحياناً. ولكنها لم تكن بمثل متعة تسلق مروج الجبال المنيفة المطلة على الغابة، ولا بمثل متعة العودة ليلاً إلى الشاليه، ولا بمثل متعة السير في ممر جبلي عال في ريف جديد مع صديقنا الحميم تشك. وفي الحقيقة لم يكن ذلك السباق سباق خيل وإنما كان رهاناً على الخيل، ولكننا كنا نسميه سباقاً.

لم يشكّل سباق الخيل حاجزاً بيننا؛ الناس فقط يستطيعون أن يفعلوا ذلك، ولكن لوقت طويل بقي سباق الخيل قريباً منا مثل صديقة ملحفة. ووصف السباق بهذا الشكل نوع كريم من التفكير. فأنا الذي أعد نفسي شخصاً مستقيماً لا يرضى بالحق الأذى بالناس أو تدميرهم، احتملت هذه الصديقة الزائفة، الجميلة، للمثيرة، الشريرة، والملحفة؛ لأنها كانت من الممكن أن تدر عليّ بعض الربح. ولكي تكون مربحة، فإنها تتطلب عملاً يستغرق الوقت كله، ولم يكن لدي وقت لذلك. غير أنني سوّغت في نفسي

هوسي بالسباق بأنني كتبت عنه، على الرغم من أنني في النهاية، فقدت جميع ما كتبت ما عدا قصة واحدة عن سباق الخيل نجت، لأنها كانت قد أرسلت بالبريد.

والآن أصبحت كثيراً ما أذهب إلى سباقات الخيل وحيداً، ووجدت نفسي متورطاً فيها ومشوشاً بها كذلك. كنت أراهن في حلبتين في موسم السباقات كلما كان ذلك في استطاعتي: أوتّي\* وأنغهاين\*. ويتطلب تحقيق التكافؤ في السباق (بحيث تخرج بلا ربح ولا خسارة) عملاً لوقت طويل، ومع ذلك فأنت قد لا تربح شيئاً بتلك الطريقة. وهذا مجرد تقديرات على الورق. ويمكنك طبعاً أن تشتري جريدة تبين لك ذلك.

عليك أن تراقب سباق القفز فوق الحواجز من منصة المشاهدين في أوتّي. وتبذل جهداً كبيراً لتلاحظ ما يفعل كل فرس، وترى الفرس الذي كان من الممكن أن يربح ولم يتسنَّ له ذلك، وترى لماذا وربما كيف لم يفعل ما كان يمكنه أن يفعل ليربح. وتراقب الأثمان وجميع التحويلات التي تطرأ على الأرباح في كل مرة يشارك جوادك المفضل في السباق، وعليك أن تعرف كيف يعمل، وأخيراً ينبغي عليك أن تعرف متى يحاول أصحابه إشراكه في السباق. ومن المحتمل أن يخسر كلما شارك في السباق، فعليك أن تعرف آنذاك ما هي فرص نجاحه. إنه عمل شاق، ولكن في أوتّي يبدو كل شيء جميلاً وأنت تشاهدهم يتسابقون، عندما تتمكن من الحضور وترى السباقات النظيفة التي تتبارى فيها جياد مطهّمة، وتتعرف على حلبة السباق جيداً، وتتعرف أخيراً على



العديد من الأشخاص من الفرسان والمدربين وأصحاب الخيول،  
وجياد عديدة وأشياء كثيرة.

كنت لا أراهن إلا إذا كان لديّ جواد معين أراهن عليه. هذا  
من حيث المبدأ ، ولكن يحدث أحياناً أن أرى خيولاً لا يظن بها  
أحد خيراً سوى الرجال الذين يدرّبونها أو يمتطونها وقد ربحت  
السباق تلو السباق وكنت أراهن عليها. وتخلّيت أخيراً عن الرهان  
في سباقات الخيل؛ لأنه يستلزم كثيراً من الوقت ولأنني وجدت  
نفسي متورطاً جداً وأعرف الكثير عما كان يحدث في أنغهاي  
وفي حلبات سباق الجري كذلك.

لقد سررت عندما توقفت عن الانهماك في المشاركة في  
السباقات، بيد أن ذلك خلف فراغاً لديّ. وتعلّمت آنذاك أن أي  
شيء زينة كان أو شيئاً يترك فراغاً عندما ينتهي. ولكن إذا كان  
شيئاً فإن الفراغ يمتلئ تلقائياً. أما إذا كان زينةً فإنك لا تستطيع  
ملء الفراغ الذي يخلفه إلا إذا وجدت شيئاً أفضل. وأعدت  
المصروف المخصّص للرهان إلى المصروف العام، وشعرت  
بالارتياح.

وفي اليوم الذي تخلّيت فيه عن السباق عبرت إلى الضفة  
الأخرى من النهر والتقيت صديقي (مايك وأرد)\* في مكتب  
الأسفار بمؤسسة الائتمان التي كانت تقع يومئذ في ملتقى شارع  
الإيطاليين\* وجادة الإيطاليين\*. ذهبت لأودع رأسمال السباق  
ولكن دون أن أخبر أحداً بذلك. ولم أسجل تلك الوديعة في دفتر  
شيكاتي وإنما حفظتها في ذاكرتي.

وسألت مايك: " أتريد أن نتناول طعام الغداء؟"  
— " بالتأكيد، يا فتى، نعم أستطيع أن أفعل ذلك. ولكن ماذا  
حدث، ألسنت ذاهباً إلى حلبة السباق اليوم؟"  
— " لا."

• وتناولنا طعام الغداء في ساحة لوفوا\* في حانة جيدة مع نبيذ  
أبيض رائع. وفي الجهة الثانية من تلك الساحة تقع المكتبة  
الوطنية.

— " أنت لم تذهب إلى حلبة السباق كثيراً، يا مايك؟"  
— " لا، منذ وقتٍ طويل."  
— " لماذا تخلّيت عنه؟"

قال مايك: " لا أدري." ثم استدرك قائلاً: " بلى، أعرف  
بالتأكيد. كل شيء تراهن عليه ويصيبك منه أذى لا يستحق  
المشاهدة.

— " ألا تذهب إلى حلبات السباق أبداً؟"  
— " أحياناً لمشاهدة سباق كبير تتبارى فيه خيول مشهورة."  
ووضعنا الخبيصة على الخبز الشهي وشربنا النبيذ الأبيض.  
— " وهل تابعت السباقات كثيراً."  
— " نعم."

— " وأي أنواع السباق أفضل في رأيك؟"  
— " سباق الدراجات الهوائية."  
— " حقاً؟"

— " لأنك لا تراهن عليه، وإنما تشاهده فقط."

— "أما سباق الخيل فإنه يأخذ منك وقتاً طويلاً."  
— "نعم، يستغرق وقتاً طويلاً جداً. إنه يستغرق جميع وقتك.  
ولا أحب الناس هناك."  
— "كنت مولعاً جداً به."  
— "بالتأكيد. وهل كنت على ما يرام؟"  
— "لا بأس."  
وقال مايك: "من الأفضل أن تتوقف."  
— "لقد توقفت."

— "صعب أن تفعل ذلك. اسمع يا فتى، سنذهب إلى سباق  
الدراجات الهوائية يوماً ما."  
لقد كان ذلك شيئاً جديداً ولطيفاً لا أعرف عنه إلا اليسير.  
ولكننا لم نبدأ مباشرة، وإنما حصل ذلك فيما بعد. وقد أضحي  
جزءاً كبيراً من حياتنا بعد أن تلاشى الجزء الآخر من باريس.  
ولكن لوقت طويل، كان يكفيننا أن نعود فقط إلى حيننا في  
باريس بعيداً عن حلبة السباق وأن نراهن على حياتنا وعملنا، أو  
نراهن على رسامين نعرفهم، وألا نعيش من القمار أو سَمَه أي  
اسم آخر. لقد أخذت أكتب عدة قصص قصيرة عن سباق  
الدراجات الهوائية، ولكن لم أكتب قصة لها روعة تلك السباقات  
نفسها، سواء ما كان يجري منها في قاعة مغطاة أو في حلبة  
مكشوفة أو على الطرق. ولكني سأذكر ميدان الدراجات الشتوي  
في ضوء المساء الضبابي بمساراته الخشبية المرتفعة وأريز  
عجلات الدراجات على الخشب حينما يمر المتسابقون، والجهد

الذي يتلونه والتقنيات التي يستعملونها في صعودهم وهبوطهم، وكل واحد منهم ملتصق بدراجته كأنه جزء منها. سأذكر سحر سباق المسافات المتوسطة، وضجيج الدراجات النارية التي كان يمتطيها المدربون وهم يرتدون خوذةم للتقليل الواقية ويتكئون إلى الخلف بملابسهم الجلدية الفضفاضة لحماية المتسابقين خلفهم من مقاومة الهواء؛ وكان المتسابقون يرتدون خوذة أخف وكل واحد منهم منحني على مقود دراجته وساقاه تدبران عجلة المحرك المسننة، والعجلات الأمامية الصغرى تلامس مؤخرة الدراجات البخارية التي توفر الحماية للمتسابقين، والمنافسات الأكثر إثارة من أي شيء آخر وسط ضوضاء الدراجات النارية، وهم كتفاً لكتف وعجلة لعجلة صعوداً وهبوطاً ودوراناً بسرعة قاتلة حتى إذا لم يعد بمقدور أحدهم الحفاظ على السرعة المطلوبة تخلف عن المجموعة وهكذا يرتطم به جدار الهواء الذي كان يصدّه عنه المدربون.

كانت هنالك أنواع متعدّدة من السباق. فهناك السباقات القصيرة إما على أشواط وإما دفعة واحدة. وفي النوع الأخير يحاول أحد المتسابقين التخلف للحظات من أجل أن يجعل منافسه يتقدّم عليه، قبل أن ينقضّ عليه وهو في أقصى سرعته. وهنالك سباقات الفرق لمدة ساعتين وتتكون من سلسلة من سباقات سريعة قصيرة تستغرق وقت العصر كله. وهنالك عروض لراكب واحد ينطلق في سرعة قصوى. وهنالك السباقات الجميلة والخطيرة جداً لمسافة مائة كيلومتر، وكانت تجري في الميدان الخشبي الكبير

الذي يبلغ طوله خمسمائة متر والكائن في ملعب بوفالو\* المفتوح في الهواء الطلق في مونتروغ\*، حيث يجري المتسابقون خلف دراجات نارية كبيرة. وأذكر لينارت\*، البطل البلجيكي العظيم، الذي كانوا يلقبونه بـ (السيوكس)\* بسبب ملامح وجهه، وهو يحني رأسه ليحتسي براندي الكرز من قنينة بلاستيكية مخبأة تحت قميصه كلما احتاج إلى ذلك ليزيد من سرعته الجنونية قرب خط النهاية. وأذكر المباريات التي تجري لإحراز بطولة فرنسا خلف الدراجات النارية الكبيرة وهي تتطلق على مسار إسمنتي طوله ستمائة وستون متراً في منتزه الأمير\* قرب بلدة أوتي، وهو أخطر المسارات قاطبة، وقد شاهدنا عليه المتسابق العظيم غاناي\* وهو يسقط من دراجته وسمعنا جمجمته تنهشم تحت خوذته كما تكسر بيضة مسلوقة على حجر قبل تفجيرها في نزهة. يجب أن أكتب عن العالم العجيب الذي كانت تجري فيه سباقات تستمر مدة ستة أيام وعن روائع طريق السباق في الجبال. واللغة الفرنسية هي الوحيدة التي كتب فيها عن تلك السباقات بصورة جيدة، فجميع المصطلحات اللازمة متوفرة فيها. وهذا ما يجعل كتابتي عن تلك السباقات (بالإنجليزية) أمراً صعباً. وكان مايك مصيباً، فلا حاجة للرهان. ولكن ذلك سيحدث في وقت آخر في باريس.

## الجوع تهذيب جيد

ستشعر بالجوع كثيراً في باريس إذا لم تأكل بما فيه الكفاية؛ لأن جميع المخازن تعرض حلويات لذيذة في واجهاتها، والناس يأكلون خارج المقاهي والمطاعم على طاولات موضوعة على أرصفة الشوارع. وهكذا فأنت ترى الطعام وتشم رائحته. وعندما تكون قد تخلّيت عن الصحافة ولا تكتب شيئاً يشتريه أحد في أمريكا، وتقول لزوجتك إنك تتناول طعام الغداء مع صديق خارج المنزل، فإن أفضل مكان تذهب إليه حدائق اللكسمبورغ، فأنت لا ترى ولا تشم شيئاً يؤكل طوال الطريق من ساحة المرصد إلى شارع فوجيرار. ومن هناك يمكنك دوماً أن تذهب إلى متحف اللكسمبورغ\* حيث تبدو جميع اللوحات أكثر وضوحاً وحدةً وجمالاً إذا كنت خاوي المعدة جائعاً. لقد تعلمت أن أفهم سيزان\* بشكل أفضل وأدركت الكيفية الحقيقية لرسمه المناظر الطبيعية، عندما كنت جائعاً. وكنت أتساءل ما إذا كان سيزان جائعاً كذلك عندما رسم لوحاته، ولكن افترضت أن من الممكن أنه نسي فقط أن يأكل. إنها واحدة من الأفكار غير القيمة لكن المضيئة التي

تراودك وأنت تعلنني السهاد أو الجوع. وفي وقت لاحق خيل إلي  
أن سيزان كان جائعاً بطريقة مختلفة.

وبعد أن تخرج من لكسمبورغ بوسعك أن تمشي إلى ساحة  
سان سلبيس\* مروراً بشارع فرو الضيق، وهناك لا توجد مطاعم  
كذلك، وإنما مجرد ساحة هادئة بمصاطبها وأشجارها. ثم نافورة  
وتمائيل أسود، وحمام تغدو وتروح على الرصيف وتطير وتحط  
على تمائيل الأساقفة. وهناك الكنيسة، وهناك نكاكين في الجانب  
الشمالي من الساحة تباع المواد الدينية والأردية الكهنوتية.

ومن تلك الساحة لا تستطيع مواصلة السير باتجاه النهر دون  
المرور بحوانيت تباع الفواكه والخضراوات والخمور، أو  
بحوانيت الخبز والحلويات. بيد أنك إذا اخترت طريقك بعناية  
يصير بمقدورك أن تلتف إلى اليمين حول الكنيسة المبنية بالحجر  
البنّي والأبيض لتصل إلى شارع الأوديون\* وتستدير إلى يمينك  
باتجاه مكتبة سلفيا بيتش، وفي طريقك هذا لا تمرّ بأماكن كثيرة  
تعرض المأكولات للبيع. فقد كان شارع الأوديون خالياً من أماكن  
الأكل حتى تصل الساحة حيث توجد ثلاثة مطاعم.

وفي الوقت الذي نصل فيه إلى ١٢ شارع الأوديون تكون قد  
تمالكت جوعك ولكن بصيرتك أضحت أشد حدة. ستبدو الصور  
مختلفة وسترى كتباً لم ترها من قبل.

وستقول سلفيا: "إنك نحيف جداً، يا همنجواي. هل تأكل ما  
يكفيك؟"

— "طبعاً."

— " ماذا أكلت في وجبة الغداء؟ "  
وشعرت بمعدتي تفرّق وأنا أقول: " إنني في طريقي إلى  
المنزل لتناول الغداء."  
— " في الساعة الثالثة؟ "  
— " لم أدرك أن الوقت متأخر."  
— " قالت لي أدريان \* قبل مدة إنها تريد أن تدعوك وهانلي  
لتناول طعام العشاء. وسندعو فارك \*. أنت تودّ فارك، أليس  
كذلك؟ أو لاربود \*. أعرف أنك تودّه. أو أي شخص تودّه حقاً.  
أرجو أن تحدّث هانلي في ذلك."  
— " أعرف أنها تحبّ المجيء إليكم."  
— " سأرسل إليها بطاقة. لا ترهق نفسك في العمل الآن  
خاصة وأنت لا تأكل بصورة ملائمة."  
— " وهو كذلك."  
— " اذهب إلى المنزل الآن قبل أن يفوت وقت الغداء."  
— " سيحتفظون به لي."  
— " ولا تأكل طعاماً بارداً أيضاً. تناول طعاماً ساخناً جيداً."  
— " هل لديك أي رسائل لي؟ "  
— " لا أظنّ ذلك. ولكن دعني أتأكد."  
ألقت نظرة ووجدت قصاصة ورق عليها ملاحظة، قرأتها ثم  
فتحت بوبيا مغلقاً في مكتبها، وقالت:  
— " لقد وصلت هذه وأنا خارج المكتبة."



لقد كانت رسالة وشعرت كما لو كانت تحتوي على مال في داخلها.

قالت سلفيا: "ودركوب\*"

— "لا بد أنها من در كيرشنت\*، هل رأيت ودركوب؟"

— "لا، ولكنه كان هنا مع جورج. سيراك. لا تقلق. ربما يريد أن يسدد لك ما تستحقه أولاً."

— "إنها ستمائة فرنك. ويقول سيرسل إلي أكثر."

— "أنا مسرورة جدا لأنك ذكرتني بإلقاء نظرة، أيها السيد اللطيف جداً."

— "من المضحك حقاً أن تكون ألمانيا هي المكان الوحيد الذي أستطيع أن أبيع فيه أي شيء، له ولجريدة الأوقات الفرانكفورتية\*."

قالت مازحة: "أليس كذلك؟ ولكن لا تقلق أبداً. يمكنك أن تبيع بعض قصصك لفورد\*"

— "نعم بثلاثين فرنكاً للصفحة الواحدة. ولنقل قصة واحدة كل ثلاثة أشهر في مجلة (الترانس أتلانتك)\*. والقصة التي طولها خمس صفحات تساوي مائة وخمسين فرنكاً كل ثلاثة أشهر. أي ستمائة فرنك في السنة."

— "ولكن، يا همنجواي، لا تقلق بشأن ما ندره عليك قصصك الآن. المهم أنك تستطيع كتابتها."

— "أعرف. أستطيع كتابتها، ولكن لا أحد يشتريها، فمنذ أن تركت الصحافة لا أتوصل بالمال."

— " ستباع قصصك. انظر، فأنت تحمل في يدك ثمن واحدة منها.

— " آسف، يا سلفيا، سامحيني لأنني تحدثت عن هذا الموضوع.

— " على أي شيء أسامحك. تحدث إليّ دائماً عن هذا الموضوع أو غيره. ألا تعلم أن جميع الأنبياء يتحدثون عن متاعبهم؟ ولكن عدني بأنك سوف لا تقلق وتأكل ما يكفي.

— " أعدك.

— " إذن اذهب إلى المنزل الآن وتناول غداك.

وفي شارع الأوديون، خارج المكتبة، تقزّزت من نفسي لأنني شكوت إليها. فقد فعلت ما فعلت بمحض إرادتي، وبطريقة غبية. كان ينبغي عليّ أن أكل رغيف خبز كبيراً بدلاً من أن تُخطي وجبة طعام. يمكنني أن أتنوّق قشرة رغيف لذيذة. ولكنها جافة في الفم ما لم تشرب معها شيئاً. ما أسوأك من نفسك، أنت أيها القديس الشهيد الزائف القذر. قلت ذلك لنفسي. لقد تركت الصحافة برضاك. ولك حساب مع سلفيا، وكانت ستقرضك المال لو طلبت منها ذلك، كما أقرضتك عدة مرات من قبل، بالتأكيد. ثم فعلت أمراً آخر إذ ضحيت بشيء من أجل شيء آخر. فالجوع صحي والصور تبدو أفضل وأنت جائع. ولكن الأكل رائع كذلك وهل تعرف أين تذهب لتأكل الآن؟

ستأكل في (ليبس) \* وستشرب أيضاً.

وكانت مشية سريعة إلى ( ليس )، وكل مكان مررت فيه ولحظته بسرعة معدتي وعيني وأنفي أضاف متعة خاصة لتلك المشية. وجدت في المحل قليلاً من الناس، وعندما جلست على المصطبة جنب الحائط والمرأة خلفي والطاولة أمامي وسألني النادل ما إذا كنت أريد بيرة، طلبت ( الكأس المميز ) \* وهو قدح كبير يتسع للتر من البيرة، وطلبت سلاطة بطاطا.

كانت البيرة باردة جداً وبلذ شرابها. والبطاطا مقلية بالزيت والنبات، وزيت الزيتون شهياً. وأضفت شيئاً من الفلفل الأسود إلى البطاطا وغمست الخبز بزيت الزيتون. وبعد تناول جرعة كبيرة من البيرة أخذت أكل وأشرب بقوة. وعندما أتيت على البطاطا المقلية طلبت صحناً آخر منها ونقانق. والنقانق نوع من السجق شبيه بسجق فرانكفورت، وتكون عريضة ومشقوقة ومغطاة بصلصة خردل.

التهمت جميع الخبز والزيت والصلصة وشربت البيرة بتباطؤ إلى أن أخذت تفقد برودتها فأنتهيتها وطلبت نصف لتر آخر منها. وألقيت نصف اللتر أبرد من الكأس المميز، وشربت نصفه.

وقلت في نفسي إنني لم أكن قلقاً. كنت أعرف أن القصص جيدة وأن شخصاً ما سينشرها في نهاية المطاف في بلادي. وعندما توقفت عن القيام بالعمل الصحفي، كنت متأكداً من أن القصص في طريقها إلى النشر. بيد أن كل قصة بعثت بها عادت إلي. والذي جعلني واثقاً جداً هو أن ( أنورد براين ) \* أخذ قصة (شيخ) لكتابه (أحسن القصص القصيرة) ثم خصني بإهداء

الكتاب في ذلك العام. ثم ضحكت وشربت مزيداً من البيرة. وكانت تلك القصة لم تنشر في مجلة من قبل، وقد خرق جميع مبادئه ليضمّنها كتابه. وضحكت ثانية ونظر النادل إليّ بسرعة. لقد كان الأمر مضحكاً؛ لأنه بعد أن فعل كل ذلك أخطأ تهجّي اسمي في الكتاب. وكانت تلك القصة إحدى قصتين بقيتا بعد أن سُرق كل شيء كُتِبَته مع حقيبة هادلي في محطة قطار ليون عندما كانت تجلب مخطوطاتي إلى لوزان لتفاجئني بها، كي أتمكن من العمل عليها أثناء عطلتنا في الجبال. فقد وضعت الأصول والنسخ المطبوعة ونسخ الورق المصور (الكاربون) جميعاً في ملفات خفيفة وحملتها في حقيبتها. والسبب في نجات تلك القصة هو أن (لنكولن ستيفنس)\* كان قد أرسلها بالبريد لأحد الناشرين الذي أعادها. وهكذا فقد كانت في البريد عندما سُرقَت جميع القصص الأخرى. أما القصة الثانية التي نجت فعنوانها (هناك في مشيغان) كتبتها قبل أن تزورنا الأنسة شتاين في شقّتنا. ولم استنسخها لأنها قالت عنها إنها قصة لا يمكن تعليقها، ولهذا فقد بقيت في أحد الأدراج في مكان ما.

وبعد أن غادرنا لوزان وذهبنا إلى إيطاليا، أطلعت أوبراين\* على قصة السباق. وكان أوبراين رجلاً خجولاً شاحب الوجه له عينان زرقاوان شاحبتان وشعر خفيف طويل مسترسل يحلقه بنفسه، وكان يعيش آنذاك نزيراً في دير قرب رابالو\*. كنت أُمِرَ بفترة عصيبة ولم يثر بخلدي أنني سأستطيع أن أكتب أي شيء آخر، وعرضت عليه القصة من باب حبة الاستطلاع، كما لو

تعرض، بغباء، بوصلة سفينة فقدتها بطريقة لا تصدق ، أو كما  
تلتقط سائقك التي ما زالت تحتفظ بالجزمة بعد أن بترت إثر حادثة  
اصطدام وتروي نكتة عنها. وبعد أن قرأ القصة رأيت عليه ملامح  
التأثر أكثر مما تأثرت أنا. ولم أرَ شخصا في حياتي تألم أكثر منه  
لشيء غير الموت أو الألم الذي لا يُطاق إلا هادلي حينما أخبرتني  
عن فقدان قصصي. لقد بكّت وبكت ولم تستطع إخباري. وقلت لها  
مهما كان الأمر مريعاً فإنه لا يمكن أن يكون كارثياً لذلك الحد،  
ومع ذلك فليس عليها أن تقلق. سنجد حلاً. ثم أخيراً أخبرتني.  
وكنّت متأكداً من أنها لا يمكن أن تكون قد جلبت نسخ الكاربون  
كذلك، واستأجرت شخصاً ليقوم بعملية الصحفي، فقد كنت أكسب  
مالاً وفيراً حينذاك من الصحافة، وأخذت القطار المنجه إلى  
باريس، ولكنني ألفت أن ما ذكرته لي كان أمراً واقعاً، وأتذكر ما  
فعلته في تلك الليلة بعدما دخلت الشقة واكتشفت الحقيقة. لقد انتهى  
الأمر الآن وقد علمني تشنك ألا أناقش الإصابات والخسائر، ولهذا  
قلت لأوبراين أن لا بأسف. فربما كان من الأجدى لي أن أفقد أول  
أعمالي، وسردت عليه كل ذلك الهراء الذي يضاهي في غثه  
الطعام الذي يقدم للجنود. وقلت له إنني سأستأنف كتابة القصص  
مرة أخرى، وكنّت أحاول أن أكذبه القول لئلا يتألم من أجلي، وأنا  
عارف بالحقيقة.

وأخذت أتذكر في (ليبس) متى وانتهت القدرة على كتابة قصة  
قصيرة مرة أخرى بعد أن فقدت كل شيء. كان ذلك في (كورتينا  
أمبازو)\* عندما عدت لأتتحق بهادلي هناك بعد تزلج الربيع الذي

توجب عليّ أن أقطعه لأذهب في مهمة إلى (راينلاند) و (الروهر). وكانت قصة بسيطة جدا بعنوان (في غير أوانه)، وحذفت نهايتها الحقيقية، التي تتضمن قيام الرجل العجوز بشنق نفسه. وقد أجريت الحذف بناء على نظريتي الجديدة القائلة بأنك تستطيع أن تحذف أي شيء إذا كنت تعرف ما تحذف، وهذا الحذف سيقوي القصة ويجعل الناس يشعرون بأكثر مما فهموه.

وقلت في نفسي حسناً، الآن وقد كتبت قصصي فإنهم لن يفهموها. لا شك في ذلك. ومن الأكيد أنه لا يوجد طلب عليها. ولكنهم سيفهمونها بالطريقة التي يفهمون بها اللوحات الفنية. إنها مجرد مسألة وقت ويحتاج الأمر إلى شيء من الثقة بالنفس.

من الضروري أن تتحكم بنفسك بصورة أفضل عندما تضطر لتقليل طعامك لئلا تفكر كما يفكر الجوع. فالجوع نظام جيد وبإمكانك أن تتعلم منه. وما دام الآخرون لا يفهمونه فستكون لك ميزة عليهم. وقلت في نفسي، طبعاً أنا متقنٌ عليهم كثيراً الآن لأنه ليس بوسعي تناول الطعام بصورة منتظمة. وليس بالأمر السيئ إن هم لحقوا بي قليلاً.

أدركت أنه يجب عليّ أن أكتب رواية. ولكن ذلك شيء مستحيل في وقت كنت أواجه فيه صعوبة بالغة عندما أكتب فقرات لا تشكل إلا مجرد قطرات في رواية. كان من الضروري أن أكتب قصصاً أطول الآن، كما لو كنت تتمرن استعداداً لسباق طويل. وعندما كتبت رواية من قبل، أعني تلك الرواية التي فقدت في الحقيبة التي سرقت في محطة ليون، كنت ما أزال أملك روح

الشباب الغنائية التي كانت تشبه الشباب في سرعة اندثاره وممرارة خداعه. وكنت أدرك أنه ربما كان من الأفضل لي أنني فقدتها، ولكنني كنت أعرف كذلك أنه ينبغي علي أن أكتب رواية. كنت سأؤجل كتابتها حتى لا يعود بوسعي إلا أن أكتبها. كان محكوماً علي أن أكتب رواية، لأن ذلك ما يجب أن أفعل إذا كنا نريد أن نأكل بانتظام. وإذا كنت سأكتبها فإنها ستكون الشيء الوحيد الذي أفعل ولا خيار لي غير ذلك. فليتصاعد الضغط عليّ. وفي تلك الأثناء سأكتب قصة طويلة حول أي شيء أعرفه.

وفي هذا الوقت كنت قد دفعت فاتورة المطعم وخرجت منه واستدرت إلى اليمين وعبرت شارع رين\* لكيلا أذهب إلى (مقهى القردين)\* لتناول القهوة كالعادة، وسرت نحو شارع بونابرت\* سالكا أقصر طريق إلى منزلي.

ما الشيء الذي كنت أعرفه جيداً ولم أكتب عنه؟ ما الشيء الذي كنت أعرفه حقاً وآبه به جداً؟ لا خيار لي على الإطلاق. كان الخيار الوحيد هو أن أسلك الشوارع التي تعود بي إلى مكان عملي. وهكذا دلفت من شارع بونابرت إلى شارع غنيمير\*، ثم إلى شارع آساس\*، وحتى شارع نوتردام دي شامب\*، ثم إلى بستان الليلك\*.

جلست في زاوية في ذلك المقهى وضوء الظهيرة ينساب على كتفي وأخذت أكتب في دفترتي. جلب إليّ النادل قهوة بالحليب، شربت نصفها وعندما بردت تركتها على الطاولة وأنا أكتب. وعندما توقفت عن الكتابة لم أشأ أن أفارق النهر حيث كنت

---

أشاهد السمك يسبح أمامي في الحوض، وكان سطح الماء يرتفع قليلاً بفعل مقاومة أعمدة الجسر للتيار. كانت القصة حول الرجوع من الحرب بيد أنه لا ذكر للحرب فيها.

ولكن في الصباح سيكون النهر هناك دائماً، وعليّ أن أضعه في مكانه وكذلك مناظر الريف وكل الأحداث. وسأفعل ذلك كل يوم في الأيام القادمة. ولا يهمني أي شيء آخر. وفي جيبتي النقود التي وصلتني من ألمانيا فليس ثمة مشكل. وعندما تنفذ تلك النقود سنأتى غيرها.

وكل ما يجب عليّ الآن أن أفعله هو أن أبقى في صحة جيدة ومرتاح البال حتى صباح الغد عندما أبدأ العمل مرة أخرى.



## فورد مادوكس فورد ومُريد الشيطان

كان (بستان الليلك) أقرب مقهى جيّد لنا عندما كنا نسكن في شقة تقع فوق المنشرة في البناية رقم ١١٣ في شارع (نوتردام دي شامب)، ويعدّ واحداً من أفضل مقاهي باريس؛ يتوفر في داخله الدفء في الشتاء؛ وفي الربيع والخريف يطيب الجلوس خارج المقهى إذ ترتب الطاولات تحت ظلال الأشجار على الرصيف بالقرب من تمثال المشير (المارشال) نبي\*، وفي الساحة توضع الطاولات الاعتيادية تحت مظلات كبيرة على طول الشارع. وقد أصبح اثنان من نذل هذا المقهى من أصدقائنا الطيبين. ولم يكن رواد مقهى (القبة)\* أو مقهى (الطارمة)\* يرتادون (البستان) أبداً. فهنا لا يعرفهم أحد، ولن يحقّ فيهم أحد لو جاءوا. ففي تلك الأيام كان الأدباء يذهبون إلى المقاهي الواقعة في زاوية شارع مونبرناس\* وشارع رسباي\* ليراهم الجمهور، وكانت تلك الأماكن قد سبقَت محرري الأعمدة الصحفية في توفير وسيلة يومية للشهرة والخلود.

وكان (بستان الليلك) المقهى الذي يلتقي فيه الشعراء بصورة منتظمة تقريباً، وآخر شاعر كبير ارتاده هو (بول فورد)\* الذي لم

يتسنى لي قراءة أشعاره، ولكن الشاعر الوحيد الذي شاهدته هناك هو (بليز سندرار)\*، ذو الوجه المعوج الشبيه بوجه ملاكم، وأحد أكمامه فارغة ومثبتة إلى الأعلى بدبوس، وهو يلف سيجارة بيده السليمة الوحيدة. و(سندرار) نديم جيد إلى أن يتمادى في الشرب، رحينذاك يأخذ في تليفق روايات كاذبة تفوق بامتاعها كثيراً للقصص الحقيقية الصادقة التي يسردها كثير من الناس. ولكنه كان الشاعر الوحيد الذي يرتاد مقهى (بستان الليلك) آنذاك. ولم أشاهده هناك سوى مرة واحدة. وكان معظم رواد المقهى من المسنين الملتحين الذين يرتدون ملابس بالية ويأتون إلى المقهى مع زوجاتهم أو عشيقاتهم وهم يعلقون على سترهم، أو لا يعلقون، أوسمة جوفة للشرف بأشرطتها الحمراء الرقيقة. وكنا نحسب أنهم من العلماء، ويطيلون الجلوس على مشروب فاتح للشهية مثل أولئك الرجال الذين يرتدون ملابس أكثر بلى ويجلسون مع زوجاتهم أو عشيقاتهم على فنجان من القهوة بالحليب ويعلقون الأوسمة ذات الأشرطة القرمزية، التي لا علاقة لها بالأكاديمية الفرنسية، ونحسبهم من الأساتذة أو المدرسين.

جعل هؤلاء الناس من المقهى مكاناً مريحاً ما دام بعضهم مهتماً ببعضهم الآخر وبمشروباتهم أو بفناجين قهوتهم، وبالجراند أو المجلات التي كانت تعلق على مساند من القضبان في المقهى، ولم يكن أي منهم يجلس هناك ليشاهده الجمهور.

وهناك أناس آخرون أيضاً يعيشون في الحي ويرتادون مقهى (بستان الليلك)، ويعلق بعضهم أشرطة صليب الحرب على

سترهم، ويحمل بعضهم الآخر الوسام العسكري الأصفر والأخضر، وكنت أراقبهم وهم يتغلبون على عجزهم الناتج عن فقدان بعض أطرافهم، وأنظر إلى نوعيّة عيونهم الصناعيّة والمهارة التي تمت بها إعادة هيكلة وجوههم. فهناك دائماً لمعان قزحيّ اللون تقريباً في الوجوه التي أعيدت هيكلتها بصورة كبيرة، يشبه نوعاً ما لون منحدر التزلج الذي يعجّ بالمتزلّجين. وكنا نكّن لهذا الصنف من الرواد احتراماً يفوق احترامنا للعلماء أو الأساتذة، على الرغم من أن هؤلاء الأخيرين ربما أدّوا كذلك الخدمة العسكريّة دون أن تلحق بهم عاهة أو يصيبهم تشويه.

لم نتق في تلك الأيام بأيّ فرد لم يشترك في الحرب، علماً بأننا لم نتق تماماً بأيّ فرد كائناً من كان. وكان يتتابنا شعور قويّ بأن الشاعر سندراس ربّما يميل إلى التباهي قليلاً بذراعه المبتورة. وسعدت حينما وجدته في مقهى (بستان الليلك) مبكراً ذلك المساء قبل أن يصل الزبناء المعتادون.

في ذلك المساء، كنت جالساً إلى طاولة خارج المقهى أمعن النظر في تحولات الضوء على الأشجار والمباني، وأراقب الخيول المطهّمة التي تمرّ ببطء في الشارع، وإذا بباب المقهى ينفتح من ورائي على اليمين، ويخرج منه رجل ويتجه إلى طاولتي ويقول:

- "وأخيراً هذا أنت."

ذلك الرجل هو فورد مادوكس فورد\*، كما كان يسمي نفسه آنذاك، وكان يتنفس بصعوبة من خلال شاربين كبيرين

مصبوغين، وينتصب عموديا مثل برميل كبير معدّ للتحميل ومغطى بالملابس.

وسألني وهو يجلس: "هل لي أن أجلس معك؟" وكانت عيناه الزرقاوان، اللامعتان تحت حاجبين وأجفان عديمة اللون، شاخصتين إلى الشارع.

وقال: "أمضيت السنين الطويلة من حياتي مكافحا من أجل أن تُذبح الحيوانات بصورة إنسانية."

قلت: "لقد أخبرتني بذلك."

- "لا أظن."

- "إنني متأكد من ذلك."

- "غريب جداً. لم أخبر أحداً بذلك في حياتي بتاتاً."

- "أتود أن نتناول مشروباً؟"

وقف النادل وأخبره فوراً بأنه يريد عصير الكشمش. وردت كلامه النادل الذي كان طويلاً ونحيفاً وأصليع في قمة رأسه مع شعر أملس ينسدل من فؤديه وله شاربان كثان مثل شاربي تنين.

- "لا، اجعله براندي بالصودة."

وأكد النادل طلبه بقوله: "براندي بالصودة للسيد."

كنت دائماً أتجنب النظر إلى فوردي ما استطعت وأمسك أنفاسي باستمرار عندما تضمّني معه غرفة موصدة، ولكن هذه المرة كان لقاءنا في الهواء الطلق والأوراق المتساقطة تحتنا على الرصيف يدفعها النسيم من جانب طاولتي إلى جانبه، ولهذا أمعنت النظر فيه، وندمت، ثم صوّبت نظري عبر الشارع. لقد تحول

الضوء ففأنتني مشاهدة الضوء المتحول. وتناولت المشروب لأرى ما إذا كان قدومه قد أفسد مذاقه، ولكنه بقي كما هو.  
قال: "أنت مكتئب جداً."

- "لا."

- "نعم، أنت مكتئب، تحتاج أن تتنزه أكثر. توقفت هنا لأدعوك لمشاركتنا السهرات الصغيرة التي نحبيها في مرقص (المزمار) \* الممتع بالقرب من ساحة كونترإسكارب في شارع الكاردينال لوموان.

- "لقد عشت فوقه لمدة سنتين قبل أن تأتي إلى باريس آخر مرة."

- "ما أغرب ذلك. هل أنت متأكد؟"

قلت: "نعم. أنا متأكد. فلدى الرجل الذي يملكه سيارة أجرة. وعندما كنت استقل الطائرة كان يأخذني إلى المطار، وتتوقف عند بار المرقص لتناول كأساً من النبيذ الأبيض قبل أن تنطلق إلى المطار."

فقال فوردي: "لم أَلَف في نفسي اهتماماً بالطيران. ستأتي أنت وزوجتك إلى مرقص المزمار ليلة الأحد. إنه ممتع حقاً. سأرسم لك خريطة لتتهدي إليه. لقد عثرت عليه بمحض الصدفة."

قلت: "إنه تحت البناية رقم ٧٤ في شارع الكاردينال لوموان. وكنت أسكن في الطابق الثالث في تلك البناية."

وقال فوردي: "لا يوجد رقم. ولكنك تستطيع أن تعثر عليه إذا وجدت ساحة كونترإسكارب."

وتناولتُ جرعةً أخرى كبيرة من المشروب. وجلب للنادل  
لفورد المشروب الذي طلبه، ولكن فورد أخذ يصحّحه قائلاً بشدة:  
"لم يكن طلبى براندي بالصودة. لقد طلبت مشروب الشامبري  
وعصير الكشمش."

وقلت: "لا بأس، يا جان، سأخذ البراندي، واجلبُ للسيد ما  
يطلبه الآن."

وصحّحني فورد قائلاً: "ما طلبته."

وفي تلك اللحظة مرّ على الرصيف رجل نحيل نوعاً ما  
يتلّغ بقبّ، وبصحبته امرأة فارعة الطول. وألقى نظرة عجلية  
على طاولتنا ثم حول نظره بعيداً، وواصل طريقه في الشارع.  
وقال فورد: "هل رأيتني وأنا أرفض ردّ تحيته؟ هل رأيتني  
وأنا أرفض ردّ تحيته؟"  
-- "لا، من؟"

قال فورد: "بلوك"، لم أرد على تحيته.

قلت: "لم أر شيئاً. ولماذا لم تردّ تحيته؟"

قال فورد: "لكل سبب وجيه في الوجود. لقد رفضت ردّ  
تحيته."

وبدا في غاية السرور. لم أر بلوك من قبل ولا أعتقد أنه  
شاهدنا. بدا لي مثل رجل كان يفكر في شيء ما ونظر إلى  
طاولتنا بعجلة وبصورة تكاد تكون تلقائية. وتألّمت لأن فورد أساء  
إليه، لأنني كنت شاباً في بداية مشواري الأدبي وأكنّ له احتراماً

عظيماً بوصفه كاتباً أكبر سناً. هذا الاحترام لا يمكن فهمه اليوم، ولكن في تلك الأيام كان شائعاً.

وفكرت أنه من بواعث الغبطة لو توقّف بلوك عند طاولتنا وأتيحت لي فرصة التعرف عليه. لقد أفسد فورد أمسيّتي ولكن بلوك كان سيجعلها أفضل.

وسألني فورد: "ولأي شيء تشرب البراندي. ألا تعرف أن الشروع في شرب البراندي أمر مهلك لكاتب شاب؟"

قلت: "لا أشربه كثيراً." وحاولت أن أتذكّر ما قاله لي عزرا باوند\* عن فورد، إذ أوصاني بأن لا أقسو عليه، وأن أتذكّر أنه قد يكذب عندما يمسي متعباً، وأنه في الحقيقة كاتب جيد، وأنه قاسى من مشاكل عائلية عويصة. حاولت جاداً أن أفكر في هذه الأمور، ولكن حضور فورد الثقيل الوضع لمصحوب بصغير تنفّسه على مقربة مني جعل الأمر صعباً. ولكنني حاولت.

وسألت: "قل لي لماذا يرفض الإنسان ردّ تحية الآخرين؟" وحتى ذلك الحين ظننت أن ذلك شيء لا يحدث إلا في الروايات التي تكتبها أويدا\*. لم أتمكن أبداً من قراءة واحدة من روايات أويدا، حتى في منتجات التزلّج في سويسرا حيث تنفد المطبوعات عندما تهبّ ريح الجنوب الرطبة، ولا تبقى إلا طباعات (توشنتس)\* الصادرة قبل الحرب. ولكنني كنت متأكداً، بحاسة سادسة، أن الناس يرفض أحدهم ردّ تحية الآخر في رواياتها.

وقال لي فورد موضحاً: "إن الرجل النبيل يرفض دائماً ردّ تحية الوغد."

- 
- وأخذت جرعة سريعة من البراندي. وسألت: "هل يرفض النبيل رد تحية السوقيّ المسكين؟"
- "يستحيل على الرجل النبيل أن يعرف سوقياً مسكيناً."
- وتابعت قائلاً: "إذن يمكنك أن ترفض رد تحية شخص ما عرفته على أساس الند للند؟"
- "طبعاً."
- "وكيف يستطيع الواحد منا أن يلتقي وغداً؟"
- "قد لا تعرف حقيقته، أو أنه أضحي وغداً فيما بعد."
- وسألت: "من هو الوجود؟ أليس هو الشخص الذي يجب أن يجلده الإنسان حتى يشارف على الموت؟"
- فقال فوردي: "ليس بالضرورة."
- وسألت: "هل عزرا باوند رجل نبيل؟"
- قال فوردي: "طبعاً لا. إنه أمريكي."
- "ألا يمكن أن يكون الأمريكي رجلاً نبيلًا؟"
- أجاب فوردي: "ربما جون كوين \* . بعض سفرائكم."
- "ميرون ت. هيريك؟"
- "من المحتمل."
- "هل كان هنري جيمس رجلاً نبيلًا؟"
- "تقريباً."
- "أأنت رجل نبيل؟"
- "طبعاً. تسنمت عضوية لجان صاحب الجلالة."



وقلت: "إنه أمر معقد جداً. هل أنا رجل نبيل؟"  
قال فوردي: "لا. بالتأكيد."

- "إن، لماذا تنادمني الشراب؟"  
- "أشرب معك بوصفك كاتباً واعداداً. كاتب زميل في الحقيقة."

قلت: "هذا جميل منك."  
وقال فوردي برحابة صدر: "قد نعد رجلاً نبيلًا في إيطاليا."  
- "ولكنني لست سوقيًا؟"  
- "طبعاً، لا، أيها الفتى العزيز. من قال شيئاً مثل ذلك؟"  
قلت بحزن: "قد أصبح كذلك بسبب شرب البراندي وما إليه."  
هذا ما حصل للورد هاري هوتسبور \* في ترولوبه \*. اخبرني،  
هل كان ترولوبه رجلاً نبيلًا؟"  
- "طبعاً لا."

= "هل أنت متأكد؟"  
- "قد يوجد رايان، ولكن ليس بالنسبة لي."  
- "وهل كان فيلدنغ \* رجلاً نبيلًا؟ فهو قاض."  
- "ربما من الناحية التقنية."

= "ومارلو \*؟"  
- "طبعاً لا."  
- "وجون دون \*؟"  
- "كان كاهناً."

قلت: "هذا ممتع."

قال فورد: "أنا مسرور لأنك مهتمّ بالموضوع. سأتناول براندي معك قيل أن أذهب."

وبعد أن غادر فورد حلّ الظلام، وسرتُ إلى الكشك واشتريت (البذلة الرياضية الباريسية)\* وهي آخر طبعة من جريدة السباق المسائية وفيها نتائج سباق الخيل في أوتّي وبرنامج سباق انغهاين لليوم التالي. وجاء النادل أميل، الذي حل محل جان بعد انتهاء عمله، إلى طاولتي ليرى نتائج سباق الخيل في أوتّي. ووصل صديق عزيز لي فلما يرتاد مقهى بستان الليلك وجلس إلى طاولتي، وبينما كان يطلب مشروباً من أميل مرّ الرجل النحيل الذي يتلفع بالقب ويرفقه السيدة الطويلة على الرصيف، وتحولت نظرته إلى طاولتنا ثم بعيداً عنا.

وقلت لصديقي: "هذا هو هيلير بلوك. كان فورد هنا بعد الظهر ورفض ردّ تحيته."

فقال صديقي: "لا تكن سخيّاً. هذا أليستر كراولي\*." يفترض أنه شرّ الناس في هذا العالم.  
قلت: "أسف."

## ميلاد مدرسة جديدة

دفاتر ذات أغلفة زرقاء وقلم رصاص ومبرة (فالسكين مفيدة أكثر من اللازم)، وطاولة مرمرية، وزائحة الصباح الباكر، والكنس والتنظيف، والحظ؛ هذا كل ما كنت تحتاج إليه. ولجلب الحظ كنت تحمل حدوة حصان وقدم أرنب في جيبك الأيمن. وكانت قدم الأرنب قد بقيت منذ مدة طويلة، وجلى الاستعمال عظامها وأعصابها. وكانت أصابع يدك تنبش في بطانة جيبك فعرفت أن الحظ ما زال معك.

كانت الأمور تجري في بعض الأيام بصورة حسنة فكانت تستطيع أن تذهب إلى الريف فتتمشى في الغابة وتخرج منها إلى الضوء، وتتسلق إلى أرض مرتفعة وترى التلال متناثرة وراء ذراع البحيرة. وقد ينكسر رأس قلم الرصاص في فتحة المبرة المخروطية فتسعمل شفرة صغيرة بسكين الجيب لإخراج الرأس المكسور أو حتى ليري القلم بعناية، ثم تدس ذراعك تحت سير الحقيبة الجلدية التي أصبحت لها رائحة الملح بسبب العرق فترفعها مرة أخرى ثم تضع ذراعك الأخرى تحت السير الآخر

وتشعر بالحمل يستقر على ظهرك، ووريقات الصنوبر تتكسّر تحت حذائك وأنت تتطلق نحو البحيرة.

وفي تلك اللحظة تسمع شخصاً يقول: مرحباً، همنجواي، ما الذي تحاول أن تفعله؟ تكتب في مقهى؟

حينئذ يفارقك الحظّ، فتغلق الدفتر. كان هذا أسوأ ما يمكن أن يحدث. وإذا كان في ميسورك أن تكبح جماح غضبك فهذا أفضل، ولكنني لم أحسن ذلك يوم ذاك وقلت: "أنت يا بن الكلبة القذر ما الذي تفعله هنا بعيداً عن طريقك الوسخة؟"

- "لا توجّه إهاناتك إليّ لمجرد أنك تريد أن تبدو كأنك غريب الأطوار."

- "خذ فمك القذر وابعد من هنا."

- "إنه مقهى عمومي. لي نفس الحق الذي لك في ارتياده."

- "لماذا لا تذهب إلى مكانك المعتاد في مقهى (الكوخ

الصغير)؟"

- "يا الله، لا تكن متعباً جداً."

وعند ذلك كان بإمكانك أن تغادر المقهى على أمل أن تكون تلك مجرد زيارة عابرة وأن دخول الزائر ذلك المقهى محض مصادفة لا تتحوّل إلى ابتلاء دائم. ثمة مقاهٍ جيّدة عديدة يمكنك أن تعمل فيها لكنها تقع على مسافة بعيدة، وهذا المقهى هو الأقرب إلى منزلي. ومن المؤسف أن أطرّد من مقهى (بستان الليلك). وكان عليّ إما أن اتخذ موقفاً واضحاً أو أن أغادر المقهى. ومن الأرجح أن الكياسة كانت تقتضي مغادرة المقهى ولكن الغضب

أخذ مني مأخذه وقلتُ: " اسمع، إن لقدر مثلك أماكن كثيرة يستطيع الذهاب إليها، لماذا تأتي إلى هنا وتدنس مقهى محترماً؟ "

- " أتيت هنا لأتناول مشروباً. ما الخطأ في ذلك؟ "

- " في المنزل يمكن أن يسقوك الشراب وتحطم الكأس. "

- " أين المنزل؟ يبدو مكاناً ساحراً. "

كان يجلس إلى الطاولة المجاورة، شاب طويل سمين يرتدي نظارات القراءة. وكان قد طلب كأس بيرة. وفكرت أن أتجاهله وأرى إذا كان يمكنني الكتابة. وهكذا تجاهلته ودوت جملتين.

- " كل ما فعلته أنني تحدثت إليك. "

واصلت عملي وكتبت جملة أخرى. من الصعوبة أن تتوقف عن الكتابة عندما تتطلق وأنت منغمس فيها.

- " أظن أنك أصبحت عظيمًا جداً بحيث لا يستطيع أحد أن يكلمك. "

وكتبت جملة أخرى ختمت بها الفقرة، وأعدت قراءة تلك الفقرة. ما زال الأمر على ما يرام وكتبت الجملة الأولى من الفقرة التالية.

- " أنت لا تُعزّ بالآل أي إنسان آخر، ولا تفكر في أن له مشاكله كذلك. "

لقد سمعت شكوى الآخرين طوال حياتي. وألقيت أن في مكنتي أن أواصل الكتابة، وأن شكواه ليست أسوأ من أنواع لضوضاء الأخرى، وبالتأكيد أفضل من الضوضاء التي يحدثها عزرا باوند\* وهو يتعلم للعزف على المزمار.

- "تَصوّرُ أنك أردت أن تكون كاتباً، وتملكت تلك الرغبة كيائك، ولكن الكتابة لا تواتيك".

وواصلت الكتابة، وأخذ الحظ يحالفني في تلك اللحظة تماماً.

- "افترض مرة أن الكتابة اجتاحتك كسيل جارف ثم ابتعدت عنك وتركك أصم أبكم".

وقلت في نفسي أن تكون أصم صامتاً خير من أصم ثرثار، وواصلت الكتابة.

والآن وقد اندفع شاكياً راحت العبارات تتدفق من فمه بصورة لا تُصدق مثل ضوضاء يحدثها قطع لوح خشب ثخين في المنشرة.

وسمعه يقول بعد ذلك: "ذهبنا إلى اليونان" وكنت قبل ذلك لا أسمعه إلا مثل ضوضاء. ونظراً لأنني تقنّمت في الكتابة صار بمقدوري أن أتوقف وأستأنفها في اليوم التالي.

- "هل قلت إنك تناولت المخدر أم ذهبت إلى هناك؟"

قال: "لا تكن فظاً. ألا تريدني أن أخبرك بالبقية؟"

قلت: "كلا" وأغلقت دفترتي ووضعت في جيبتي.

- "ألا يهمك أن تعرف كيف انتهت الرحلة؟"

- "كلا"

- "ألا تهتم بحياة إنسان مثلك ومعاناته؟"

- "ليس بك أنت."

- "أنت متوحش."

- "نعم."

- 
- "ظننت أنك تستطيع مساعدتي، يا همنجواي."  
 - "سأعدو سعيداً إذا أطلقت النار عليك."  
 - "أتفعل ذلك؟"  
 - "لا، لأنه يوجد قانون يجرم ذلك."  
 - "أما أنا فأفعل أي شيء من أجلك."  
 - "حقاً؟"  
 - "طبعاً."  
 - "إن ابتعد عن هذا المفهـي، ابداً بهذا."  
 ونهضت واقفاً وحضر النادل ودفعـت ما عليـ.  
 - "هل تسمح لي أن أتمشى معك إلى المنشرة، يا همنجواي."  
 - "لا."  
 - "حسن، سأراك في وقت آخر."  
 - "ليس هنا."  
 قال: "وهو كذلك. أعدك."  
 وارتكبت خطأ إذ سألتـه: "ماذا تكتب الآن؟"  
 - "أكتب أفضل ما أستطيع. تماماً كما تفعل أنت. ولكن الأمر صعب جداً."  
 - "ينبغي ألا تكتب إذا كنت لا تستطيع أن تكتب. ولماذا يتوجب عليك أن تتباكـي بسبب ذلك. اذهب إلى بلادك. احصل على وظيفة. اشق نفسك. فقط لا تتكلم عنها. أنت لا تستطيع الكتابة أبداً."

- 
- " لِمَ تقول ذلك؟ "
- " هل سمعت نفسك وأنت تتكلم؟ "
- " إنني أتكلم عن الكتابة. "
- " إذا أصمت. "
- قال: " إنك لقاسٍ حقاً. كان كل واحد يقول عنك باستمرار إنك قاس وبلا قلب ومغرور. وكنت أدافع عنك دائماً. ولكن لن أفعل ذلك بعد اليوم. "
- " حسن. "
- " كيف يمكنك أن تقسو على إنسان مثلك؟ "
- قلت: " لا أدري. اسمع. إذا كنت لا تستطيع أن تكتب، لماذا لا تتعلم كتابة النقد؟ "
- " أعتقد أنني يجب أن أفعل ذلك. "
- فأخبرته: " سيكون أفضل. وعند ذلك تستطيع أن تكتب دائماً. وسوف لا يساورك القلق بشأن عدم مجيء الكتابة وتحوّلك إلى أصمّ أبكم. وسيقرأ الناس ما تكتب ويحترمون رأيك. "
- " أتظنّ أن في وسعي أن أصبح ناقدًا جيدًا؟ "
- " لا أعرف مدى الجودة. ولكن بإمكانك أن تكون ناقدًا. سيكون هناك دوماً من يساعدك، وأنت تساعد جماعتك. "
- " ما الذي تعنيه بجماعتي؟ "
- " الذين تخرج معهم. "
- " آه، هؤلاء. لهم نقادهم. "



وقلت: "لا يتحتم عليك أن تكون ناقد كتب. هناك اللوحات، والمسرحيات، والباليه، والسينما،"  
- "إنك تجعل الأمر شائقا، يا "همنجواي"، أشكرك كثيرا. إنه لأمر مثير. والنقد كتابة إبداعية كذلك."  
\_ "كثيراً ما نبالغ في شأن الإبداع. وبعد هذا وذاك فالله خلق العالم في ستة أيام واستراح في اليوم السابع."  
- "وطبعاً لا شيء يمنع من مزاوله الكتابة الإبداعية كذلك؟"  
- "لا شيء. ما عدا وضعك مقاييس عالية في نقدك يستحيل بلوغها."

- "ستكون مقاييسي عالية. يمكنك أن تعتمد عليّ في ذلك."  
- "أنا على يقين من هذا."  
وبعد أن أصبح ناقداً دعوته لتناول مشروب معي فلبى الدعوة.

قال: "همنجواي"، فتأكد لي أنه صار ناقداً لأن النقاد يضعون في أحاديثهم اسمك في بداية الجملة وليس في آخرها، "عليّ أن أبلغك أنني ألفت أسلوبك متخسباً بعض الشيء."  
قلت: "هذا مؤسف جداً."

- "همنجواي، إنه أجرد أكثر من اللازم وأعجف أكثر من اللازم."

- "يا لسوء الحظ."

- "همنجواي، إنه متخسب كثيراً، وأجرد كثيراً، وأعجف كثيراً، ومتصلب كثيراً."

وتحسست قدم الأرنب في جيبي مع شعور بالذنب. وقلت:  
" سأحاول أن أسمّنه قليلاً."

- " تنكّر أنني لا أريده مترهلاً."

وقلت له مقلداً النقاد في الكلام: " هال\*، سأجنّب ذلك قدر  
الإمكان."

وقال بحزم: " يسرّني أن نتفق في وجهة نظرنا."

- " وتذكّر ألا تأتي إلى هنا عندما أعمل؟"

- " طبعاً، همنجواي، من الطبيعي. أصبح لي مقهى خاص  
بي الآن."

- " أنت لطيف جداً."

قال: " أحاول أن أكون كذلك."

كان الأمر مثيراً ومفيداً لو أن ذلك الشاب أصبح ناقداً  
مشهوراً، ولكن ذلك لم يحدث على الرغم من أن آمالا كبيرة  
راودتني بعض الوقت.

لم أكن أتوقّع مجيئه في اليوم التالي ولكنني لم أشأ أن أخاطر  
وقررت أن أمنح (بستان الليلك) عطلة يوم. وهكذا استيقظت باكراً  
في الصباح التالي، وغسلت قنينة الإرضاع وحلمتها في الماء  
المغلي، وأعددت الحليب، ووضعت في القنينة، وأعطيتها للسيد  
بومبي\*، واشتغلت على طاولة غرفة الطعام قبل أن يستيقظ أحد  
غيره وغير القط ف. بوس\* وأنا. وكان كلاهما هادئاً ونعم  
الرفيق، واشتغلت أفضل من أي وقت مضى. وفي تلك الأيام كنت

---

لا تحتاج في الحقيقة لأي شيء، حتى ولا لقنم الأرنب، ومع ذلك  
فقد كان من الأفضل أن تحسّ أنها في جيبك.

## مع ياسين \* في مقهى القبة

كان مساء رائعا وكنت قد عملت بجدي طوال النهار، فغادرت شقتي الكائنة فوق المنشرة وخرجت ماراً بياحة العمارة المكتظة بأكوام مبعثرة من الخشب، وأغلقت الباب ورائي، وقطعت الشارع، وذهبت إلى الباب الخلفي للمخبزة التي تقع واجهتها على شارع مونبرناس\*، وتناهدت إلي وأنا اخترق المخبزة متجهاً إلى الشارع، روائح الخبز الشهية المنبعثة من الأفران والدكان. وكانت مصابيح المخبزة مضاءة في حين كان النهار في الخارج يلفظ أنفاسه الأخيرة. وسرت في الشارع في ضوء الغسق، وتوقفت أمام شرفة مطعم (زنجي تولوز)\* حيث وضعت المناديل ذات المربعات الحمراء والبيضاء في حلقات خشبية على رف خاص وهي في انتظارنا لتناول طعام العشاء. وقرأت لائحة الطعام المخطوطة بحبر قرمزي ولحظت أن "صحن اليوم" مجموعة من المقبلات الشهية. وشعرت بالجوع بمجرد قراءة اسمها.

وبادرني صاحب المطعم السيد لافين\* بالسؤال عن سير عملي فقلت له إنه على أحسن ما يرام. وقال لي إنه سيق أن

شاهدني ذات يوم وأنا أكتب في شرفة مقهى بستان الليلك في الصباح الباكر ولكنه لم يكلمني لأنني كنت منهمكاً تماماً. وقال:

- كان يبدو عليك وكأنك رجل وحيد في الأدغال.

- إنني مثل خنزير أعمى عندما أعمل.

- ولكن ألم تكن في الأدغال.

قلت: في البستان.

وواصلت سيرتي في الشارع وأنا أشاهد واجهات المحلات. وغمرتني السعادة بفضل تلك الأمسية الربيعية ووجوه المارة من الناس. ورأيت في المقاهي الرئيسة الثلاث في ذلك الشارع أناساً أعرف بعضهم بوجوههم وبعضهم الآخر سبق أن تبادلنا الحديث معهم. ولكن كان هناك دائماً أناس عديدون أكثر أناقة لم أكن أعرفهم وهم مسرعون، في تلك الأمسية وقد أخذت مصابيح الشوارع تضاء، إلى مكان ما ليشرّبوا معاً، أو يأكلوا سوية، ومن ثم ليتطارحوا الغرام. وقد يفعل الناس الجالسون في المقاهي الرئيسة الشيء ذاته أو يستمتعون فقط بالجلوس والشراب والحديث ويسرّهم أن يراهم الآخرون. أما الناس الذين أحبهم ولم ألتق بهم في ذلك الشارع فإنهم ذهبوا إلى المقاهي الكبرى لأنهم سيضيعون هناك ولا يلاحظهم أحد، وهكذا يصير بميسورهم أن يمضوا الأمسية وحدهم ومع الآخرين في آن واحد. والمقاهي الكبرى رخيصة كذلك، وجميعها تتوفر على جعة جيّدة ومشهيات لذيذة بأسعار معقولة دُوّنت بوضوح على الصحون التي تقمّ فيها.

راودتني في تلك الأمسية أفكار عامة ولكنها ليست أصيلة. شعرت باستقامتي الفائقة لأنني عملت طوال النهار عملاً جاداً جيداً مع أن رغبة الذهاب إلى سباق الخيل قد ألحت عليّ بشدة في ذلك اليوم. ولكن في ذلك الوقت لم يكن بوسعي الذهاب على الرغم من إمكان كسب المال هناك إن بذلت جهداً في دراسة ظروف السباق. كان ذلك قبل ظهور اختبارات اللعاب والوسائل الأخرى التي تضبط الخيول المنشطة اصطناعياً، وكان استعمال العقاقير المنشطة يُمارس بكثرة. وهكذا فإذا استطعت أن تتعرف على الخيول التي تناولت المنشطات من الأعراض التي تبدو عليها وهي في الحقل المجاور لحلبة السباق مع استخدام نفاذ البصيرة الذي يقع أحياناً خارج حدود الإدراك الحسي، ودعمت ذلك بشيء من المال فإنه لا يمكنك أن تخسر، ولكن ليست تلك هي الطريق التي ينبغي أن يسلكها شاب في مستقبل العمر يعيل زوجة وطفلاً ومتفرغ تماماً لتعلم كتابة النثر.

كنا ما نزال فقراء جداً بجميع المقاييس، وكنت ما زلت أحاول أن أوفر بعض النقود القليلة فأخبر زوجتي، مثلاً، أنني مدعو للغداء ثم أمضي ساعتين أتمشى في حدائق لوكسمبورغ، وأعود إلى المنزل لأصف لها ذلك الغداء الرائع. عندما يكون عمرك خمسة وعشرين عاماً وجسمك من الوزن الثقيل بطبيعته، فإنك تجوع جداً إذا فانتك إحدى الوجبات اليومية. ولكن الجوع يجعل إدراكك أكثر حدة، واكتشفت أن عدداً من الناس الذين كتبت

عنهم لهم شهية قوية ورغبة عارمة في الطعام، ويتلذذ معظمهم إلى تناول المشروبات.

لقد شربنا نبيذ (كاهور) \* الجيد من الغرافة بالربع والنصف أو بالكامل في مقهى (زنجي طولوز)، وعادة يمزج هذا النبيذ بالماء بما يساوي الثلث تقريباً. وفي بيتنا الواقع فوق المنشرة، لدينا نبيذ كورسيكي ذو سطوة عظيمة وهو زهيد الثمن. إنه نبيذ كورسيكي أصيل يمكنك أن تمزجه بالماء مناصفة ومع ذلك تصاك رسالته. وفي تلك الأيام يمكنك أن تعيش جيداً في باريس على لا شيء تقريباً، وتخطي وجبات من حين لآخر وعدم شراء ملابس جديدة نهائياً، يمكنك أن توفر بعض المال جانباً لتنعيم ببعض الترف.

رجعت من مقهى (النخبة) \* بعد أن غيرت رأيي في دخوله لدى رؤية هارولد ستيرنز \* الذي كنت أعرف أنه سيتكلم عن الخيول، تلك الحيوانات التي أعتقد بحق ورضى أنني نسيته. ولما كنت ممثلاً بالشعور بالاستقامة ذلك المساء فقد مررت بمجموعة من الزملاء في مقهى (روتوند)، وعبرت الشارع وأنا ألعن الرذيلة والغريزة الجماعية، واتجهت إلى مقهى (القبة). وكان هذا المقهى مزدحماً كذلك، ولكنه يضم أناساً أمضوا النهار في العمل. كان في ذلك المقهى عارضات أزياء عملن طوال النهار، ورسامون عملوا كذلك حتى تلاشى ضوء النهار، وهناك نذل أنهوا عمل نهار بحسناته وسيئاته، وهناك ندامى وشخصيات أعرف بعضهم وبعضهم الآخر للزخرفة المحض.

دخلت ذلك المقهى وجلست إلى طاولة مع باسين \* وعارضتي  
أزياء كانتا أختين. فقد لوح لي باسين بيده عندما كنت واقفاً على  
الرصيف في شارع دلامير \* وأنا أتسائل في نفسي عما إذا كان  
ينبغي أن أتوقف هنا وأتناول مشروباً أم لا. وباسين رسام جيد  
وكان ساعتئذ ثملاً، ولكنه متماسك ومعقول. وكانت عارضتنا  
الأزياء شابتين وجميلتين. إحداهما سمراء جداً وصغيرة، ولها قوام  
جميل وتعطي انطباعاً زائفاً بالتهتك. والأخرى مثل طفلة بليدة  
ولكنها جميلة جداً بشكل طفولي. ولم يكن لها القوام الجميل الذي  
لأختها.

قال باسين: "الأختان الصالحة والطالحة. عندي نقود؛ ماذا  
ستشرب؟"

قلت للنادل: "نصف غرافة من الجعة."

— خذ ويسكي. عندي نقود.

— أحب الجعة.

— لو كنت تحب الجعة حقاً لذهبت إلى (ليبس) \*. أفترضُ

أنك كنت تعمل طوال النهار؟

— نعم.

— والعمل في تقدم؟

— بصورة جيدة، وأنا مسرور، وكل شيء مازال له مذاق

طيب.

— كم عمرك؟

— خمس وعشرون.



— هل تريد أن تضاجعها؟ ونظر في اتجاه الأخت السمراء  
وابتسم " إنها بحاجة إلى ذلك."  
— ربما ضاجعتها أنت اليوم بما فيه الكفاية.  
وابتسمت لي بشفتين منفرجتين، وقالت: " إنه شرير، ولكنه  
لطيف."

— يمكنك أن تأخذها إلى المرسوم.  
وهنا قالت الأخت الشقراء: " لا تكن بذيئاً."  
فسألها باسين: " من وجه الكلام إليك؟"  
— لا أحد ولكني قلت رأيي.

فقال باسين: " دعونا نرتاح. الكاتب الشاب الجاد، والرسام  
العجوز الودود العاقل، والفتاتان الجميلتان، والحياة كلها أمامهم."  
وجلسنا هناك، والفتاتان ترتشفان مشروبهما، وباسين يتناول  
كأس نبيذ ثانية، وأنا أشرب جعتي، ولكن ما من أحد كان مرتاحاً  
ما عدا باسين. فالقناة السمراء متململة وجالسة بوضعية  
استعراضية وهي تدير وجهها لتدع الضوء يسقط على أجزائه  
المقعرة، وتسمح لي برؤية نهديها من تحت الكنزة السوداء. وكان  
شعرها ذو القصّة القصيرة ناعماً وأسود مثل شعر فتاة شرقية.  
وقال لها باسين: " لقد وقفت طوال اليوم للعرض، فهل عليك  
أن تستعرضي هذه الكنزة في المقهى الآن كذلك؟"  
فقالت: " إن ذلك يسرّني."

قال: " تبدين مثل لعبة جاوية."  
قالت: " ليس العنان. إن الأمر أكثر تعقيداً مما تقول"

— إنك تشبهين دمية صغيرة شريرة مسكينة.  
قالت: "ربما، ولكن مليئة بالحياة أكثر منك."  
— سنرى ذلك.  
قالت: "حسن. أحب البراهين."  
— ألم يكفك برهان اليوم؟  
— "آه ، ذلك." ثم استدارت لتتلقى أشعة المساء الأخيرة  
بوجهها، "كل ما هناك إنك كنت منهمكا بعملك." ثم قالت لي :  
" إنه يعشق قمائش الرسم. هناك دائماً نوع من القذارة."  
قال باسين: " تريدني أن أرسمك وأدفع لك مقابل ذلك  
وأضاجعك لبقى فكري صافياً، وأعشقك كذلك، أيتها الدمية  
الصغيرة المسكينة."  
وسألتني: " أنت تجدني جميلة، أليس كذلك؟  
— جداً.  
فقالت بحزن: " ولكنك ضخم أكثر من اللازم."  
— الجميع بنفس المقاس في الفراش.  
فقالت أختها: " هذا ليس صحيحاً. وقد مللت هذا الكلام."  
قال باسين: " اسمعي، إذا كنت تظنين أنني مغرم بالقماش،  
فسأرسمك بالألوان المائية غداً."  
وسألت أختها: " متى سنأكل، وأين؟"  
وسألتني الفتاة السمراء: " هل ستأكل معنا؟"  
فقلت: " لا، سأذهب لأكل مع رفيقتي الشرعية." هكذا كانوا  
يقولون يوم ذاك عن الزوجة، أما اليوم فيقولون "رفيقتي المعتادة"

— وهل عليك أن تذهب؟  
— عليّ أن أذهب وأريد أن أذهب.  
فقال باسين: " اذهب إذن، ولا تقف في غرام ورق الآلة  
الكاتبة."

— إذا حدث ذلك، فسأكتب بقلم الرصاص.  
فقال: " غداً، الألوان المائية. حسن، يا أبنائي، سأشرب كأساً  
أخرى، ونأكل حيث تشاءون."

فقالت الفتاة السمراء: " في مطعم الفاينكغ."  
وقالت أختها حاتة: " وأنا كذلك."  
وقال باسين موافقاً: " طيب. ليلة سعيدة أيها الشاب، نم جيداً."  
— "وأنت كذلك."

قال: " سيبقياني مستيقظاً. لن أنام."  
— "تم هذه الليلة."

— "بعد الذهاب إلى مطعم الفاينكغ"\*. وابتسم ابتسامة عريضة  
وقبعته على مؤخرة رأسه. وبدأ مثل شخصية مسرحية من  
شخصيات برودواي\* في التسعينات وليس ذلك الرسام الرائع  
الذي عرفته. وفيما بعد، عندما شنق نفسه، كنت أود أن أتذكره كما  
كان في تلك الليلة في مقهى (القبّة). يقولون إن بنور ما سنفعل في  
المستقبل كامن في كل واحد منا، ولكن كان يبدو لي دائماً أن  
أولئك الذين يتدرون في الحياة لهم بذور مغطاة بتربة أفضل  
ومدعمة بسماد أرقى.

## عزرا باوند وحبّه للأدب

كان عزرا باوند دائماً ذلك الصديق الطيّب الذي يفعل الخير للآخرين باستمرار. ولا يقارن فقر الشقة الصغيرة التي يسكنها وزوجته دوروثي\* إلا بغنى شقة غيرترود شتاين. وتتوفر شقته على ضوء جيد وموقد لتدفئتها وفيها لوحات لفنانين بابائيين من معارف عزرا. وهؤلاء الفنانون هم من المعروفين في بلادهم ولهم شعر طويل أسود لامع يهبط إلى الأمام عندما ينحنون؛ وكنت معجباً بهم جداً، ولكن لوحاتهم لم ترق لي. لم أفهم تلك اللوحات على الرغم من أنها ليست لغزاً، وعندما كنت أفهمها لم تكن تعني شيئاً لي. وكنت آسف لذلك ولكن لم يكن بوسعي أن أفعل شيئاً بصدده.

أما لوحات دوروثي فقد أحببتها كثيراً، وألفت دوروثي جميلة جداً ولها قوام رائع. وأحببت كذلك تمثال عزرا النصفي الذي صنعه النحات غودير-برزيسكا\*، وأعجبتني جميع الصور الفوتوغرافية لأعمال ذلك النحات التي أطلعني عليها عزرا في الكتاب الذي ألفه عنه. وأعجب عزرا كذلك بلوحات بكابيا\* ولكنني ظننت آنذاك أنها لا قيمة لها. وكذلك لم تعجبني لوحات

وندهام لويس\* التي أعجب بها عزرا كثيراً. كان يحب أعمال  
أصدقائه، وهذا شيء جميل كالإخلاص، ولكنه يمكن أن يتحول  
إلى كارثة كإصدار الحكم. ولم نتجادل أبداً حول هذه الأمور لأنني  
كنت ألزم الصمت بشأن الأمور التي لا أحبها. فقد شعرت بأنه من  
المحتمل أن يكون حب الإنسان للوحات أصدقائه أو إنتاجهم الأدبي  
شبهياً بحب الناس لأسرهم، وليس من الكياسة انتقادهم. يمكنك  
أحياناً أن تصبر وقتاً طويلاً قبل أن تنتقد الأهل، أهلك الأقربين أو  
بالمصاهرة، ولكن الصبر أسير في حالة الرسامين السيئين؛ لأنهم  
لا يقرّفون أفعالاً مشينة ولا يسبّبون أذى بالغسا كما يستطيع  
الأقارب ذلك. وكل ما تحتاج أن تفعله في حالة الرسامين السيئين  
هو أن لا تنظر إلى لوحاتهم. ولكن حتى لو تعلّمت ألا تنظر إلى  
الأقارب وألا تستمع إليهم وألا تجيب على رسائلهم، فإن لهم طرقاً  
عديدة لخلق المتاعب. لقد كان عزرا أكثر عطفاً على الناس وأكثر  
تدبناً في تعامله معهم مما كنت. وكانت كتاباته، عندما يجيد، رائعة  
الكمال؛ وهو مخلص في أخطائه، ومفتون بهفواته، وفي منتهى  
اللطيف مع الآخرين؛ ولهذا كنت أعدّه دائماً من القديسين. وهو  
كذلك سريع الغضب ولكن ربما وجد عدة قديسين غضوبين على  
شاكلته.

طلب مني عزرا أن أعلمه الملائكة، وبينما كنا نتمرّن على  
الملائكة في عصر يوم من الأيام في شقته التقيت بوندهام لويس\*  
لأول مرة. لم يكن عزرا قد تمرّن على الملائكة لوقت كاف  
وكنّت أخجل من جعله يتلاكم أمام أحد من معارفه، وحاولت أن

أظهره في أفضل وضع ممكن. وكان ذلك صعباً لأن معرفته السابقة بالمبارزة بالسيف تؤثر سلباً على تعلّمه مهارات الملاكمة. وكنت ما أزال أدربه على استخدام يده اليسرى في الملاكمة وتحريك قدمه اليسرى إلى الأمام دائماً ثم وضع قدمه اليمنى بموازائها. وهي حركات أساسية. ولم أتمكن مطلقاً من تعليمه كيف يستدّ لكمة خاطفة من يسراه؛ أما تعليمه كيفية تقصير بمنسائه فقد ترك للمستقبل.

كان وندهام لويس يضع على رأسه قبعة عريضة سوداء، مثل شخصية من الشخصيات المسرحية ويرتدي زياً مثل زيّ واحد من المشردين. وكان له وجه يذكّرني بضفدع، ليس بضفدع كبير ولكن مجرد أيّ ضفدع، وكانت باريس بمثابة بركة كبيرة بالنسبة إليه. كنا نعتقد في ذلك الوقت أن أيّ كاتب أو رسّام يستطيع أن يرتدي أيّ ملابس يمتلكها ولم يكن ثمة زيّ رسمي للفنان، ولكن لويس كان يرتدي بذلة فنان ما قبل الحرب. وشعرت بالحرّج وأنا أراه وهو ينظر بشموخ إلينا عندما كنت أتفادى الضربات التي يستدّها عزرا إليّ أو أصدّها بقفاز اليد اليمنى المفتوح.

أردت أن نتوقّف غير أن لويس أصرّ على أن نستمرّ، وعلى الرغم من أنني لم أكن مدركاً لخفايا الأمور فقد شعرت بأنه كان يأمل أن يصاب عزرا بأذى. لم يحدث شيء؛ لأنني لم أرد مطلقاً على هجمات عزرا وإنما تركت عزرا يتحرك باتجاهي ماداً يده

اليسرى ومسكداً بعض اللكمات بيده اليمنى، ثم قلت إننا انتهينا  
وغسلت يديّ بإبريق ماء ونشفتهما بمنشفة وارنيت كنزتي.  
وتناولنا كأساً من شراب ما واستمعت إلى عزرا ولويس وهما  
يتحدثان عن أناس في لندن وباريس. وراقبت لويس بعناية دون  
أن يبدو عليّ أنني كنت أنظر إليه، كما تفعل وأنت تلاكيم، ولا  
أظن أنني رأيت في حياتي كلّها رجلاً يفوقه لؤماً. فبعض الناس  
تظهر عليهم إمارات الشرّ كما تظهر علامات التهذيب على جواد  
أصيل. ولهؤلاء الأشرار عنفوان القرحة الصلبة. ولويس لم يظهر  
عليه الشر وإنما كان الشرّ مجسداً.  
وبينما كنت أسير عائداً إلى منزلي أخذت أسمع عن الشيء  
الذي يذكرني به مرآه. وكانت هناك أشياء مختلفة. كلها طيبة ما  
عدا "بوز الحذاء" وهذه كلمة عامية. حاولت أن أجزئ وجهه  
وأصفه ولكنني استطعت أن أحصل على العينين فقط. فتحت القبة  
السوداء بدت عيناه، لدى رؤيتهما أول مرة، مثل عيني مغتصب  
نساء فاشل. وقلت لزوجتي: "لقد قابلت اليوم شرّ رجل رأيت في  
حياتي".

قالت: "يا ناتي ، لا تحدثني عنه. رجاء لا تحدثني عنه. فنحن  
على وشك تناول طعام العشاء."

وبعد أسبوع تقريباً التقيت الأنسة شتاين وأخبرتها أنني قابلت  
وندهام لويس وسألتهما ما إذا كانت قد تعرّفت عليه يوماً.

قالت: "إنني أدعوه بـ " النودة ذات المقياس". إنه يأتي من  
لندن إلى باريس ويرى لوحة جيدة فيخرج قلماً من جيبه، ويأراه

يقيس اللوحة بالقلم وإيهامه. ويظيل النظر إليها ويقيسها ويرى بالضبط كيف رُسمت. ثم يعود إلى لندن ويرسمها ولكنه لا يفعل ذلك بصورة صحيحة، إذ يفوته جوهر الموضوع تماماً.

وهكذا اعتبرته دودة ذات مقياس. وهذا تعبير ألطف وأكثر تسامحاً مما فكرت به شخصياً عنه. وحاولت في وقت لاحق أن أحبه وأكون صديقه كما فعلت مع أصدقاء عزرا جميعهم تقريباً بعد أن فسّر فحوى تصرفاتهم لي. ولكن هكذا بدا لي لويس عندما لقيناه أول مرة في شقة عزرا الصغيرة.

كان عزرا أكثر الأدباء الذين عرفتهم كرماء وأعظمهم نزاهة. لقد ساعد شعراء ورسامين ونحاتين وكتاباً آمنَ بموهبتهم، وكان على استعداد لمساعدة أي إنسان آخر في مأزق سواء أكان ذا موهبة أم لا. كان يحمل هموم الجميع، وفي الوقت الذي التقيت به أول مرة كان قلقاً جداً بخصوص ت. س. إليوت\*، الذي كان — كما أخبرني عزرا — يعمل في بنك بلندن، ولهذا لا يتاح له الوقت الكافي ولا الساعات المناسبة لممارسة نظم الشعر.

أسس عزرا صندوقاً اسمه (حب الأدب) بالتعاون مع الأنسة ناتالي بارني\* وهي امرأة أمريكية غنية ومشجعة للفنون. وكانت الأنسة بارني قد ارتبطت بصداقة مع رمي دي غورمون\* الذي عاش قبل وقتي، ولها ندوة أدبية (صالون أدبي) في دارها تتعقد بمواعيد منتظمة، وتشتمل حديقة منزلها على معبد إغريقي. وكان لعدد من النساء الثريات الفرنسيات والأمريكيات صالونات أدبية، وقررت منذ البداية أن تلك الصالونات أماكن ممتازة ولكن عليّ



أن أبتعد عنها، غير أن الأنسة بارني، على ما أعتقد، هي الوحيدة التي تتوفر على معبد إغريقي في حديقته.

لقد أطلعني عزرا على مطوية صندوق حب الأدب، وسمحت له الأنسة بارني بوضع صورة المعبد الإغريقي الصغير على المطوية. وتتلخص فكرة الصندوق في مساهمتنا جميعاً في التبرع بجزء مما نكسب لنوفر مبلغاً من المال يكفي لإخراج السيد إليوت \* من البنك ليتفرغ لنظم الشعر. وبدأت لي تلك الفكرة جيدة. وبعد أن أخرجنا السيد إليوت من البنك، قرّر عزرا أن نواصل العمل ونساعد الآخرين.

كنت أخلط الأشياء ببعض الشيء، إذ كنت أشير دائماً إلى إليوت باسم ميجر إليوت ( وميجر اسم علم بالإنجليزية وتعني كذلك ضابطاً عسكرياً) متظاهراً بخلطه بـ ( ميجر دوغلاس) وهو اقتصادي كان إليوت يتحمس كثيراً لأرائه. ولكن عزرا فهم من ذلك أن قلبي في المكان الصحيح وأنه مليء بحب الأدب حتى وإن انزعج عزرا عندما كنت أطلب من أصدقائي التبرع لإخراج ميجر إليوت من البنك، فيسأل أحدهم عما يعمل ميجر في بنك علي أي حال، وإذا كان قد صُرف من الخدمة العسكرية ألا يتلقى راتباً تقاعدياً أو على الأقل مكافأة نهاية الخدمة؟

في مثل تلك الحالات كنت أشرح لأصدقائي أن ذلك كله لا علاقة له بالموضوع، فإما أن تتوفر على حب الأدب أو لا. فإذا توفرت عليه فأنت تتبرع لتخليص الميجر من البنك، وإذا لم تتوفر عليه فهذا شيء سيئ جداً. ألم يفهموا دلالة المعبد الإغريقي

الصغير؟ لا؟ هذا ما ظننت. سيئ جداً، يا ماك. احفظ بنقودك.  
إننا لا نمسّها.

وكنّت بصفتي عضواً في صندوق حبّ الأدب أقوم بحملات  
نشطة، وكان أعلى أحلامي في تلك الأيام هو أن أرى الميجر  
رجلاً حراً خارج البنك. لا أتذكر كيف انتهى صندوق حبّ الأدب،  
ولكن أعتقد أن لذلك علاقة بنشر قصيدة (الأرض اليباب) التي  
أهّلت الميجر لنيل جائزة الدليل\*، وبعد ذلك بوقت قصير دعمت  
سيدة تحمل لقباً من ألقاب النبلاء مجلة يصدرها إليوت تدعى  
(المعيار)\*، ولم يعد القلق يساورني أنا وعزرا بشأنه. وأظن أن  
المعبد الإغريقي الصغير ما يزال في الحقيقة. لقد ظلت الخيبة  
تلاحقني يوماً لأننا لم نستطع تخليص الميجر من البنك بصندوق  
حبّ الأدب وحده، وكنّت أتصوره في أحلامي قادماً ليعيش في  
المعبد الإغريقي الصغير، وأستطيع أن أذهب مع عزرا لتتويجه  
بأزهار الغار. وكنّت أعرف أين أعثر على أزهار غار جميلة  
يمكنني اقتطافها، كنت سأذهب إليها ممطياً دراجتي، وكنّت أظن  
أن بإمكاننا أن نتوجه في أي وقت يشعر بالوحدة أو في الوقت  
الذي ينتهي فيه عزرا من مراجعة مسودة قصيدة أخرى كبيرة مثل  
قصيدة (الأرض اليباب). ولكن الأمر برمته سار بشكل سيئ من  
الناحية الأخلاقية بالنسبة لي، شأنه شأن كثير من الأمور؛ إذ  
أخذت المال الذي ادخرته لإخراج الميجر من البنك، إلى ضاحية  
أنغهاين وأنفقته على الرهان على خيول القفز التي كانت تحت  
تأثير المنشطات. وفي سباقين من تلك السباقات، كانت الخيول

المنشُطَة التي راهنت عليها قد سبقت الخيول التي لم تتناول المنشُطات أو التي لم تتناول منها ما يكفي، باستثناء سباق واحد كان فيه الحصان الذي راهنت عليه قد تناول المنشُطات أكثر من اللزوم لدرجة أنه رمى براكبه الجوكي أرضاً حتى قبل أن يبدأ السباق وهرب جرياً وأتم دورة كاملة حول الحلبة وهو يقفز قفزات رائعة لوحده كما يقفز الواحد منا في حلم. وبعد أن أوقفوه وركبه الجوكي شارك في السباق وحاز على نتيجة مشرفة، كما يقول الفرنسيون، ولكن بدون أن يربح أي شيء.

كنت سأسرّ أكثر لو ذهبت مدّخراتي إلى صندوق حب الأدب الذي لم يعد موجوداً، ولكنني كنت أطمئن نفسي قائلاً إنني سأستطيع أن أتبرع من أرباح سباق الخيل بأكثر مما كنت أعزّم في الأصل.

## نهاية غريبة حقاً

إن الكيفية التي انتهت بها علاقتي مع غيرتروود شتاين غريبة حقاً. كنا قد أصبحنا صديقين حميمين، وقدمت لها خدمات عملية مثل إقناعي فوردي\* بالشروع في نشر كتابها الطويل على حلقات متسلسلة في مجلته، وساعدتها على طباعة مسودات الكتاب وتصحيحها. وكانت صداقتنا ستغدو أكثر حميمية مما كنت أأمل لها. ولكن ليس ثمة مستقبل كبير لرجال تربطهم صداقة بمسيدات عظيمات على الرغم من أن هذا النوع من الصداقة ممنوع تماماً قبل أن يؤول إلى الأفضل أو الأسوأ، ويتضاءل عادة مستقبل هذا الصنف من الصداقة مع النساء الكاتبات الطموحات جداً. وذات مرة، عندما نذرعت لعنم توفقي عند الرقم ٢٧ في شارع فليريس ربحاً من الزمن بجهلي ما إذا كانت الآتسة شتاين في المنزل، قالت لي: "ولكن، يا همنجواي، لك حرية دخول المنزل متى ما شئت، ألا تعرف ذلك؟ وأنا أعني ما أقول حقيقة، تعال في أي وقت والخادمة — وذكرت اسمها ولكنني نسيته — ستعتني بك، وأشعر أنك في بيتك ريثما أصل."

لم أسيئ استعمال هذا التحويل، بيد أنني كنت أدخل الشقة أحياناً وتقدم لي الخادمة شرباً، وألقي نظرة على اللوحات، وإذا لم تصل الأنسة شتاين، شكرت الخادمة وتركت رسالة وانصرفت. وفي يوم من الأيام كانت الأنسة شتاين ورفيقة لها تستعدان للسفر جنوباً بسيارة الأنسة شتاين، وقد طلبت مني أن آتي لتوديعها بنوم سفرها قبل الظهر. دعنا لزيارتها، وكنت وهادلي نقيم في فندق، ولكن كنا قد عزمنا على الذهاب إلى مكان آخر. ولم أذكر ذلك للأنسة شتاين بطبيعة الحال، آملاً أن نتمكن مع ذلك من الذهاب لتوديعها، بيد أن ذلك لم يتسنّ لنا. لم أكن أعرف الكثير عن كيفية التخلف عن المواعيد. وكان عليّ أن أتعلّم. وأخبرني بيكاسو فيما بعد أنه كان يعدّ الأغنياء دائماً بالمجيء عندما يدعونه لأن ذلك يسرهم، ثم يحصل طارئ يحول دون تلبية الدعوة. ولكن قوله ذاك لا علاقة له بالأنسة شتاين وإنما ذكره عن أناس آخرين.

كان يوماً ربيعياً رائعاً، ومشيت من ساحة المرصد عبر حديقة لكسمبورغ الصغيرة، وأشجار الكستناء قد تفتحت أزهارها وعدة أطفال يلعبون في الممرات المغطاة بالحصى في حين جلست مربياتهم على المساطب، ورأيت حمائم على الأشجار وسمعت هديل حمائم أخرى لم أستطع رؤيتها.

فتحت الخادمة الباب قبل أن أرق الجرس ودعّنتي للدخول والانتظار، قائلة إن الأنسة شتاين ستزل من غرفتها في أي لحظة. كان ذلك قبل الظهر ومع ذلك فقد صبت لي الخادمة كأساً من الخمر ووضعت في يدي، وغمزت بانشرّاح. وشعرت بمذاق

الخمير الصافي، وكان ما يزال في فمي عندما سمعت من تخاطب  
الآنسة شتاين بطريقة لم أسمع بمثلها من قبل في أي مكان آخر  
بثباتاً.

ثم وصلني صوت الآنسة شتاين وهي تتضرّع وتتوسل قائلة: "لا، لا، يا قطي، لا، لا تفعل ذلك، أرجوك. سأفعل أي شيء  
تريدين، يا قطي، ولكن لا تفعلها. أرجوك لا، أرجوك لا، يا  
حبيبتي."

واحتسيت شرابي ووضعت الكأس على الطاولة وتوجّهت  
نحو الباب. وأشارت الخادمة إليّ بإصبعها، وهمست: "لا تذهب.  
ستنزل هي حالا."

— "عليّ أن أذهب." قلت لها ذلك وأنا أحاول ألا أسمع أكثر،  
ولكن التوسلات ما انفكت تصل مسمعي، والسبيل الوحيد لوضع  
حدّ لذلك هو مغادرة المنزل. كان ما سمعته سيئاً والإجابة أسوأ.  
وفي باحة العمارة، قلت للخادمة: "أرجوك قولي إنني أتيت  
إلى باحة العمارة والنقيتك، وإنني لم أستطع الانتظار لأن أحد  
أصدقائي مريض. وبلغها نيابة عني تمنياتي لها بسفر سعيد.  
وسأكتب إليها."

— "مفهوم، يا سيدي، من المؤسف أنك لا تستطيع الانتظار."  
قلت: "نعم، كم هو مؤسف."

وهكذا انتهت العلاقة بالنسبة لي، بصورة غيبة حقاً، على  
الرغم من أنني واصلت تقديم بعض الخدمات الصغيرة،  
والحضور في بعض المناسبات الضرورية، ومرافقة أناس طلبوا،

والانتظار حتى يحين موعد انصرافنا عندما يصل أصدقاء جدد. ومن المحزن أن أرى لوحات لا قيمة لها تُعلق بجانب اللوحات العظيمة، ولكن ذلك لم يعد مهماً. ليس بالنسبة لي على الأقل. لقد تشاجرت الأنسة شتاين معنا جميعاً، نحن المولعين بها، ما عدا جوان غريس\*، ولم يكن بوسعها أن تتشاجر معه لأنه كان ميتاً. ولست متأكداً من أنه سيعير خصوصيتها أهمية ما لأنه تجاوز مرحلة الاهتمام وبدا ذلك واضحاً في لوحاته.

وأخيراً تشاجرت حتى مع أصدقائها الجدد، ولكن لم يعد أحد منا يهتم بذلك. لقد أخذت تتصرف مثل إمبراطور روماني؛ وهذا جميل إذا كنت تحب أن ترى نساءك يتصرفن مثل الأباطرة الرومان. غير أن بيكاسو رسمها، وأستطيع أن أذكرها عندما كانت تبدو مثل امرأة من فريولي.

وأخيراً، اتصالح كل واحد معها، أو ليس كل واحد تماماً، حتى لا يوصف بضيق الأفق أو بالتطرف في الاستقامة. وصالحت معها أنا أيضاً. ولكن لم أستطع أبداً أن أتعامل معها حقاً، لا في قلبي ولا في عقلي. وعندما لا أستطيع أن أتعامل في عقلك فذلك هو الأسوأ. ولكن الأمر أكثر تعقيداً من ذلك.

## الرجل الموسوم بالموت

عندما التقيت الشاعر إرنست والش\*، ذات مساء، في شقة عزرا باوند، كان برفقة فتاتين ترتديان معطفين طويلين من فرو الممك، وكانت هناك سيارة طويلة لامعة مستأجرة من محلات كلاريج\* مع سائقها في انتظاره في الشارع. وكانت الفتاتان شقراوين وقد سافرتا مع والش على الباخرة نفسها. وكانت الباخرة قد وصلت في اليوم السابق واصطحب الفتاتين معه لزيارة عزرا. كان إرنست والش أسمر قوياً وله ملامح إيرلندية لا تخطئها العين، وشاعرياً، وعلى وجهه أمارات الموت بصورة واضحة، مثل شخصية مهيأة للموت في شريط سينمائي. كان يتحدث مع عزرا باوند، فتحدثت مع الفتاتين اللتين سألتاني ما إذا كنت قد قرأت قصائد والش. لم أقرأها، فأخرجت إحدى الفتاتين نسخة ذات غلاف أخضر من (أشعار هاريت مونرو)\*، وهي مجلة شعرية، وأطلعتني على قصائد لوالش فيها، وقالت:

— يحصل على ١٢٠٠ دولار عن المقطوعة.

وقالت الفتاة الأخرى: " عن كل قصيدة."



وتذكرت أنني حصلت من المجلة نفسها على ١٢ دولاراً عن كل صفحة، فقلت:

" لا بد أنه شاعر عظيم جداً."

وأخبرتني الفتاة الأولى قائلة: "أكثر مما يحصل عليه أدي غيست\*."

— أكثر مما يجنيه ذلك الشاعر، تعرف من."

"— كبلنغ\* قالت صديقتها.

وقالت الفتاة الأولى: "أكثر مما يحصل عليه أي شخص آخر."

وسألتهما: "هل ستبقين في باريس فترة طويلة؟"

— "لا، ليس تماماً، نحن مع مجموعة من الأصدقاء."

— "أتينا على هذه الباخرة، كما تعلم. ولكن لم يكن على متنها

أحد، في الحقيقة. كان عليها السيد والش بطبيعة الحال."

وسألت: "ألا يلعب الورق؟"

فنظرت إليّ بشيء من الخيبة ولكن بتفهم وقالت:

— لا، ليس مضطراً لذلك. ليس وهو يكتب الشعر بالكيفية

التي يستطيع أن يكتب فيها.

— بأي باخرة سترجعان؟

— حسن. إن ذلك يعتمد على اللبواخر وعلى أشياء عديدة

أخرى، هل ستعود أنت؟

— لا، إن أحوالي هنا على ما يرام.

— هذه الضاحية فقيرة نوعاً ما، أليس كذلك؟

— نعم، ولكن لا بأس بها. أراول كتابتي في المقاهي وأذهب إلى سباقات الخيل.

— هل تستطيع أن تذهب إلى السباقات بهذه الملابس؟  
— لا، هذه بذلتي للمقهى.

فقالت إحدى الفتيات: "إنها بذلة طريفة. أود أن أرى شيئاً من حياة المقاهي، ألا تودين ذلك يا عزيزتي؟"  
فأجابت الفتاة الأخرى: "أود ذلك."

ودونت اسميهما في دفتر العناوين وودعتهما بالاتصال بهما بواسطة شركة كلاريج. كانتا فتاتين لطيفتين. وودعتهم كما ودعت والش وعزرا. وكان والش ما يزال يتحدث مع عزرا بعاطفة شديدة.

وقالت الفتاة الأطول: "لا تنس."

— وكيف أستطيع أن أنسى. قلت لها ذلك وصافحتهما مرة أخرى.

وأول شيء سمعته بعد ذلك من عزرا عن والش أن بعض السيدات المعجبات بالشعر وبالشعراء الشباب الموسومين بالموت كفلنه لدى شركة كلاريج (التي لم يستطع أن يدفع لها مستحقاتها). وسمعت شيئاً آخر بعد مضي رده من الوقت مفاده أنه حظي بدعم من مصدر آخر وأنه سيشرع في إصدار مجلة جديدة في الحي بوصفه محرراً مشاركاً.

وفي ذلك الوقت، أعلنت مجلة (دايل)، وهي مجلة أدبية أمريكية يحررها سكوفيلد ثاير\*، عن جائزة مقدارها ألف دولار،

على ما أعتقد، للإبداع الأدبي لواحد من كُتّابها. وكان هذا مبلغاً ضخماً لأي كاتب في تلك الأيام، إضافة إلى الشرف الذي يناله، وقد مُنحت تلك الجائزة فعلاً لأدباء مختلفين وكلهم يستحقونها بطبيعة الحال. ويستطيع زوجان ، آنذاك، أن يعيشا عيشة مريحة في أوروبا مقابل خمسة دولارات يومياً، وبإمكانهما السفر كذلك. وزعم أن المجلة التي كان والش أحد محرريها ستخصّص مبلغاً مالياً كبيراً للأديب الذي ينشر إنتاجه فيها ويقع عليه الاختيار بوصفه الأفضل بعد صدور أربعة أعداد منها.

ولا يمكنني القطع ما إذا كان ذلك الخير قد ذاع عن طريق الإشاعة أو الثرثرة أو أنه سرّ أفضى به أحدهم بصفة شخصية. ولكننا كنا نرجو ونعتقد دائماً أن يكون الأمر قد تمّ بصورة نزيهة من جميع الوجوه. ومن المؤكد أنه لم يكن بوسعنا أن نلصق التهمة بالمحرر المشارك زميل والش.

وبعد مرور وقت ليس طويلاً على سماعي تلك الإشاعة عن الجائزة المزعومة، دعاني والش لتناول الغداء معه في مطعم هو الأرقى والأعلى في حي شارع سان ميشيل. وبعد تناول المحارات، من الصنف المسطح الغالي المسمى بـ (المارين)\* وليس من المحارات العادية المقعرة المسماة بـ (البرتغالية)\*، وقنينة من نبيذ (بويلي فوبزة)\*، أخذ يتطرق إلى الموضوع بصورة تدريجية ولباقة. كان، على ما يبدو، يريد خداعي كما خدع شركائه في لعب القمار على الباخرة — إذا كان هناك مقامرون وإذا كان قد خدعهم، طبعاً —. وعندما سألتني إذا كنت

أرغب في دزينة أخرى من المحارات المسطحة كما سمّاها، قلت  
أرغب في ذلك جداً. لم يبذل مجهوداً ليبدو كأنه موسوم بالموت،  
وقد أراحني ذلك. كان يعلم أنني أعلم أنه مصاب بالسل، وأن  
مرضه ليس من النوع الذي تخادع به، بل من النوع الذي تموت  
منه، وما أسوأ ذلك. ولم يبذل مجهوداً ليسعل، واستحسن ذلك منه  
أثناء الطعام. وكنت أتساءل ما إذا كان قد أكل المحارات المسطحة  
بنفس طريقة عاهرات مدينة كنساس، الموسومات بالموت وبكل  
شئ آخر، واللواتي كن يرغبن في ابتلاع المني كعلاج ممتاز ضد  
مرض السل، ولكنني أحجمت عن توجيه السؤال إليه. وشرعت  
في تناول الدزينة الثانية من المحارات المسطحة؛ أتناولها من  
قاعدة الثلج المطحون الموضوع في إناء من الفضة، وأشاهد  
حافاتها البنية الرقيقة بشكل لا يصدق وهي تستجيب بالانكماش  
عندما أعصر الليمون عليها، ثم أنتزع العضلة من القوقعة وأرفعها  
لأمضغها بعناية.

وقال والش وهو ينظر إليّ بعينيّ الشاعر الداكنتين: "عزرا  
شاعر عظيم، عظيم."

قلت: "نعم، ورجل لطيف."

قال والش: "نبيل، نبيل، حقيقة."

وأكلنا وشربنا بصمت كأننا نكرّم عزرا لنبله. وافترقتُ عزرا  
وتمنيت لو كان معنا، فهو مثلي ليس بمقدوره شراء محارات من  
نوع (المارين).

وقال والش: "جويس عظيم. عظيم، عظيم."

قلت: "عظيم، وصديق حميم."  
لقد أصبحنا أنا وجويس صديقين في الأيام الرائعة التي  
أمضاها بعد الانتهاء من كتابه (بوليسيس)\* وقبل أن يشرع في ما  
أسماه وقتاً طويلاً بـ (العمل في تقم). وفكرت بجويس وتذكرت  
أموراً كثيرة.

وقال والش: "تمنيت لو كانت عيناه أفضل."  
قلت: "وهو يتمنى ذلك أيضاً."  
وقال لي والش: "إنها مأساة عصرنا."  
قلت: "ما من أحد إلا ويشكو شيئاً ما." وأنا أحاول أن أضفي  
جواً بهيجاً على الغداء.

— "أنت لا تشكو من شيء." وابتسم لي، ثم وسم نفسه  
بالموت. ولم أستطع المداراة فسألته: "تعني أنني لست موسوماً  
بالموت؟"

— "لا، أنت موسوم بالحياة."

قلت: "انتظر الزمن."

رغب في أكل شريحة جيدة ونادرة، فطلبتُ قطعتين من  
شرائح التورنيدو\* مع صلصة البيرنيز\*. وحسبت أن الزبدة  
ستفعله.

وسألني: "وماذا عن النبيذ الأحمر؟" وحضر النادل المختص  
بالشراب وطلبتُ نبيذ (شاتو نف دي بساب)\*. وسألتُ من  
مفعوله بعد ذلك بالمشي على رصيف النهر، وبوسعه أن يهضمه  
نائماً أو يفعل ما يحلو له.

وعندما انتهينا من تناول شريحة اللحم والبطاطا المقلية وأتينا على ثلثي قفينة نبيذ (شاتو نف دي باب)، الذي لا يؤخذ عادة أثناء الغداء، دخل في الموضوع وقال: "لا فائدة من اللف والدوران. أنت تعرف أنك ستال الجائزة، أليس كذلك؟"

قلت: "هل سأحصل عليها؟ ولماذا؟"

قال: "أنت ستفوز بها." وأخذ يتحدث عن كتاباتي فلم أعد أصغي إليه، إذ يصيني الغثيان عندما يتحدث الناس عن إنتاجي أمامي. ونظرت إليه وإلى نظرتة الموسومة بالموت، وفكرت: أنت أيها الرجل المخادع تريد أن تخدعني بسلك. لقد رأيت كتيبة عسكرية تغوص في التراب على الطريق، وقضى الموت — أو ما هو أشد منه — على ثلث رجالها ولم تَبْدُ عليهم سمة خاصة، التراب للجميع، وأنت ونظرتك الموسومة بالموت، أيها الرجل المسلول المخادع، تكسب عيشك من موتك. والآن ستخدعني. لا تخدع، لئلا تموت بالسل. والموت لم يشاركه في الخداع. ولكنه قائم لا محالة.

— "لا أظن أنني أستحقها، يا إرنست." قلت ذلك وأنا أستمع باستعمال اسمي الذي لا أحبه في مخاطبته، "أضف إلى ذلك، يا إرنست، أن ذلك لا يصح أخلاقياً، إرنست."

— "من الغريب أن لنا نفس الاسم، أليس كذلك؟"

فقلت: — "نعم، يا إرنست. وينبغي أن يكون اسماً على مسمى. نفهم ما أعني، أليس كذلك، يا إرنست؟"

قال: "نعم، يا إرنست." وبدأ عليه فهم إيرلندي حزين تاسم،  
وابتسم.

ولهذا كنت لطيفاً دائماً معه ومتعاوناً مع مجلته. وعندما  
أصابه النزيف وغادر باريس طلب مني أن أتابع طباعة المجلة  
لدى الطابعين الذين لا يقرؤون الإنجليزية، ففعلت ذلك. ورأيت  
مرة نزيفاً أصابه وكان شديداً، وأدركت أنه ميت لا محالة.  
وسرني، في ذلك الوقت الذي كان عصيباً في حياتي، أن أكون  
لطيفاً معه، كما سرّني أن أدعوه بإرنست. وأحببت كذلك المحررة  
المشاركة معه في المجلة وأعجبت بها. لقد كان همها أن تؤسس  
مجلة غراء وأن تجزل العطاء للكتاب الذين ينشرون إنتاجهم فيها.  
وبعد مضي وقت طويل التقيت جويس ذات يوم وكان يتمشى  
في شارع سان جرمان إثر مشاهدة عرض مسرحي بعد الظهر.  
وكان يحب أن يستمع إلى الممثلين على الرغم من أنه لم يكن في  
مكنته رؤيتهم. ودعاني لتناول مشروب معه فذهبنا إلى مقهى (دو  
ماغوت) \* وطلب كأساً من (الشيري) الجاف\*، على الرغم من  
أنك تقرأ دائماً أنه لا يشرب سوى النبيذ الأبيض السويسري.

وسألني جويس: "وكيف حال والش؟"

قلت: "من يعيش يموت."

قال: "وهل وعدك بتلك الجائزة؟"

— "نعم."

قال جويس: "هذا ما كنت أظنه."

— "وهل وعدك بها؟"

---

قال جويس: "نعم" وبعد هنيهة سألتني: "وهل تظن أنه وعد باوند بها."

— "لا أدري."

قال جويس: "من الأفضل ألا تسأله."

وتركنا الموضوع عند ذلك الحد ، وأخبرت جويس عن لقائي الأول مع والش في شقة عزرا مع الفتاتين اللتين ترتديان معطفين من فرو المنك، وسرّه سماع تلك لقصة.



## إيفان شيمان في البستان

منذ اليوم الذي عثرت فيه علي مكتبة سيلفيا بيتش استطعت أن أقرأ كل أعمال ترجميف\* وما نشر بالإنجليزية من أعمال غوغول\*، وترجمات كونستانس غارنيت لأعمال تولستوي\*، والترجمات الإنجليزية لمؤلفات تشيخوف\*. وأخبروني في تورنتو، قبل أن آتي إلى باريس، أن كاثرين مانسفيلد\* تكتب القصة القصيرة جيداً، وحتى أنها كاتبة عظيمة؛ ولكن عندما حاولت قراءتها بعد تشيخوف، وجدتها مثل سماع حكايات مصطنعة بعناية ترويها عانس، بالمقارنة مع قصص طيب عارف بليغ يكتب ببساطة وروعة. كانت مانسفيلد مثل شبه بيرة. وكان من الأفضل في تلك الحالة شرب الماء. بيد أن تشيخوف لم يكن يشبه الماء في شيء ما عدا الصفاء. وكانت بعض قصصه تبدو مجرد قصص صحفية، ولكن له قصصاً رائعة كذلك.

أما ديستوفيسكي\* فتوجد في كتاباته أشياء قابلة للتصديق ولا تصدق، ولكن بعضها حقيقي لدرجة أنها تغيرك وأنت تقرأها؛ فتتعرف فيها على الضعف والجنون، والشر والقداسة، وجنون القمر، كما تتعرف على الطبيعة والطرق في مؤلفات

تورجنيف\*، وتحركات الجيوش ومواقع المعارك والضباط والجنود والحرب في مصنفات تولستوي\*. لقد جعل تولستوي كتابات ستيفن كرين\* عن الحرب الأهلية الأمريكية تبدو كأنها تخیلات لامعة لطفل مريض لم يرَ الحرب قط ولكنه قرأ عن المعارك في كتب التاريخ، وشاهد صور برادي\* الفوتوغرافية التي كنت قد رأيتها في بيت جدّي وجدتي. وحتى أن قرأت رواية (راهبة بارم) لستدال\*، لم أقرأ أبداً عن الحرب كما هي إلا في روايات تولستوي، أما الوصف الرائع لمعركة واترلو الذي ورد في رواية ستدال فقد كان مجرد مقطوعة استثنائية في كتاب يتسم بالرتابة. إن عثوري على هذا العالم الجديد من الكتابة، وتوفر الوقت لي للقراءة في مدينة مثل باريس حيث يمكنك أن تجد وسيلة للعيش الجيد والعمل مهما كنت فقيراً، كان بمثابة العثور على كنز. وكان بمقدورك أن تصطحب كنزك معك أنى سافرت كذلك؛ وفي الجبال حيث أقمنا في سويسرا وإيطاليا قبل أن نكتشف شرونز الواقعة في الوديان العليا في فورارلبورغ في النمسا، كانت هنالك الكتب دوماً؛ بحيث كان بإمكانك أن تعيش في العالم الجديد الذي اكتشفته؛ فخلال النهار هنالك الثلوج والغابات والأنهار الجليدية ومشكلاتها في فصل الشتاء وصعوبة الوصول إلى ملجئك العالي في فندق ناوبه في القرية، أما في الليل فقد كان بميسورك أن تعيش في عالم رائع آخر منحه لك الأدباء الروس. كان المانح في البداية الأدباء الروس ثم أضحى فيما بعد جميع الآخرين. ولكن لوقت طويل كان الروس فقط.

أَتَذَكَّرُ أَنَّنِي سَأَلْتُ عِزْرَا ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عَائِدَانِ إِلَى الْبَيْتِ بَعْدَ أَنْ لَعَبْنَا كُرَةَ الْمَضْرِبِ (التَّنِسِ) فِي مَلْعَبٍ يَقَعُ فِي شَارِعِ (أَرَاغُو) \*، وَقَدْ دَعَانِي لِتَنَاوُلِ شَرَابٍ مَعَهُ فِي شَقَّتِهِ، سَأَلْتُهُ عَنْ رَأْيِهِ الْحَقِيقِيِّ فِي دَيْسِنُوفْسْكِي.

فَقَالَ عِزْرَا: "أَقُولُ لَكَ الْحَقِيقَةَ، يَا هَام، إِنَّنِي لَمْ أَقْرَأِ الرُّوْشِيَّيْنَ قَطْ."

كَانَ جَوَاباً صَرِيحاً وَلَمْ يَضِفْ إِلَيْهِ عِزْرَا شَيْئاً، وَلَكِنَّنِي شَعُرْتُ بِأَسْفٍ عَمِيقٍ؛ لِأَنَّ الْجَوَابَ صَدَرَ مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي أَحْبَبْتُهُ وَوَقَّعْتُ بِأَرَائِهِ النَّدْبِيَّةَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ، هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي آمَنَ بِالْكَلِمَةِ الْعَدْلِ (Le mot juste) — الْكَلِمَةُ الصَّحِيحَةُ وَالرَّحِيْدَةُ الَّتِي تَصْلُحُ لِلِاسْتِعْمَالِ فِي سِيَاقٍ مُعَيَّنٍ — الرَّجُلُ الَّذِي عَلَّمَنِي أَنَّ أُرْتَابَ فِي الصِّفَاتِ وَالنَّعَوَاتِ كَمَا تَعَلَّمْتُ لَاحِقاً الْاِرْتِبَابَ فِي بَعْضِ النَّاسِ فِي مَوَاقِفٍ مُعَيَّنَةٍ، وَطَلَبْتُ رَأْيَهُ فِي الْكَاتِبِ الَّذِي لَمْ يَسْتَعْمِلِ الْكَلِمَةَ الْعَدْلَ مُطْلَقاً وَمَعَ ذَلِكَ يَبِيعُ شَخْوَصَهُ أَحْيَاءَ كَمَا لَمْ يَفْعَلْ أَحَدٌ غَيْرَهُ تَقْرِيْباً.

وَقَالَ عِزْرَا: "تَمَسَّكْ بِالْفَرَنْسِيِّيْنَ. فَهَنَّاكَ الْكَثِيرَ الَّذِي تَتَعَلَّمُهُ مِنْهُمْ."

قُلْتُ: "أَعْرِفُ ذَلِكَ، فَهَنَّاكَ الْكَثِيرَ الَّذِي أَتَعَلَّمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ." وَبَعْدَ أَنْ غَادَرْتُ شَقَّةَ عِزْرَا الصَّغِيرَةِ وَأَنَا أَمْشِي إِلَى الْمَنْشَرَةِ فِي الشَّارِعِ الَّذِي تَرْتَفِعُ الْبَنَائِيَّاتُ عَلَى جَانِبِيهِ، أَخَذْتُ أَتَطَّلُعَ إِلَى نَهَائِيَّتِهِ الْمَفْتُوحَةِ حَيْثُ تَرَاعَتِ أَشْجَارٌ عَارِيَّةٌ وَخَلْفَهَا الْوَاجِهَةُ الْبَعِيدَةُ لِمَرْقَصِ بُولِيِير \* عَبْرَ شَارِعِ سَانِ مِيْشِيلِ الْعَرِيضِ، وَفَتَحْتُ بَوَابَ

العمارة ومررت بالخشب المنشور حديثاً، وتركت مضربي في إطاره الضاغط بجانب السلم الذي يقود إلى الطابق العلوي في البناية. وناديت باتجاه أعلى السلم ولكن لم يكن ثمة أحد في البيت. وأخبرتني زوجة صاحب المنشرة: "إن السيدة خرجت، وكذلك الخادمة والطفل." فشكرتها. كانت امرأة صعبة، وتميل إلى البدانة، ولها شعر أصفر نحاسي اللون.

— "جاء رجل شاب لرؤيتك. وقال إنه سينتظرك في مقهى البستان." واستعملت عبارة (رجل شاب) بدلاً من سيد. قلت: "شكراً. أرجوك أن تخبرني السيدة إذا عادت بأنني في (البستان)".

— "لقد ذهبت مع صديقات لها." قالت ذلك وهي تلف رداءها حولها وتدخل بحدائقها ذي الكعب العالي إلى منزلها دون أن توصد الباب خلفها.

وسرت في الشارع بين البنايات العالية البيضاء التي شابتها شيات من اليبق والخطوط، ودلفت إلى اليمين في النهاية المفتوحة المشمسة، وولجت غسق مقهى البستان الذي تقطعه خيوط من أشعة الشمس.

لم يكن ثمة من أعرفه داخل المقهى فتحوّلت إلى الشرفة وهناك وجدت إيفان شيمان\* ينتظرنى. كان شاعراً رقيقاً، وكان يهتم بالخيول وله دراية بها، ويزاول الكتابة ويتعاطى الرسم. ونهض، فرأيت طويلاً نحيلاً شاحباً، وكان قميصه الأبيض بالياً ومتسخاً عند يافته، وربطة العنق معقودة بعناية، وبذلته بالية

ومجعدة، وأصابعه الملطخة أكثر اسوداداً من شعره، وأظافره  
متسخة، وهو يتحكم في ابتسامته المحببة المتواضعة لسئلاً تبدو  
أسنانه السيئة.

وقال: "إنني سعيد برؤيتك، يا هام."

وسأله: "كيف حالك، يا إيفان؟"

فقال: "محبط قليلاً. ومع ذلك فإنني أشعر بأنني تخلصت من  
الـ (المازبا) \* . وهل أنت على ما يرام؟"

قلت: "أمل ذلك. كنت أَلعب التنس مع عزرا عندما أتيت إلى  
بيتي."

— "هل عزرا بخير؟"

— "جداً."

— "إنني مسرور لسماع ذلك. هام، لا أظن أن زوجة مالك  
العمارة التي تسكنها تحبني. فهي لم تدعني أنتظرك في الطابق  
العلوي."

قلت: "سأحدثها عن ذلك."

— "لا تشغل بالك بذلك. يمكنني دائماً أن أنتظرك هنا. من  
الممتع الجلوس في الشمس، أليس كذلك؟"

قلت: "لقد حل فصل الخريف الآن، ولا أظنك ترتدي ملابس  
دافئة بما فيه الكفاية."

فقال إيفان: "إن الطقس بارد فسي المساء فقط. سأرتدي  
معطفي."

— "أتعرف أين هو؟"

—: "لا، ولكنه في مكان آمن."

—: "وكيف تعرف ذلك؟"

—: "لأنني أودعت القصيدة فيه." وضحك من كل قلبه وهو يضم شفثيه على أسنانه بشدة. "تناول ويسكي معي رجاء، يا هام."

—: "حسناً"

ونهض إيفان ونادى النادل: "جان، كأسا ويسكي، من فضلك."

وجلب جان القنينة وقدحين وصحنين من نوات العشرة فرنكات مع رشاف. ولم يستعمل كأس قياس وصبَّ الويسكي في القدحين حتى امتلأ إلى أكثر من ثلاثة أرباعهما. فقد كان جان يحب إيفان الذي كثيراً ما يرافقه إلى ضاحية مونتروغ\* الواقعة وراء باب أورليان\*، للعمل معه في حديقته أيام عطله.

وقال إيفان للنادل الطويل المتقدم في السن: "يجب ألا تبالغ."

وسأله النادل قائلاً: "إنهما كأسا ويسكي، أليس كذلك؟"

وأضفنا إليهما الماء، وقال إيفان: "خذ الجرعة الأولى بتؤدة، يا هام. فإنهما سيبقيان معنا لوقت طويل إذا تناولناهما بطريقة مناسبة."

وسأله: "هل تعتني بنفسك؟"

—: "نعم، بصدق، يا هام. لنحدث عن شيء آخر."

لم يكن هناك أحد غيرنا جالساً في شرفة المقهى، وأخذ الويسكي سخناً على الرغم من أنني كنت مرتدياً ملابس أكثر

ملاءمة لفصل الخريف من ملابس إيفان، فقد كنت أرثدي كنزة داخلية، وقميصاً وكنزة بخار فرنسية من الصوف الأزرق فوق القميص.

وقلت: "كنت أفكر بديستوفسكي. كيف يستطيع رجل أن يكتب بذلك الأسلوب السيئ، سيئ لدرجة لا تصدق، ومع ذلك فإنه يحرك مشاعرك بعمق."

فقال إيفان: "قد يكمن السبب في الترجمة، فالترجمة هي التي أظهرت تولستوي بصورة جيدة."

—: "أعرف ذلك. أتذكر كيف حاولت أن أقرأ تولستوي عدة

مرات فلم أفلح حتى عثرت على ترجمة كونستانس غارنيت."

وقال إيفان: "يقولون إن بوسع الترجمة تحمين الأصل. وأنا

متأكد من ذلك على الرغم من أنني لا أعرف الروسية. ولكننا — كلينا — نعرف الترجمات. بيد أن (الحرب والسلام) جاءت مترجمة، رواية رائعة حقاً، بل أفترض أنها الأعظم، وبإمكانك أن تقرأها مرة تلو أخرى."

قلت: "أعرف ذلك، ولكنك لا تستطيع أن تقرأ ديستوفسكي

مرة بعد أخرى، فقد أخذت معي رواية (الجريمة والعقاب) في رحلة إلى شرونز\*، وعندما لم تعد لدينا كتب أخرى لم أستطع قراءتها مرة ثانية، ولهذا أخذت أقرأ الصحف النمساوية وأتعلّم الألمانية حتى عثرت على بعض مؤلفات ترولبه\* في (تاوشنتس)\*.

فقال إيفان: "سقى الله تاوشنتس."

وفقد الويسكي طعمه اللاذع، وصار الان، بعد مزجه بالماء، قوياً أكثر مما ينبغي.

وواصل إيفان كلامه قائلاً: "كان ديستوفسكي سيئاً، يا هام، لا يجيد الكتابة إلا عن الأشرار والقذسين. إنه يصنع قذسين رائعين. ومن المؤسف أننا لا نستطيع أن نعيد قراءته."

—: "سأحاول قراءة رواية (الأخوة كرامازوف) مرة أخرى. من المحتمل أن الخطأ يكمن في."

—: "يمكنك أن تقرأ بعضها مرة أخرى، أو معظمها، ولكنها ستغضبك بعد ذلك، مهما كانت عظيمة."

—: "حسن، نحن محظوظون لأننا حصلنا عليها وقرأناها بعد صدورها مباشرة، وربما ستنتشر ترجمة أفضل لها."

—: "ولكن لا تدعها تغريك، يا هام."

—: "لا، سأحاول أن أفعل ذلك بصورة طبيعية بحيث كلما زدتها قراءة زادت عطاء."

وقال إيفان: "أما أنا فأساعدك على شرب ويسكي جان."

قلت: "إنه سيواجه مشكلة بسبب ما فعله."

قال: "إنه يواجه المشاكل حالياً."

—: "كيف؟"

قال إيفان: "إنهم يغيرون الإدارة، وأصحاب المقهى الجدد يرغبون في اجتذاب زبناء مختلفين مستعدين لإنفاق مزيد من المال، وسيضعون في المقهى باراً أمريكياً. وسيرتدي النادل سترات بيضاء، يا هام، وأخبروهم أن عليهم أن يحلقوا شواربهم."



—: "إنهم لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك بأندرية وجان."  
—: "من المفروض ألا يفعلوا ذلك، ولكنهم سيفعلون."  
—: "لجان شارب طوال حياته. إنه شارب القنين. وقد خدم  
في كتيبة الخيالة."

—: "سيُوجَّب عليه حلقه."  
وشربت ما تبقى من الويسكي.  
وسأل جان: "ويسكي آخر، يا سيدي؟ ويسكي، يا سيد  
شيمان؟" وبدأ شاربه الثقيل الممتلئ جزءاً من وجهه النحيف  
اللطيف، وبدت صلته لامة تحت الشعرات القليلة التي رُتبت  
عبرها.

قلت: "لا تفعلها، يا جان، لا تجازف."  
وقال هامسا لنا: "ليست هناك مجازفة، هناك فوضى سائدة.  
كثيرون سيغادرون." ثم أضاف بصوت عال: "مفهوم، أيها  
السادة." ودخل في المقهى وخرج وهو يحمل قنينة الويسكي،  
وقدحين كبيرين، وصحنتين مذهبي الحافة من نوات العشرة  
فرنكات، وقنينة ماء معدني فوار.  
قلت: "لا، يا جان."

وضع القدحين على الصحنتين وملاهما بالويسكي إلى حافتيهما  
تقريباً، وأخذ بقية القنينة إلى المقهى. وأضفنا أنا وإيفان قليلاً من  
الماء المعدني الفوار إلى الكأسين.  
وقال إيفان: "من حسن الحظ أن ديستيوفسكي لم يتعرف على  
جان، وإلا لامت من الشرب."

—: "ماذا سنفعل بهاتين الكأسين؟"

—: "نشربيهما." أجاب إيفان: "إنه احتياج. إنه فعل مباشر."  
وعندما ذهب إلى مقهى البستان يوم الاثنين التالي لأكتب  
هناك، جاء إليّ اندريه بكأس من (البوفيرل)\* وهو مشروب  
مستخلص من اللحم والماء. وبدا اندريه قصيراً أشقر، وبدلاً من  
شاربه الكث بدت شفته العليا عارية مثل شفة قسيس. وكان يرتدي  
سترة نادل بار أمريكي بيضاء.

—: "وجان؟"

—: "لا يأتي حتى الغد."

—: "وكيف حاله؟"

—: "سيحتاج إلى وقت طويل ليتصلح مع نفسه. كان يخدم  
في كتيبة خيالة ثقيلة طوال الحرب. وحاز على صليب الحرب  
والوسام العسكري."

—: "لم أعرف أنه جرح جرحاً بليغاً."

—: "لا. أصيب بجرح طبعاً، ولكنه استحق الوسام العسكري  
لأمر آخر. لبسالته."

—: "أخبره أنني سألت عنه."

قال اندريه: "طبعاً، أمل ألا يحتاج إلى وقت طويل ليتصلح  
مع نفسه."

—: "وأرجو أن تبلغه تحيات السيد شيمان كذلك."

—: "السيد شيمان معه." قال اندريه "إنهما يعملان في الحديقة  
معاً."

## عميل الشر

كان آخر ما قاله عزرا لي قبل أن يغادر شقته في شارع (نوتردام دي شامب) \* ليتوجه إلى (رابالو): " هام، أريدك أن تحتفظ بجرة الأفيون هذه وتعطيها إلى دونغ \* عندما يحتاجها فقط. " كانت جرة واسعة صفراء اللون، وعندما فتحت غطاءها رأيت محتوياتها داكنة ولزجة ولها رائحة الأفيون الفج. لقد اقتناها عزرا من رئيس قبيلة هندي، كما أخبرني، في شارع الأوبرا قرب شارع الإيطاليين ودفع ثمننا باهظاً لقاءها. أما أنا فخممت أنها وصلت من خمارة (الثقب العتيق في الحائط) \* التي كانت ملقاة الهاربين من الجندية وبائعي المخدرات خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها. وهذه الخمارة، التي تنسم بضيقها وبواجهتها المطلية باللون الأحمر، بمثابة مجاز أو ممر في شارع الإيطاليين. وفي وقت من الأوقات كان لها منفذ خلفي يفضي إلى بالوعات باريس ومن هناك كان يُفترض أنك تستطيع أن تصل إلى سراديب القبور تحت الأرض. ودونغ هذا هو رالف شيفر دونغ \*، شاعر كان يدخن الأفيون وينسى أن يأكل. وعندما كان يدخن أكثر مما ينبغي لم يستطع أن يتناول شيئاً ما عدا الحليب. وكتب بالـ (نرزا)

ريروسه)\* ما حَبَّبه إلى عزرا الذي وجد في شعره مزايا رفيعة كذلك. وكان يعيش في البناية التي يسكن فيها عزرا نفسها، وكان عزرا قد دعاني لأساعده عندما كان دوننغ يلفظ أنفاسه قبل بضعة أسابيع من مغادرة عزرا باريس.

"دوننغ يلفظ أنفاسه. أرجوك أن تأتي حالاً." هكذا كانت رسالة عزرا.

وبدا دوننغ مثل هيكل عظمي وهو مستلق على الفراش، وكان سيموت حتماً في آخر الأمر من سوء التغذية، بيد أنني أقنعت عزرا أخيراً بأن قليلاً من الناس ماتوا في وقت كانوا يتحدثون فيه بجمال مفيدة، وأنتي لم أَرَ في حياتي قط رجلاً يموت وهو يتكلم بالـ (ترزا ريروسه)، وأشك حتى في مقدرة دانتي\* على ذلك. وقال عزرا إن دوننغ لا يتكلم بالترزا ريروسه، فقلت ربما تبدو لغته لي مثل الترزا ريروسه لأنني كنت مستغرقاً في النوم عندما بعث إليّ من يوقظني. وأخيراً وبعد قضاء ليلة مع دوننغ في انتظار مجيء الموت، وُضع الأمر بيد طبيب ونُقل دوننغ إلى مصحة خصوصية ليعالج من التسمم. وتكفل عزرا بنفقات العلاج وسجلها على تبرعات محبي شعر لا أعرفهم نيابة عن دوننغ. ولم يُترك لي سوى أمر تسليم الأفيون في حالة طوارئ حقيقية. إنها مهمة جسيمة ألقاها عزرا على عاتقي، وكنت أمل فقط أن أكون عند حسن ظنه وأتمكن من تحديد حالة الطوارئ الحقيقية. ووقعت الأزمة عندما وصلت حارسة بناية عزرا صباح يوم أحد إلى باحة المنشرة وأخذت تصرخ باتجاه

الشباك المفتوح حيث كنت أتملى قائمة سباق الخيل، قائلة بالفرنسية: "إن السيد دوننغ صعد إلى سطح البناية ويرفض النزول رفضاً قاطعاً."

وبدا لي صعود دوننغ إلى سطح العمارة ورفضه القاطع النزول حالة طوارئ حقيقية، فأخذت جرة الأفيون وسرت في الشارع مع حارسة العمارة، وهي امرأة صغيرة مفتولة العضلات وكانت منفعة بسبب الموقف.

وسألتني: "هل لدى السيد ما يلزم؟"

فأجبت: "بالتأكيد. لن تكون هناك أي صعوبة."

وقالت: "إن السيد باوند يفكر في كل شيء. إنه تجسيد للخير والطيبة."

فقلت: "إنه حقاً كذلك. وأنا أفقده كل يوم."

—: "لنأمل أن السيد دوننغ سيكون معقولاً."

فطمأنتها قائلاً: "لدي جميع ما يلزم."

وعندما وصلنا باحة البناية حيث توجد الشقق الصغيرة، قالت الحارسة: "لقد نزل."

قلت: "لا بد أنه علم أنني قائم."

تسلقت السلم الخارجي الذي يؤدي إلى شقة دوننغ وطرق الباب. وفتح الباب. كان نحيلاً وبدا لي طويلاً بصورة غير معتادة.

—: "عزرا طلب مني أن أجلب لك هذه." وسلمته الجرة، مضيقاً: "وقال إنك ستعرف ما هي."

أخذ الجرة ونظر إليها ثم رماها عليّ. أصابتنى بالصدر أو الكتف ثم تدحرجت على السّلم.

وقال: "أنت، يا بن الكلبة، أنت يا بن الحرام".  
قلت: "قال عزرا إنك قد تحتاج إليها." فردّ عليّ بقنينة حليب.

فسألت: "هل أنت متأكد من أنك لا تحتاجها؟"  
فرمى عليّ قنينة حليب أخرى. وتراجعت فضربني في ظهري بقنينة حليب ثالثة. ثم أغلق الباب.

التقطت الجرة التي تصدّعت قليلاً ووضعتها في جيبى.

قلت للحارس: "يبدو أنه لا يريد هدية السيد باوند."

قالت: "ربما سيهدأ الآن."

قلت: "ربما لديه ما يلزمه."

قالت: "مسكين السيد دوننغ."

وتنادى محبّو الشعر الذين نظّمهم عزرا مرة أخرى لمساعدة دوننغ في آخر الأمر. لم يكن تدخلّي وتدخل الحارسة ناجحاً. وأخفيت جرة الأفيون، التي تصدّعت، في فردة جزمة ركوب الخيل في شقتي، بعد أن لففتها بورق مشمع وربطتها بإحكام، وعندما كنت وإيفان شبمان \* ننقل أمتعتي الشخصية من الشقة بعد ذلك ببضع سنين كانت الجزمة هناك ولكن جرة الأفيون اختفت. لا أعرف لماذا رماني دوننغ بقنينات الحليب، إلا إذا كان قد تذكر عدم تصديقي له ليلة موته الأول، أو إنه محض كره فطري لشخصي. ولكنني أتذكر السعادة التي منحتها عبارة (بن السيد

دوننغ صعد إلى السطح ويرفض النزول رفضاً قاطعاً) لإيفان شيمان، فقد ظن أن لتلك العبارة دلالة رمزية. ولا أعرف ذلك. ولربما نظر إليّ دوننغ بوصفي عميلاً للشر أو للشرطة. كل ما أعرفه أن عزرا حاول أن يُحسن إلى دوننغ، كما كان يحسن إلى أناس عديدين ويعطف عليهم، وكنت آمل دائماً أن يصبح دوننغ شاعراً مجيداً كما كان يحسبه عزرا. كانت رمياته لقناني الحليب دقيقة جداً بالنسبة لشاعر. ولكن عزرا، الذي كان شاعراً عظيماً جداً، كان يلعب كرة المضرب ببراعة كذلك. لقد فضل إيفان شيمان، الذي كان شاعراً ممتازاً ولا يأبه حقاً لقصائده أن تُشرّت أم لا، أن يبقى سبب قذفي بقناني الحليب لغزاً.

قال لي ذات مرة: "نحتاج إلى ألغاز حقيقية أكثر في حياتنا، يا هام. والذي يعوزنا جداً في هذا العصر هو الكاتب غير الطموح والقصيدة الجيدة غير المنشورة. وتبقى طبعاً مشكلة الدعم المادي."

## سكوت فترزجيرالد \*

كانت موهبته طبيعية مثل طرز دبجه الغبار على أجنحة فراشة. لا يفهم ذلك أحياناً أكثر مما تفهمه الفراشة ولا يعرف مني يتعرض ذلك الطرز للزوال أو التشويه. وأصبح مؤخراً واعياً بجناحيه المعطوبين وتكوينهما وتعلم كيف يفكر فلم يعد بوسعه الطيران؛ لأن حب الطيران قد اختفى، وصار بإمكانه أن يتذكر فقط، عندما لا يتطلب الأمر مجهوداً.

\* \* \*

وقع أمر غريب جداً عندما التقيت سكوت فترزجيرالد أول مرة. حدثت أشياء غريبة عديدة مع سكوت فيما بعد، ولكن لم أتمكن من نسيان تلك الحادثة البينة. لقد جاء إلى حانة (دينغو) في شارع (دلامبر) حيث كنت جالسا مع أشخاص متواضعين تماماً، وقدم لنا نفسه وقدم رجلاً طويلاً لطيفاً كان معه اسمه (دونك شابلان) \*، لاعب البيسبول المشهور. لم ألتصق مباريات برنستون \* للعبة البيسبول ولم أسمع مطلقاً بدونك شابلان، ولكنه كان لطيفاً للغاية وهادئاً ومرتاح البال وودوداً وقد فضلتته على سكوت كثيراً.



كان سكوت حينذاك رجلاً، ولكنه كان يبدو مثل غلام وجهه يتراوح بين الوسامة والملاحه. وكان له شعر أشقر مجعد، وجبهة عالية، وعينان لامعتان ودودان، وفم إيرلندي رقيق طويل الشفتين لو كان لفتاة لغدت بارعة الجمال. وكان ذقنه قوياً وأذناه جيدتان وأنفه حسناً، بل جميلاً تقريباً، لا عوج فيه. ولا تشكل تلك الصفات مجتمعة وجهاً حسناً، ولكن أضف إلى ذلك السحنة والشعر الأشقر والفم. ويقلقك الفم بعض الشيء حتى تعرفه فيقلقك أكثر.

كنت متشوقاً جداً لرؤيته، وكنت قد عملت بجد طوال النهار، وبدا لي أنه من الرائع حقاً أن يحضر سكوت فتزجيرالد بصحبة دونك شابلان العظيم الذي لم أكن قد سمعت به من قبل ولكنه أصبح الآن صديقي. لم يتوقف سكوت عن الكلام، ونظراً لأنه أخرجني بما قاله إذ انصب كلامه كله على كتابتي وعظمتها، فإنني كنت أمعن النظر فيه بدلاً من الإنصات إليه. فقد كنا ما زلنا نعتقد في ذلك الوقت أن إطراء الآخرين بحضرتهم بمثابة عار مفضوح. وطلب سكوت قنينة شمبانيا وشربناها أنا وهو ودونك شابلان وبعض الأشخاص المتواضعين. ولا أظن أن دونك أو أنا قد تنبّعنا الخطاب؛ لأن كلامه كان خطاباً، وإنما واصلت إمعان النظر فيه. كان قوي البنية بعض الشيء ولم يبدُ في حال جيدة جداً، فوجهه منتفخ قليلاً. وكانت ملابسه المقتناة من (الإخوة بروكس)\* تناسبه تماماً، ولقميصه الأبيض ياقة مثبتة بزرين وربطة عنق من النوع الذي يلبسه الضباط، وفكرت في ضرورة

إخباره عن ربطة العنق إذ يوجد بريطانيون في باريس وقد يأتي  
أحدهم إلى حانة (دنغو)\* — وكان هناك اثنان منهم في ذلك الوقت  
— ثم صرفت النظر عن ذلك ورحت أحرق فيه أكثر. وببين فيما  
بعد أنه اشترى ربطة العنق من روما.

لم أَلَمْ بمعلومات كثيرة من جراء النظر إليه الآن، سوى أن له  
خلقة حسنة، ويدين قويتين، ليستا صغيرتين كثيراً، وعندما جلس  
على أحد مقاعد المشرب (البار) لاحظت أن ساقيه قصيرتان جداً.  
ولو كانت ساقاه اعتياديتين لكان أطول ببوصتين. وأنهينا قنينة  
الشمبانيا الأولى وعندما شرعنا في شرب القنينة الثانية شارف  
الخطاب على نهايته.

وأخذت ودونك تشعر بأحسن مما كنا عليه قبل شرب  
الشمبانيا وصار الوضع ألطف بكثير عندما انتهى الخطاب. وحتى  
ذلك الحين كنت أظن أن مسألة كوني كاتباً عظيماً كانت سراً  
مكتوماً بعناية بيني وبين زوجتي وبعض الذين نعرفهم معرفة  
جيدة تمكننا من التحدث إليهم في الموضوع. وسعدت لأن سكوت  
وصل إلى النتيجة نفسها حول العظمة المحتملة، ولكنني سررت  
كذلك عندما شارف على الانتهاء من خطابه. ولكن أعقبت  
الخطاب حصّة الأسئلة. كان بوسعك أن تمنع النظر في وجهه ولا  
تسمع لخطابه ولكن لا يمكنك التملّص من الأسئلة. وفهمت منها  
أن سكوت يعتقد أن بوسع الروائي أن يعثر على ضالته بتوجيه  
الأسئلة المباشرة إلى أصدقائه ومعارفه. ولهذا كان التحقيق  
مباشراً.

قال: "إرنست، لا مانع لديك من أن أخطبك بإرنست، أليس كذلك؟"

قلت: "اسأل دونك."

—: "لا تكن هازلاً، فأنا جاد. أخبرني، هل كنت أنت وزوجتك تتامان معاً قبل الزواج؟"  
— لا أدري.

— ماذا تعني بقولك لا أدري؟

— لا أتذكر.

— ولكن كيف لا يمكنك أن تتذكر شيئاً بمثل هذه الأهمية؟

قلت: "لا أعرف. إنه أمر غريب، أليس كذلك؟"

قال سكوت: "إنه أسوأ من الغريب. يجب أن تتذكر."

—: "آسف. إنه أمر مؤسف، أليس كذلك؟"

قال: "لا تتكلم مثل بحار إنجليزي، حاول أن تكون جاداً وتذكر."

قلت: "لا. لا فائدة."

—: "بمقدورك أن تبذل مجهوداً صادقاً لتتذكر."

وبدا لي أن الحديث قد تجاوز حدّه. وتساءلت في نفسي ما إذا كان ذلك يدينه مع الآخرين، بيد أنني لم أظن ذلك؛ لأنني رأيته يتصبّب عرقاً وهو يخاطبني. وبحتر العرق قطرات صغيرة على شفته العليا الطويلة الإيرلندية الشكل، وحدث ذلك في الوقت الذي صرفت نظري من وجهه وصوبته نحو الأسفل لأدق في طول ساقيه المسحوبتين إلى الأعلى وهو جالس على مقعد البار. والآن

استأنفت النظر إلى وجهه، وفي تلك اللحظة وقع ذلك الأمر  
الغريب.

فحينما كان جالساً على مقعد البار ممسكاً كأس الشمبانيا بيده  
أخذ جلده ينكمش على وجهه حتى اختفى تنفّسه، ثم ازداد انكماش  
الوجه حتى أمسى مثل وجه رجل ميت. غارت عيناه كأنه ميت،  
وتصلّبت شفتاه، وامتنع لون وجهه حتى صار مثل لون شمع  
مستعمل. ولم يكن هذا من خيالي. فقد رأيت بألم عيني كيف غدا  
وجهه مثل وجه إنسان ميت أو مثل قناع الموت..

قلت له: "سكوت، هل أنت على ما يرام؟"

لم يجب وصار وجهه أشدّ انكماشاً من ذي قبل.

قلت لدونك شابلان: "يحسن بنا أن نأخذَه لأقرب مركز  
إسعاف أولي."

— : "لا، إنه بخير."

— : "يبدو وكأنه يلفظ أنفاسه."

— : "لا، هذا ما يحدث له أحياناً."

أخذناه بسيارة أجرة وأنا قلق جداً، غير أن دونك قال إنه على  
ما يرام ولا داعي للقلق عليه، وقال: "من المحتمل أن يغدو بخير  
قبل أن يصل إلى منزله."

لا بد أن الأمر كما قال دونك؛ لأنني عندما التقيت بسكوت  
في مقهى بستان الليلك بعد بضعة أيام قلت له إنني آسف لأن

الشراب أثر فيه بتلك الكيفية ولعل ذلك نتيجة شربنا السريع بينما  
كنا نتحدث.

.....  
— "ماذا تعني بقولك آسف؟ وأي شراب أثر في بتلك الكيفية؟  
عمّ تتكلم، يا إرنست؟"

— "أعني تلك الليلة في حانة الـ (دنغو)."

— ": لم أصب بسوء في الـ (دنغو). كل ما هنالك أنني  
تعبت من هؤلاء البريطانيين الملاحين الذين كنت معهم فذهبت إلى  
منزلي."

— ": لم يكن هناك بريطانيون عندما كنت هناك. فقط  
السافي."

— ": لا تحاول أن تجعل منها لغزاً. أنت تعرف من أعني."  
فقلت: "آه." لا بد أنه عاد إلى الـ (دنغو) بعد ذلك. أو أنه  
ذهب إلى هناك مرة أخرى. لا، تذكرت، كان هناك بريطانيان.  
صحيح. وتذكرت من هما. كانا هناك بالضبط.  
قلت: "نعم. طبعاً."

— ": تلك الفتاة التي تتحللقباً زائفاً وتتصرف بخشونة  
ومعها ذلك السكير السخيف. وقالوا إنهما من أصدقائك."  
— ": نعم. وهي وقحة جداً أحياناً."

— ": أرايت؟ لا فائدة من اختلاق ألغاز لمجرد أن شخصاً ما  
شرب بضع كؤوس من النبيذ. لماذا تريد أن تبتدع هذه الألغاز؟ لم  
أظنك تفعل شيئاً مثل ذلك."

وأريت أن أنهي الموضوع فقلت: "لا أنري." ثم تذكرت شيئاً آخر وسألته: "هل تصرفاً بوقاحة عندما تحدثاً عن ربطة عنقك؟"

— "ولماذا يتصرفان بوقاحة بشأن ربطة عنقي؟ كنت أرتدي ربطة عنق سوداء مع قميص أبيض من نوع بولو."

حينئذ تخليت عن متابعة الموضوع. وسألني لماذا أحب ذلك المقهى فأخبرته عن تاريخه في الأيام الخوالي، وبدأ يحاول أن يحبه هو الآخر، وجلسنا هناك، أنا الذي أحبته وهو الذي يحاول محبته، ووجه لي الأسئلة وأخبرني عن أدباء وناشرين ووكلاء أعمال ونقاد وعن جورج هوراس لوريمر\*، وعمما يدور من شائعات، وعن اقتصاديات الكاتب الناجح، وكان ساخراً ومضحكاً ومرحاً جداً وساحراً وودوداً، على الرغم من احتراسي ممن يتوكدون إليّ. وتحدثت باستخفاف ولكن بدون مرارة عن كل شيء كتبه، وعرفت أن كتابه الجديد جيد جداً بالتأكيد، إذ تحدثت بسنن مرارة عن هفوات الكتب السابقة. ورغب إليّ أن أقرأ كتابه الجديد (غاتسبي العظيم)\*، حالما يسترد النسخة الأخيرة والوحيدة من الشخص الذي استعارها منه. وعندما تسمعه يتحدث عن كتابه لا تعرف مدى جودته، ولا تلاحظ شيئاً على وجهه ما عدا الخجل الذي يعتريه، وهو خجل يشعر به جميع الأبناء غير المغرورين عندما ينجزون عملاً رفيعاً، ودخلتني رغبة الحصول على الكتاب في أقرب فرصة لأتمكن من قراءته.

وأخبرني سكوت عما بلغه من ماكسويل باركنز\* من أن الكتاب لا يُباع جيداً ولكنه حاز على مراجعات طيبة. ولا أذكر ما إذا كان قد أطلعني في ذلك اليوم أو في وقت لاحق على مراجعة كتبها جيلبرت سيلدس\* لا يمكن أن تكون أفضل مما كانت عليه، بل كان من الممكن أن تكون أحسن لو كان سيلدس ناقدًا أجود. وقد أصيب سكوت بالحيرة والخيبة لأن الإقبال على افتتاح الكتاب كان ضئيلاً، ولكنه، كما قلت، لم يكن يشعر بالمرارة، وأنه كان مسروراً بنوعية الكتاب سروراً يعتريه الخجل.

وفيما كنا جالسين في ذلك اليوم في شرفة مقهى الليلك، ونحن نشاهد حلول الغسق والمارة على الرصيف، ونراقب تحولات الضوء الرمادي في تلك الأمسية، لم أر أي تغير كيميائي على وجهه من جراء كأسَي الويسكي والصوردا اللتين تناولناهما، وترقبت ذلك التغير بعناية، ولكن لم يصبه شيء، ولم يوجه إليّ أسئلة غير محتشمة، ولم يفعل شيئاً محرجاً، ولم يرتجل خطاباً، وتصرف مثل شخص ظريف ذكي طبيعي.

وأخبرني أنه وزوجته (زبلدة)\* اضطرا لترك سيارتهما (الرونو)\* الصغيرة في مدينة (ليون)\* بسبب الطقس السيئ وسألني عما إذا كنت أرغب في مرافقته بالقطار إلى (ليون) لاستلام السيارة وقبالتها إلى باريس. وكان فتزجيرالد وعائلته قد استأجروا شقة مفروشة في العمارة رقم ١٤ في شارع (تيلسيت)\* ليس بعيداً عن ساحة (النجمة)\*. وكنا في أواخر فصل الخريف آنذاك، وظننت أن الريف سيكون في أحسن أحواله وأننا سنتمتع

برحلة رائعة. وبدأ لي سكوت رجلاً لطيفاً ومعقولاً جداً، وقد راقبته وهو يشرب كأسين مملوءتين بالويسكي، ولم يحدث أي شيء، وجعلني ظرفه وحسن إدراكه البادي للعيان أعدّ تلك الليلة في مقصف (الذنغو) مجرد حلم غير سار. ولهذا قلت إنه يسعدني أن أرافقه إلى (ليون)، وسألته عن الوقت الذي يريد أن يغادر فيه. واتفقنا على أن نلتقي في اليوم الثاني وقررنا حينذاك أن نسافر بالقطار السريع الذي يغادر باريس في الصباح. وكان هذا القطار ينطلق في ساعة مناسبة وسرعة فائقة، ولا يتوقف إلا مرة واحدة في مدينة (بيجون)\* على ما أنكر. وخططنا أن نصل إلى ليون ونفحص السيارة بغية التأكد من أنها في حالة جيدة، ونتناول عشاء شهياً ثم ننطلق في الصباح الباكر عائدين إلى باريس. وتحمست للرحلة، إذ سأكون برفقة كاتب أكبر مني سنّاً وحقق نجاحاً، وسيتاح لي الوقت للتحدث معه في السيارة فأتعلم — بالتأكيد — كثيراً وأفيد منه. ومن الغريب أن أتذكر الآن أنني نظرت إلى سكوت بوصفه كاتباً يكبرني سنّاً، ولكن، في ذلك الوقت، ولأنني لم أقرأ بعد كتابه (غانسبي العظيم)، اعتبرته أديباً أسنّ مني كثيراً. لقد كتب قصصاً لجريدة (بريد السبت المسائية)\* التي كانت واسعة الانتشار، قبل ثلاث سنوات من ذلك التاريخ، ولكنني لم أعد كاتباً جاداً مطلقاً. وكان قد أخبرني في مقهى (بستان اليلك) كيف كتب ما ظنّه قصصاً جيّدة ثم أجرى بعض التغييرات عليها قبل تقديمها إلى الجريدة لأنه كان يعرف بالضبط كيف ينبغي تعديلها لتصبح قصصاً تشتريها المجلات. صدمني



ذلك وقلت إنني أظنه نوعاً من البغاء. وقال إنه البغاء ولكنه كان مضطراً لذلك لأنه كان يكسب المال من المجلات ليتوفر لديه ما يكفي لتأليف كتب محترمة. وقلت إنني لا أصدق أن أحداً يستطيع أن يكتب بأي كيفية أخرى ما عدا الكيفية التي تظهر أفضل ما عنده ولا تسيء لموهبته. وقال ما دام إنه كتب قصة حقيقية في البداية فإنه لا يضيره أن يحطمها ويغيرها في النهاية. لم يكن بوسعي أن أصدق ذلك وأردت أن أجانبه ولكني كنت بحاجة إلى رواية لدعم وجهة نظري وتبيينها له وإقناعه بها، وأنا لم أكتب بعد مثل تلك الرواية. ومنذ أن أخذت بتقنيات كل كتاباتي والتخلص من كل سهولة وبمحاولة الإنشاء بدلاً من الوصف، أصبحت ممارسة الكتابة ممتعة ورائعة. ولكن كان يصعب عليّ كتابة رواية ولم أعرف كيف أستطيع أن أكتب شيئاً بطول الرواية. فغالباً ما كانت كتابة فقرة واحدة تستغرق مني الصباح بأكمله.

وأعربت زوجتي هادلي عن غبطتها لي للقيام بتلك الرحلة على الرغم من أنها لم تكن تأخذ ما قرأته من قصص (سكوت) مأخذ الجد. لقد كان (هنري جيمس)\* هو مثلها الأعلى للكاتب الجيد. بيد أنها رأت أنها فكرة طيبة أن استمتع بفترة استراحة من الكتابة وأمضي في تلك الرحلة، على الرغم من أننا — كلينا — كنا نتمنى لو كان لدينا المال الكافي لامتلاك سيارة والقيام برحلة خاصة بنا. ولكن لم تكن لديّ أي فكرة عن الوقت الذي تتحقق فيه أمنيّتنا تلك. كنت قد تلقيت تسبيحاً مقداره مائتا دولار من (بونوي ليفرايت)\* عن أول مجموعة لقصص القصيرة التي كان من

المقرر نشرها في أمريكا ذلك الخريف، وكنت أبيع قصصاً لجريدتي (الأوقات الفرانكفونية)\* و (در كرشت)\* في برلين ولمجلتي (هذا الفصل)\* و (عبر المحيط)\* في باريس، وكنا نعيش باقتصاد شديد ولا ننفق أي مال إلا للضروريات من أجل أن نذخر نقوداً تكفي للسفر إلى مهرجان (بامبلونا)\* خلال شهر يوليو وإلى مدريد وإلى مهرجان (بلنسيا) بعد ذلك.

في الصباح الذي كنا سنغادر فيه من محطة ليون في باريس وصلت المحطة قبل وقت كاف وانتظرت (سكوت) خارج البوابة المؤدية إلى القطارات، إذ إنه هو الذي كان سي جلب التذاكر. وعندما اقترب موعد مغادرة القطار ولم يأت سكوت بعد، اشتريت تذكرة دخول إلى موقف القطارات وأخذت أتمشى على الرصيف منتظراً وصوله. لم يقع نظري عليه، وحينما بدأ القطار بالتحرك قفزت إلى إحدى العربات وسرت داخل القطار كله على أمل أن أجده بين الركاب. كان ذلك القطار طويلاً ولم أعثر على سكوت فيه. شرحت الموضوع للجابي واشتريت تذكرة لنفسني، على الدرجة الثانية - إذ لم تكن هناك درجة ثالثة - وسألت الجابي عن اسم أفضل فندق في ليون. لم يكن ثمة شيء يمكنني أن أفعله سوى أن أبعث ببرقية من ديجون أعطيه فيها عنوان الفندق الذي سأنتظره فيه في ليون. وقد لا تصله برقيتي قبل أن يغادر باريس، ولكنني افترضت أن زوجته ستبرق بعنواني إليه. لم أسمع قط، آنذاك، عن رجل بالغ يفوته القطار؛ ولكن تلك الرحلة علمتني أشياء جديدة كثيرة.

كنت في تلك الأيام حادّ الطبع سريع الغضب، ولكن في الوقت الذي مرّ فيه القطار بمدينة (مونترُو)\* كنت قد هدأت وزايلني غضبي الشديد ورحت استمتع بمناسظر الريف، وعند الظهر تناولت غداء شهياً في عربة المطعم بالقطار وشربت قنينة من نبيذ (سان أميلون)\*، وقلت في نفسي إنه على الرغم من أنني كنت مغفلاً لأنني قبلت دعوة للقيام برحلة على حساب شخص آخر وانتهيت بدفع نفقاتها من مئخراتي التي نحتاجها للسفر إلى إسبانيا، فإن ذلك كان درساً جيداً لي. لم أكن قد قبلت من قبل دعوة من أي شخص قط للذهاب في أي رحلة إلا إذا كنت سأدفع نفقاتها مناصفة، وحتى في هذه الرحلة أصررت على اقتسام تكاليف الفندق والوجبات. ولكنني الآن لا أعرف حتى ما إذا كان (فترجيرالد) سيصل أم لا. وأثناء غضبي أنزلت رتبة علاقتي معه من (سكوت) إلى (فترجيرالد). وبعد ذلك سررت لأنني استنفدت غضبي في أول الرحلة وانتهيت من الموضوع. ولم تكن تلك الرحلة معدّة لرجل سريع الغضب.

وفي ليون علمت أن سكوت غادر باريس متوجهاً إلى ليون ولكنه لم يترك كلمة بخصوص المكان الذي سينزل فيه. وأكدت عنواني هناك وقالت الخادمة إنها ستعلمه به إذا اتصل بها هاتفياً. فالسيدة لم تكن في صحّة جيّدة وما زالت نائمة. هاتفّت جميع الفنادق الجيدة في ليون وتركت رسائل شفوية لديها ولكنني لم أعثر على سكوت. ثم ذهبت إلى مقهى لأتناول شرباً مشهياً وأطالع الصحف. وفي المقهى التقيت رجلاً يتكسّب من التهام النار وكذلك

من ثني قطع النقود التي يمسك بها بين فكيه الخاليتين من الأسنان ثم يستخدم إبهامه وسبابته فقط. وكشر عن لثته فبدت ملتهبه ولكنها قوية، ووصف عمله بأنه مهنة لا بأس بها. دعوته لتناول شراب معي فسراً بذلك. كان له وجه أسمر لطيف يتوهج ويشع عندما يأخذ في التهام النار. وقال إنه لا يكسب مالا من أكل النار ولا من ألعاب القوة بالأصابع والفكين في ليون. فأكلت النار المزيفون حطّوا المهنة وسيستمرّون في تحطيمها أينما سُمح لهم بمزاولتها. وقال إنه قام بأكل النار طوال المساء ومع ذلك فإنه لم يجمع من النقود ما يكفي لأكل أي شيء تلك الليلة. ودعوته لتناول شراب آخر ليتخلص من مذاق البترول الذي يخلفه التهام النار، وقلت إننا نستطيع أن نتناول طعام العشاء معاً إذا دُتني على مطعم جيد ورخيص، فقال إنه يعرف مكاناً ممتازاً.

وتناولنا الطعام في مطعم جزائري لقاء ثمن زهيد. واستحسنّت الطعام والنبذ الجزائري. ووجدت في أكل النار رجلاً لطيفاً، وأثار إعجابي وهو يأكل، فقد كان يستطيع مضغ الطعام بلثته المجردة مثلما يمضغ معظم الناس بأسنانهم. وسألني عن عملي الذي أعيش منه فأخبرته بأنني كاتب مبتدئ. وسأل عن نوع الكتابة التي أمارسها فقلت القصص. فقال إنه يعرف قصصاً كثيرة بعضها مريع لا يُصدّق أكثر من أي قصة مكتوبة. واقترح أن يروي قصصه لي ثم أتولى كتابتها وإذا ما كسبت مالا من جراء ذلك أعطيته ما أعدّه مبلغاً منصفاً. والأفضل من ذلك أن نرحل

معاً إلى شمال إفريقيا وسأخذني إلى بلاد السلطان الأزرق حيث  
بوسعي الاطلاع على قصص لم يسمع بها إنسان من قبل.  
وسألته عن نوع تلك القصص فقال المعارك، والإعدام،  
والتعذيب، والاعتصاب، والعادات المريعة، والطقوس التي لا  
تصدق، والدعارة، وأي شيء أحتاج إليه. وحان موعد عودتي إلى  
الفندق والاستفسار عن (سكوت) ثانية، فنفعت حساب المطعم  
وقلت له إننا لا بُدَّ أن نتصادف مرة أخرى. وقال إنه سيتوجه  
للعمل في مرسيليا\* وقلت إننا سنلتقي في مكان ما عاجلاً أو آجلاً،  
وإنني ساعدت بتناول الطعام معه. وتركته وهو يعدل اعوجاج قطع  
نقديّة ويرتبها على الطاولة، وقلت عائداً إلى الفندق.

لم تكن (ليون) مدينة مرحة في الليل، فهي مدينة كبيرة قبيضة  
موسرة، ومن المحتمل أنها لا بأس بها إذا كنت تملك المال وتحب  
ذلك النوع من المدن. وكنت أسمع لسنوات خلت عن الدجاج اللذيذ  
في مطاعمها، ولكننا أكلنا لحم الغنم بدلاً من الدجاج. وكان لحم  
الغنم ممتازاً.

لم تكن ثمة رسالة من (سكوت) في الفندق وأويت إلى فراشي  
في ترف الفندق الذي لم أعتد عليه، وطالعت في نسخة من المجلد  
الأول من (تخطيطات رجل رياضي)\* لتورجنيف\*، الذي كنت  
قد استعرت من مكتبة (سلفيا بيتش). لم أستمتع بترف فندق كبير  
منذ ثلاث سنوات، وفتحت الشبابتك على مصاريعها، ووضعت  
الوسائد تحت كفّي ورأسي وشعرت بسعادة لكوني مع تورجنيف  
في روسيا حتى غلبني النعاس وأنا ما زلت أقرأ. وفيما كنت أخلق

نقني في الصباح استعدادا لتناول الفطور، نادوا عليّ من الاستقبال قائلين إن سيدا هناك يرغب في مقابلتي.

— : "دعه يصعد من فضلك." قلت ذلك وأنا أواصل حلاقة نقني، وأسمع المدينة وهي تعود ثانية إلى الحياة منذ الصباح الباكر.

لم يصعد سكوت فالتقيته في صالة الاستقبال. وبادرني قائلا: "أسف جداً للارتباك الذي حصل. لو كنت أعرف فقط في أي فندق ستنزل لصار الأمر أيسر." قلت: "لا بأس." كنا سنقوم برحلة طويلة معاً وأردت أن أجنح للسلم. "في أي قطار أتيت؟"

— : "في قطار غادر بعد وقت قصير من قطارك. كان قطاراً مريحاً جداً، وكان من الممكن أن نأتي معاً." — : "هل تناولت طعام الفطور؟"

— : "لما بعد. كنت أبحث عنك في طول المدينة وعرضها." قلت: "هذا مؤسف. ألم يخبروك في المنزل أنني هنا." — : "لا، كانت زيلدة مريضة، وربما كان ينبغي عليّ ألا آتي. والرحلة كلها بمثابة كارثة حتى الآن."

قلت: "لنتناول فطورنا ونجد السيارة وننطلق." — : "حسناً، أتناول فطورنا هنا في الفندق؟" — : "سيكون أسرع في مقهى من المقاهي." — : "ولكن من المؤكد أننا سنحصل على فطور جيد هنا." — : "طيب."

وكان فطوراً أمريكياً كبيراً باللحم والبيض وكان جيداً جداً. ولكننا في الوقت الذي طلبناه، وانتظرناه، وأكلناه، وانتظرنا دفع الحساب، أضعنا ساعة تقريباً. وبعد أن وصل النادل بالحساب، قرّر سكوت أن نطلب من الفندق أن يعدّ لنا غداء سفيرياً. حاولت أن أقنعه بالتخلي عن هذه الفكرة لأنني كنت متأكداً من أننا نستطيع أن نشترى قنبنة نبيذ ماكون في ماكون\* ونشترى ما يلزم لإعداد شطائر باللحم المجفف، أو نتوقف عند أي مطعم من المطاعم العديدة على الطريق إذا كانت الحوانيت مغلقة. بيد أنه قال إنني كنت قد أخبرته أن الدجاج رائع في ليون، وينبغي بكل تأكيد أن نأخذ دجاجة معنا. وهكذا أعدّ للفندق لنا غداء كلفنا أربع أو خمس مرات أكثر من ثمنه لو اشتريناه بأنفسنا.

من الواضح أن سكوت كان قد شرب قبل أن ألقاه وبدا عليه كأنه في حاجة إلى شراب آخر، وسألته ما إذا كان يرغب في تناول شراب في البار قبل أن ننطلق، فأخبرني أنه لا يتناول الصبوح وسألني ما إذا كنت أصطبح. فأخبرته أن ذلك يعتمد كلياً على مزاجي وما عليّ أن أفعله في ذلك الصباح، فقال لي إذا كنت أشعر أنني أحتاج إلى شراب فإنه سينادمني لئلا أشرب منفرداً. وهكذا تناولنا شراب ويسكي مع ماء فوار (برييه) في البار حينما كنا ننتظر إعداد الغداء، وشعرنا كاللنا بارتياح.

دفعت حساب غرفتي في الفندق وحساب البار، على الرغم من أن سكوت أراد أن يدفع كل شيء. لقد كانت لي مشاعر متضاربة بشأن هذه الرحلة منذ بدايتها، وأحسست أن هناك ما هو

أكثر أهمية منها لإنفاق المال عليه. فقد أخذت أصرف ما انخرته من نقود لرحلة أسبانيا، غير أنني أدركت أن بميسوري أن أقترض من سلفيا بيتش ما أريد لتعويض ما كنت أبذره الآن. وفي المرأب (الكراج) الذي أودع فيه سكوت السيارة، ذهشت عندما ألفت أن السيارة الرونو الصغيرة لا سقف لها؛ فقد تضرر السقف عند إنزال السيارة من الباخرة في مرسيليا، أو أنه تضرر بمرسيليا بكيفية ما، وطلبت زبلدة قطعه ورفضت تعويضه بسقف آخر. إذ كانت زوجته تكره سقوف، السيارات، كما أخبرني سكوت، وقادا السيارة بدون سقف حتى ليون ثم أوقفتهما الأمطار. وفيما عدا ذلك فالسيارة في حالة جيدة. ودفع سكوت الفاتورة بعد أن جادلهم حول تكاليف مختلفة تخص الغسيل والتشحيم ولتزيين إضافيين من الزيت، وأخبرني صاحب الكراج أن السيارة بحاجة إلى حلقات (أساور) جديدة لمكبس المحرك، فمن الواضح أنها كانت تستعمل بدون زيت ولا ماء كافيين. وأراني كيف تضررت صباغة المحرك بسبب ارتفاع درجة حرارة المحرك، وحثني على إقناع السيد بإجراء ما تحتاج من عمل على حلقات المكبس في باريس بحيث يكون في مقدور السيارة، وهي سيارة صغيرة جيدة، تأدية الخدمة التي صُنعت من أجلها.

— "ألا يسمح لي السيد بتبديل السقف؟"

— "كلا."

— "إن علينا التزامات تجاه السيارة."

— "علينا."



— : "أليس لدى السيدين معاطف مطرية مشمعة؟"  
قلت : " لا، لم أعرف شيئاً عن السقف."  
وقال مستعظفاً: "حاول أن تجعل السيد أكثر جدية على الأقل  
فيما يخص السيارة."  
قلت : "آه."

وأوقفنا الأمطار على بعد حوالي ساعة شمالي مدينة ليون.  
وأوقفنا الأمطار في ذلك اليوم عشر مرّات تقريباً. وكانت  
على شكل زخّات عابرة بعضها أطول من بعض. ولو كان لدينا  
معاطف مشمعة لكان السفر ممتعاً تحت أمطار الربيع. ولكن في  
وضعنا ذلك كنا نضطر إلى الاحتماء من المطر تحت الأشجار،  
أو نتوقّف في المقاهي على الطريق. وكان لدينا الغداء الرائع من  
الفندق في ليون: دجاجة محمّرة بالكماة مع خبز لذيذ ونبيذ ماكون  
الأبيض، وكان سكوت سعيداً جداً بشرب نبيذ ماكون في كل مرة  
توقفنا فيها. وكنت قد اشتريت من ماكون أربع قناني إضافية من  
النبيذ الجيد عمدت إلى فتحها كلما احتجنا إليها.

لمت متأكداً ما إذا كان سكوت قد شرب النبيذ من القنينة  
مباشرة من قبل، لذا وجد ذلك أمراً مثيراً، كما لو كان يلج حياً  
فقيراً، أو كما تشعر فتاة تسبح بدون ثوب سباحة لأول مرة. ولكن  
أخذ القلق يساوره على صحته بعد الظهر. وأخبرني عن شخصين  
توفيا مؤخراً من جراء احتقان الرئتين. وكلاهما مات في إيطاليا  
وقد تأثر كثيراً لذلك.

وقلت له إن احتقان الرئتين هو مصطلح قديم لذات الرئة أو  
الالتهاب الرئوي، فقال لي إنني لا أعرف شيئاً عنه وإنني مخطئ  
تماماً، وإن احتقان الرئتين مرض متأصل في البيئة الأوروبية وليس  
من الممكن أن أعرف شيئاً عنه حتى إذا كنت قد قرأت كتب  
والدي الطبية، لأنها تدور حول الأمراض الأمريكية تحديداً. وقلت  
إن والدي درس في أوروبا كذلك. ولكن سكوت شرح لي أن احتقان  
الرئتين ظهر في أوروبا مؤخراً فقط ولم يكن بمقدور والدي أن  
يعرف عنه شيئاً. وشرح لي كذلك أن الأمراض تختلف باختلاف  
المناطق حتى في أمريكا، وإذا كان والدي قد مارس الطب في  
نيويورك بدلاً من الغرب الأوسط، فإنه سيتعرف على طبقة  
مختلفة من الأمراض. واستعمل كلمة طبقة.

وقلت له إنه على حق من حيث انتشار أمراض معينة في  
صقع من الولايات المتحدة واختلافها في أصقاع أخرى، وضربت  
مثلاً لذلك في مقدار الجذام في نيو أورليانز وحدثه النادر،  
حينذاك، في شيكاغو. بيد أنني أضفت أن للأطباء نظاماً للتبادل  
المعلومات والمعرفة فيما بينهم؛ وقد تذكرت، بعد أن أثار  
الموضوع، أنني كنت قد قرأت مقالاً عن احتقان الرئتين في أوروبا  
في مجلة ( الجمعية الطبية الأمريكية ) يتتبع المرض إلى أيام  
أبيقور \* نفسه. وهذا أوقفه لهنيهة، فحنته على تناول شراب  
ماكون آخر، ما دام النبيذ الأبيض الجيد الذي يشتمل على نسبة  
منخفضة من الكحول علاجاً ضد المرض، إذا تناولته الفرد  
باعتدال.

وانتَـعش سكوت قليلاً بعد ذلك ولكنه سرعان ما انتَـكس،  
وسألني إذا كنا سنصل مدينة كبيرة قبل أن تباغته الحمى  
والهلوسة. وعندها أبلغته أن مرض احتقان الرئتين الأوربي يعلن  
عن نفسه بأعراض واضحة. وكنت آنئذ أترجم من مقال قد قرأته  
في مجلة طبية فرنسية عن نفس المرض في صالة الانتظار في  
المستشفى الأمريكي بضاحية (نيي)\* في باريس قبيل إجراء عملية  
كَيّ لبلعومي. ولقيت كلمة كَيّ ارتياحاً من قبل سكوت. ولكنه أراد  
أن يعرف متى سنصل إلى مدينة من المدن. فقلت إننا إذا وصلنا  
السير فسنبذل مدينة بعد فترة تتراوح بين خمس وعشرين دقيقة  
وساعة.

وسألني سكوت ما إذا كنت أخشى الموت، فأجبت بأن ذلك  
الشعور يتناوبني بين الفينة والأخرى.

وأخذت الأمطار تتساقط الآن بغزارة فلجأنا إلى مقهى في  
قرية قريبة. لا أتذكر تفاصيل بعد ظهر ذلك اليوم، ولكن عندما  
بلغنا أخيراً مدينة يفترض أنها (شالون على نهر الساون)\*، كان  
الوقت متأخراً وجميع الصيدليات مغلقة. وخلع سكوت ملابسه  
وأوى إلى فراشه حالماً وصلنا إلى الفندق. وقال إنه لا يأبه  
بالموت من جراء احتقان الرئتين. ولكن المسألة تكمن في مَنْ  
سيغتني بزوجته وطفله الصغيرة سكوتي. ولم أتصور كيف  
يمكنني أن أعتني بهما في الوقت الذي أعاني فيه كثيراً من إعالة  
زوجتي هادلي وولدي الصغير بمبي\*، ومع ذلك فقد وعدته بأنني  
سأبذل ما في وسعي لرعايتهما فشكرني سكوت على ذلك. كان

عليّ أن أتأكد من أن زيلدة لا تشرب وأن تكون لمسكوني مربية إنجليزية.

بعثنا بملابسنا لتجفّ وبقينا بمنامتيّنا. وكانت الأمطار ما تزال تهطل في الخارج، ولكن الغرفة بهيجة من الداخل بفضل الأضواء الكهربائية. وظل سكوت مستلقياً على الفراش احتفاظاً بقوة لمقارعة المرض. وقمت بجس نبضه فألفيته ٧٢، وتحسّست جبهته فوجدتها باردة. وأصخت السمع إلى صدره وطلبت منه أن يتنفس بعمق، فبدأ لي صدره على ما يرام.

وقلت له: "اسمع، يا سكوت! أنت بخير تماماً. وإذا أردت أن تتحاشى الإصابة بالزكام، فأفضل شيء تفعله هو أن تبقى في فراشك فقط، وسأطلب لكل واحد منا كأساً من عصير الليمون والويسكي وتأخذ حبة أسبرين مع شرابك، وستشعر كما ينبغي ولن تصاب حتى يبرد في رأسك.

فقال سكوت: "هذه من وصفات الزوجات العجائز."

— "ليس عندك حرارة. فكيف تصاب — بحق جهنم — باحتقان الرئتين بدون حرارة؟"

قال سكوت: "لا تجدف أمامي. كيف تعرف أن لا حرارة عندي؟"

— "نبضك طبيعي ولا وجود للحرارة عندك حين ألمسك."

قال سكوت بمرارة: "حين تلمسني." وأضاف: "إذا كنت صديقاً صدوقاً، آتني بميزان الحرارة."

— "إنني بمنامتي."

— : " أرسل مَنْ يأتي به. "

وضغطت على زر الجرس لاستدعاء النادل. لم يأت فضغطت على الزر مرة ثانية، ثم نزلت إلى الرواق للبحث عنه. وكان سكوت مستلقياً على الفراش وعيناه مغمضتان، ويتنفس ببطء وعناية، وتبدى لي بلونه الشمعي وتقاطيع وجهه الكاهلة مثل فارس صليبي ميت. وأخذت أشعر بالسأم من حياة التفرغ للأدب إذا كانت تلك هي الحياة الأدبية التي أعيشها. وأخذت أفنقد العمل، وأحسست بوحشة الموت التي تغشانا في نهاية كل يوم يضيع من حياتنا. ومللت سكوت ومهزلته السخيفة، بيد أنني عثرت على النال وأعطيته نقوداً ليشتري بها ميزان حرارة وعلبة أسبرين، وطلبت كأساً عصير ليمون واثنين من الويسكي. أردت أن أطلب فنية ويسكي كاملة ولكنهم لا يبيعونه إلا بالكؤوس.

وحينما عدت إلى الغرفة ألفت سكوت ما زال ممتدداً كما لو كان في لحدّه، منحوتاً مثل مومياء، وعيناه مغمضتان، وهو يتنفس بوقار لا مثيل له. وعندما سمعني أدخل الغرفة تكلم: " هل أتيت بالمحرار؟ "

ننوت منه ووضعت يدي على جبهته. لم تكن باردة كالقبر، ولكنها كانت باردة وليست رطبة. وقلت: " لا. "

— : " ظننت أنك أتيت به. "

— : " بعثت في طلبه. "

— : " ليس هذا الشيء نفسه. "

— : " لا، ليس الشيء نفسه، أليس كذلك؟ "

ليس في وسعك أن تغضب على سكوت أكثر مما تغضب على شخص أحمق، ولكنني أمسيت غاضباً على نفسي لتورطي في هذه المهزلة. ولكنه كان على حق في أمر، وأنا أعرف ما هو جيداً. كان معظم السكيرين يموتون في تلك الأيام من التهاب الرئتين، وهو مرض تم استئصاله تقريباً في الوقت الحاضر. ولكن من الصعب أن تعدّه سكيراً، ما دام يتأثر بمثل تلك الكميات القليلة من الكحول.

كنا في أوروبا نظنّ آنذاك أن النبيذ شيء صحي وطبيعي كالغذاء ونعتبره كذلك مانحاً كبيراً للسعادة والخير والانشراح. لم يكن تناول النبيذ نوعاً من الاستعلاء أو علامة الرقي أو صنفاً من العبادة، بل كان شيئاً طبيعياً كالطعام، وبالنسبة لي ضرورياً كذلك كالطعام، فلم أفكر قط في تناول وجبة من الوجبات دون أن أتناول معها إما نبيذاً أو عصير التفاح أو الجعة. وأحببت جميع أصناف النبيذ ما عدا النبيذ الحلو والنبيذ الثقيل جداً. ولم يخطر ببالي أبداً أن منادمة سكوت في شرب بضع قناني من نبيذ ماكون الأبيض الجاف الخفيف نوعاً ما يمكنها أن تحدث فيه تغييرات كيميائية وتحوله إلى رجل أحمق. نعم كان هناك الويسكي وماء بيريبه الفوار في الصباح، ولكن لجهلي بالكحوليات يومئذ، لم أتصور أن كأساً واحدة من الويسكي سيؤدي أي شخص يقود سيارة مكشوفة في المطر. لا بد أن الكحول قد تأكد بعد فترة وجيزة.

وفي انتظار وصول النادل مع الأشياء المختلفة، جلست أقرأ جريدة وأنهيت قنينة نبيذ ماكون لم تفتح أثناء توقّفنا الأخير. ثمة

جرائم رائعة دائماً في الصحف ويمكنك متابعتها يوماً بعد يوم إذا عشت في فرنسا. وتقرأ تلك الجرائم مثل قصص سلسلة، ومن الضروري قراءة الفصول الافتتاحية، وذلك لعدم وجود ملخصات للفصول السابقة كما هو الحال في القصص المسلسلة الأمريكية؛ وعلى كل حال، فإنك لا تستمتع بقصة أمريكية مسلسلة ما لم تكن قد قرأت الفصل الأول ذا الأهمية القصوى. وعندما تسافر عبر فرنسا، فالصحف مخيبة للآمال؛ لأنك تفقد الاستمرارية في الجرائم، والغراميات، والفضائح المختلفة، وتفقد كثيراً من المتعة التي تستقيها منها وأنت تطالعها في مقهى. وهذه الليلة كنت أفضل كثيراً أن أكون في مقهى حيث يمكنني أن أقرأ الطبعة الصباحية لصحف باريس وأشهد المارة وأشرب شيئاً أقوى من نبيذ ماكون تمهيداً لتناول العشاء. بيد أنني كنت أعتني بسكوت، وهكذا عملت على تسليّة نفسي حيث كنت.

وعندما وصل النادل وهو يحمل كأس عصير الليمون والتج والويسكي وقنينة ماء بيريه الفوار، أخبرني أن الصيدلية مغلقة، وإنه لم يستطع الحصول على محرار، وأنه استعار بعض حبات الأسبرين. ورجوته أن يحاول استعارة محرار. وفتح سكوت عينية وحدهج النادل بنظرة إيرلندية مؤنية.

وسألني: "هل أخبرته أن الحالة خطيرة."

— "أظن أنه يفهم."

— "أرجو أن تحاول توضيح ذلك له."

وحاولت أن أبين ذلك للنادل الذي قال: " سأفعل ما بوسعي. "  
— : " هل أعطيتَه من البقشيش ما يكفي لينذل جهده. إنهم يعملون  
فقط عندما يحصلون على بقشيش. "

قلت: " لم أعلم بذلك. ظننت أن الفندق يدفع لهم شيئاً إضافة إلى  
مرتبتهم. "

— : " أعني أنهم لا يفعلون شيئاً لأجلك ما لم تدفع لهم بقشيشاً  
كبيراً، فمعظمهم فاسد حتى النخاع. "

وفكرت في إيفان شيمان \* وتذكرت النادل في مقهى بستان  
الليلك الذي أُجبر على حلق شاربه عندما وضعوا باراً أمريكياً في  
المقهى، وكيف كان شيمان يعمل في حديقة ذلك النادل في ضاحية  
مونترُوج \* قبل وقت طويل من تعرفي على سكوت، وكيف كنا  
جميعاً أصدقاء طيبين في مقهى البستان رداً طويلاً من الزمن،  
وتذكرت جميع ما جرى وتأثيره فينا جميعاً. وعلى الرغم من أنني  
كنت، على ما يحتمل، قد ذكرت ذلك لسكوت من قبل، فإنني أعلم  
أنه لا يهتم بالنذل ولا بمشاكلهم ولا بلطفهم ومحبتهم. وكان سكوت  
في ذلك الوقت يكره الفرنسيين، ولما كان الفرنسيون الوحيدين  
الذين يلتقي بهم سكوت هم النذل الذين لم يفهمهم، وسواقي  
سيارات الأجرة، ومستخدمي الكراجات، وملاكى الشقق، فقد  
أُتيحت له فرص كثيرة لإهانتهم وهضم حقوقهم.

وكان سكوت يكره الإيطاليين أكثر من الفرنسيين ولم يستطع  
التحدث عنهم بهدوء حتى عندما كان صاحباً. وغالباً ما كره  
الإنجليز بيد أنه كان يحتملهم أحياناً ويحترمهم بعض المرات. ولم



أعرف مشاعره تجاه الألمان والنمساويين. ولم أعلم ما إذا التقى أحدهم أو أيّ سويسري قط.

وسررت في تلك الأمسية بالفندق، لأنه كان هادئاً. وخلطت عصير الليمون والويسكي وقدمته له مع حبّي أسبرين، وبلغ الأسبرين بدون اعتراض وبهدوء يثير الإعجاب وراح يحتسي شربه. وكانت عيناه مفتوحتين الآن وقد صوّب نظره بعيداً. وكنت أقرأ عن الجريمة في الصحيفة وكنت مسروراً، مسروراً أكثر من اللازم على ما يبدو.

وسألني سكوت: "أنت رجل بارد، أليس كذلك؟"

وعندما نظرت إليه رأيت أنني كنت مخطئاً في وصفتي، إن لم أكن مخطئاً في تشخيصي، فقد أخذ الويسكي بفعله ضحكاً.

— "ماذا تعني بذلك، يا سكوت؟"

— "بميسورك أن تجلس هناك وأنت تقرأ تلك الجريدة الفرنسية القنرة ولا يعني لك شيئاً أنني أموت هنا."

— "هل تريدني أن أ استدعي طبيباً؟"

— "لا، إنني لا أريد طبيباً فرنسياً ريفياً قذراً."

— "ماذا تريد، إذن؟"

— "أريد أن تُقاس حرارتي. ثم أريد أن تُجفف ملابسني وأن نستقل قطاراً سريعاً إلى باريس لأذهب إلى المستشفى الأمريكي في نبي."

فقلت: "ملابسنا لا تتشف حتى الصباح ولا توجد قطارات سريعة.

لماذا لا تستريح وتتناول طعام العشاء في الفراش؟"

— : "أريد أن تُقاس حرارتي."

وبعد ذلك بوقت طويل جلب النادل المحرار . وسألته : " هل هذا المحرار الوحيد الذي استطعت الحصول عليه؟" وأغمض سكوت عينيه عندما دخل النادل وبدأ على الأقل كما لو رجل بعيداً مثل كاميليا\* . ولم أرَ في حياتي قط رجلاً يهرب للدم من وجهه بمثل تلك السرعة، وتساعت أين ذهب ذلك الدم.

وقال النادل : "إنه المحرار الوحيد الذي في الفندق." وناولني المحرار . لقد كان محرار الحمام وله قاعدة خشبية وعليه من المعدن ما يكفي لجعله يغطس في الحمام . وأخذت بسرعة جرعة من اللويسكي وفتحت الشباك لحظة لأطل على المطر . وعندما استدرت رأيت سكوت وهو يراقبني .

نفضت المحرار بطريقة مهنية وقالت : "إنك محظوظ لأنه ليس محراراً مستقيماً "

— : "أين يوضع هذا النوع؟"

— : "تحت الإبط." قلت ذلك ودسسته تحت ذراعي .

وقال سكوت : " لا تترك المحرار ." ونفضت المحرار مرة أخرى ، بهزة حادة واحدة إلى الأسفل ، وفككت أزرار منامته ووضعت الآلة تحت إبطه وأنا أتحسس جبهته الباردة بيدي ، ثم أخذت نبضه مرة أخرى . كان يحدق في الفضاء البعيد . وكان نبضه ٧٢ . وأبقيت المحرار تحت إبطه أربع دقائق .

وقال سكوت : " ظننت أنهم يضعون المحرار مدة دقيقة واحدة فقط."

"فشرحت له قائلاً: "إنه محرار كبير، ولهذا فأنت تضرب الوقت  
بمربع حجم المحرار. إنه محرار مثويّ"  
وأخيراً أخرجت المحرار وأخذته تحت الضوء لقراءته.

— "ما هي؟"

— "سبع وثلاثون وستة أعشار."

— "وما هي الطبيعية؟"

— "تلك هي الطبيعية."

— "هل أنت متأكد؟"

— "بالتأكيد."

— "جربّه عليك. لا بدّ أن أتأكد."

نفضت المحرار وفتحت منامتي ووضعته تحت إبطي وأنا  
أراقب الساعة. ثم ألقيت نظرة عليه.

— "ما هي؟" ونظرتُ إلى المحرار.

— "نفس الشيء بالضبط."

— "وكيف تشعر؟"

قلت: "رائع." وكنت أحاول أن أتذكّر ما إذا كانت سبعة وثلاثين  
وسبعة أعشار هي درجة الحرارة العادية أم لا. ولم يكن ذلك مهماً  
لأن المحرار كان ثابتاً على درجة ثلاثين لم يتغير.

وأخذ الشكّ يساور سكوت قليلاً ولهذا سألته عما إذا كان  
يريدني أن أعيد التجربة. فقال: "لا، يمكن أن نسعد لأن الغمة  
انجلت بسرعة، فأنا أتوفّر دائماً على قوة عظيمة تمكّني من  
استرداد عافيتي."

قلت: "أنت بخير. ولكن أظن أن من الأفضل، مع ذلك، أن تبقى في فراشك وتتناول عشاء خفيفاً، ثم بمقدورنا أن ننطلق في الصباح الباكر."

وكان في نيتي أن أفتني معطفين مطريين لنا، ولكن يتوجب عليّ أن أقترض النقود منه ولم أرد أن أبدأ الجدل معه حول ذلك الآن.

لم يشأ سكوت أن يبقى في الفراش. أراد أن ينهض ويرتدي ملابسه وينزل ليتصل هاتفياً بـزليدة لتعلم أنه على ما يرام. — "ولماذا تظن زليدة أنك لست على ما يرام؟"

— "هذه أول ليلة أبات بعيداً عنها منذ زواجنا ولا بد من مكالمتها. ويمكنك أن ترى ما يعنيه ذلك لكلينا، ألا يمكنك ذلك؟" كان بإمكانني أن أرى ذلك، ولكن لم يكن بإمكانني أن أرى كيف استطاع هو وزليدة أن يناما مع الليلة الفائتة، بيد أن ذلك لا يستحق المناقشة. وتناول سكوت الويسكي بسرعة فائقة الآن، ثم رجاني أن أطلب كأساً أخرى. وجدت النادل وأعدت المحرار إليه وسألته عما إذا كانت ملابسنا قد جفت، فقال إنها قد تغدو جاهزة بعد حوالي الساعة. وقلت له: "اطلب من مستخدم التنظيف أن يعصر ملابسنا مما يساعد على تجفيفها. وليس من المهم أن تكون جافة كالعظم."

وجلب النادل الشرايين اللذين طلبناهما للوقاية من الزكام. وأخذت أحسني شراي وحشيت سكوت على احتساء شرايه بتؤدة. ولتأبني القلق الآن من إمكان إصابته بالزكام، وتأكد لي بعد كل

ما مرّ بنا من أنه إذا أصيب بعارض مُحَقِّق كالزكام فإن دخوله المستشفى قد يمسي محتمّاً. ولكن الشراب جعله يشعر بارتياح برهة من الوقت، وأحسنّ بسعادة وهو يتعاش مع مضامين الكارثة المتمثلة في فراقه مع زليدة لأول ليلة منذ زواجهما. وأخيراً لم يحتمل الانتظار أطول من ذلك فأرتدى بُرده ونزل لمكالمة زليدة هاتفياً.

واستغرق طلب تسجيل المكالمة الهاتفية بعض الوقت وبعدها بقليل صعد سكوت إلى الغرفة، وظهر النادل خلفه حاملاً كأسين أخريين من الويسكي. وهكذا شاهدت سكوت يشرب أكبر قدر من الكحول، حتى تلك الحين، ولكن لم يؤثر فيه سوى أنه جعله أكثر حيوية وثرثرة، وراح يحدثني بإيجاز عن حياته مع زليدة. فأخبرني كيف التقاها إبان الحرب ثم فقدوها ثم استعادها، كما أخبرني عن زواجهما، وبعثذ عن كارثة حاقت بهما فسي سانت رافائيل\* قبل عام تقريباً. وكانت تلك الرواية الأولى التي سردها عليّ حول وقوع زليدة في غرام ضابط طيار من البحرية الفرنسية قصة حزينة وأعتقد أنها حقيقية. فقد سرد عليّ فيما بعد روايات أخرى لتلك القصة، كما لو كان يجربها للاستعمال في قصة طويلة يكتبها، ولكن لم تكن أي من تلك الروايات بمثل حزن الرواية التي سردها عليّ أول مرة، على الرغم من أن من المحتمل أن تكون إحدى تلك الروايات صادقة. وفي كل رواية كان السرد أفضل، ولكنها لم تؤلمني كما ألمتني الصيغة الأولى. كان سكوت فصيحاً ومتمكناً من السرد. ولم يكن مضطراً

لوضع النقاط على الحروف، ولا يخامرك إحساس بأنك تستمع إلى أمي وصلك خطابه قبل أن تصحح كلماته وعباراته عرفته مدة عامين قبل أن يتمكن من تهجئة اسمي بصورة صحيحة، ولكن اسمي اسم طويل وربما يصبح أصعب تهجئة في كل محاولة، وأخيرا اعترفت بمقدرته وهنأته على تمكنه من كتابة اسمي بشكل صحيح. وتعلم بعد ذلك كيف يتهجى أشياء أكثر أهمية، وحاول أن يفكر بشكل مستقيم بشأن أمور كثيرة.

أرادني في تلك الليلة أن أعرف وأفهم وأنفهم ما حدث في سان رافائيل، ورأيت كل شيء بوضوح بحيث أصبح بوسعي أن أشاهد طيار البحرية وهو يقبل بسرعة في عوامته، وأشاهد لئون البحر وشكل العوامة والظل الذي يلقيانه على بشرة زيلدة وبشرة سكوت وعلى اللونين الأشقر الغامق والأشقر الخفيف لشعرهما، وعلى الوجه المسمر للفتى عاشق زيلدة. ولم أتمكن من طرح السؤال الذي ألح على ذهني وهو : إذا كانت تلك القصة حقيقية وأنها وقعت فعلا، كيف يستطيع سكوت أن ينام كل ليلة في نفس الفراش مع زيلدة؟ ولكن ربما يكون ذلك هو الذي جعل تلك القصة حزينة أكثر من أي قصة أخرى رويت لي على الإطلاق، وربما لم يتذكر، كما لم يتذكر الليلة الفائتة.

وصلت ملابسنا قبل أن تصل مكالمة سكوت الهاتفية وارتديناها ونزلنا لتناول طعام العشاء. وكان سكوت غير مستقر نوعاً ما وكان ينظر إلى الناس من طرف عينيه مع شيء من العدائية. وقدموا لنا قواقع بحرية جيدة مع غرافة نبيذ، وبينما كنا

في منتصفها وصلت مكالمة سكوت الهاتفية، فذهب لإجرائها وظل حوالي الساعة فأكلت حصته من اللقواق في نهاية المطاف، وكنت أتناولها مع كسرات من الخبز أغمسها في الزبدة المخلوطة بالثوم والبقدونس، وشربت غرافة النبيذ. ولما عاد قلت له إنني سأطلب له قواقع أخرى ولكنه قال إنه لا يريد. ورغب في تناول شيء أبسط. لم يرد شريحة لحم، ولا الكبد، ولا القديد، ولا البيض. إنه سيتناول الدجاج. كنا قد أكلنا دجاجة باردة جيدة وقت الغداء، ومع ذلك فإن هذه المنطقة مشهورة بدجاجها، وهكذا تناولنا دجاجة وقنينة نبيذ أبيض طيب من منتجات تلك المنطقة. وأكل سكوت قليلاً واحتسى كأساً من النبيذ. وأغمي عليه على الطاولة ورأسه على يديه. وكان ذلك طبيعياً وليس مشهداً تمثيلاً وبدا كما لو كان حريصاً على عدم إراقة النبيذ أو كسر الصحون. وقمت أنا والنادل بنقله إلى الغرفة ومددناه على فراشه وخلعت ملابسه وعلقتها، ثم غطيته بملاءة الفراش. وفتحت الشباك ولاح لي الجو صحواً في الخارج، وتركت الشباك مفتوحاً.

ونزلت ثانية إلى المطعم لأنهي عشائي ورحبت أفكر في سكوت. كان واضحاً أنه من اللازم أن لا يتناول المشروبات، وأنني لم أعتن به كما يجب. فكل شيء كان يشربه يثيره كثيراً ويسممه، وقررت أن أقلل الشراب إلى الحد الأدنى في اليوم التالي. سأخبره بأننا عائدون إلى باريس ويتوجب علي أن اضبط نفسي وأمتنع عن الشرب لأستأنف الكتابة. وليس ذلك بصحيح، فالانضباط الذي كنت أمارسه هو الامتناع عن الشراب بعد العشاء

وقبل الكتابة وفي أثنائها. صعدت إلى الغرفة وفتحت جميع الشبابيك على مصراعها وخلعت ملابسها واستغرقت في النوم حالماً أويت إلى فراشي.

وفي اليوم التالي سقنا السيارة إلى باريس في نهار مشرق جميل مزوراً بشاطئ الذهب\*، وكان الهواء منعشاً بعد سقوط المطر، وبدت اللال والسهوب وحقول العنب كلها جديدة، وأصبح سكوت بهيجاً سعيداً وبصحة جيدة، وأخبرني بعقدة كل رواية من روايات ميخائيل آرلن\*. وقال إن ميخائيل آرلن هو الرجل الذي يتوجب عليّ أن أتابع أعماله، وأنا وهو يمكننا أن نتعلم منه كثيراً. وقلت إنني لم استطع قراءة تلك الكتب، فقال ليس ذلك ضرورياً، فهو سيتولى شرح عقد الروايات ووصف شخصياتها. وألقى عليّ نوعاً من أطروحة دكتوراه شقوية حول ميخائيل آرلن.

وسألته ما إذا كان اتصاله الهاتفي مع زليدة واضحاً بلا ضوضاء فقال إنه لا بأس به وأنهما تحدثتا حول أمور كثيرة. وعند تناول الطعام طلبت قنينة من أخف نبيذ استطعت أن أجده فسي القائمة، وأخبرت سكوت أنه سيتكرم عليّ كثيراً إذا منعني من طلب المزيد من النبيذ؛ لأنه يتوجب عليّ الامتناع عن الشرب قبل أن أستأنف الكتابة، وأنه لا ينبغي أن أشرب أكثر من نصف القنينة بأي حال من الأحوال. وتجاوب سكوت معي في ذلك بصورة رائعة، وعندما لاحظ توترني ونحن نقترّب من نهاية القنينة، أعطاني بعض حصّته.



وبعدما تركته في منزله وغدت بسيارة أجرة إلى المنشرة،  
خامرني إحساس رائع لدى رؤية زوجتي، وذهبنا معاً إلى مقهى  
بستان الليلك لتناول شراب هناك. وشعرنا بسعادة الأطفال الذين  
يلتقون بعد فراق، وحدثتها عن الرحلة.

وسألتني: "ولكن ألم تفرح أو تتعلم شيئاً يا ناتي؟"  
—: "كنت سأتعلم عن ميخائيل آرلن، لو أصبختُ السمع،  
وتعلمت أشياء لم أصنفها بعد."

—: "ألم يكن سكوت سعيداً على الإطلاق؟"

—: "ربما."

—: "مسكين."

—: "تعلمت شيئاً واحداً."

—: "ما هو؟"

—: "لا تسافر أبداً مع أيّ إنسان لا تحبه."

—: "أليس ذلك جميلاً؟"

—: "نعم، وسنسافر معاً إلى إسبانيا."

—: "نعم، فلم يبقَ على موعد رحلتنا إلا أقل من ستة أسابيع.

ولن ندع أحداً يفسدها علينا هذا العام."

—: "لا. وبعد بتكبلونا\* سنذهب إلى مدريد وبلنسيا."

وقالت بغنج: "م م م م" مثل قطعة.

وقلت: "مسكين سكوت."

وقالت هادلي: "مسكين من لا يملك المال."

—: "إننا محظوظون حقاً."

---

— : "يجب علينا أن نكون طبيين ونحافظ على سعادتنا".  
ولمس كلانا الخشب على طاولة المقهى. وجاء النادل ليسرى  
ما نريد. ولكن الذي نريده لا يمكن أن يحققه لنا النادل أو لمس  
الخشب أو المرممر، لأن سطح الطاولة في ذلك المقهى كان من  
المرمر. ولكننا لم نعرف ذلك في تلك الأمسية، وأحسنا بسعادة  
غامرة.

وحمل إليّ سكوت كتابه بعد يوم أو يومين من تلك الرحلة.  
وكان له غلاف ورقي خارجي صارخ الألوان، وأذكر أنني  
شعرت بنوع من الحرج أمام قلة الذوق الذي أخرج به غلاف  
الكتاب، فقد تبدّى لي مثل غلاف رواية بوليسية سيئة. وقال إنه  
أعجبه الغلاف سابقاً ولم يعد يعجبه الآن. وخلعت الغلاف  
الخارجي لكي أقرأ الكتاب.

وعندما انتهيت من قراءة الكتاب تأكّد لي أنه مهما فعل  
سكوت وكيفما تصرف فإن عليّ أن أعلم أن سلوكه نوع من  
المرض، ومن واجبي أن أقتّم له ما في وسعي من مساعدة  
وأحاول أن أصبح صديقاً وفيّاً له. كان له أصدقاء خلّص عديدون  
أكثر من أي واحد آخر أعرفه. ومع ذلك فإنني اعتبرت نفسي  
صديقاً إضافياً له سواء استطعت نفعه أم لا. وما دام قد تمكّن من  
تأليف كتاب رائع مثل ( غانسي العظيم ) فأنا متأكد أن بوسعه أن  
يكتب كتاباً آخر أروع منه. لم أكن قد تعرفت على زيلدة بعد  
ولهذا لم أعرف ما يخبئه له القدر من مصائب. بيد أننا سنكتشف  
تلك المصائب عما قريب جداً.



## الصفور لا تتقاسم الفريسة

دعانا سكوت فنزجيرالد لتناول طعام الغداء معه وزوجته وابنته الصغيرة في الشقة المؤنثة التي استأجروها في البناية رقم ١٤ شارع تلسيت\*. ولا أستطيع أن أتذكر الشيء الكثير عن الشقة ما عدا كونها كثيفة وسيئة التهوية ويبدو أن لا شيء فيها تعود ملكيته لهم باستثناء كتب سكوت الأولى المجلدة بجلد أزرق خفيف ولها عناوين مذهبة. وأطلعنا سكوت على دفتر حسابات كبير يحتوي على عناوين جميع القصص التي نشرها مرتبة حسب سني نشرها والمبالغ التي قبضها لقاءها، وكذلك المبالغ التي تلقاها عن كل شريط سينمائي، وكذلك مبيعات كتبه وحقوق نشرها. وتونس تلك المعلومات بعناية تضاهي دقة دفتر السفينة؛ وعرضها سكوت علينا أنا وزوجتي بصورة موضوعية كما لو كان محافظ متحفظ من المتاحف. وكان سكوت مرتبكاً ومضيفاً وأطلعنا على حساب مخدراته كما لو كان معرضاً فنياً. وليس ثمة معرض.

وكانت زيلدة تعاني من خمار السكر. فقد ذهبنا الليلة الماضية إلى مونمارتر\* وتشاجرا هناك لأن سكوت لم يُرد أن يسكر. لقد قرر، كما أخبرني، أن يعمل بجدّ وألا يشرب في حين تعامله زيلدة

كما لو كان معكّر الصفو أو مكدر الأفراح. وقد نعتتسه بهاتين العبارتين، وراحا يكيلان التهم أحدهما للآخر ثم قالت زيلدة: " لم أقل ذلك. لم أفعل شيئاً من ذلك، هذا غير صحيح، يا سكوت." وبعد ذلك بدا عليها كما لو تذكرت شيئاً وأخذت تضحك بسعادة.

لم تبدُ زيلدة في أحسن أحوالها ذلك اليوم. فشعرها الأشقر الغامق قد أفسده مؤقتاً صبغ سيئ اشترته في ليون يوم اضطرهم المطر لترك سيارتهما هناك، وكانت عيناها متعبتين ووجهها متوتراً ومنقبضاً.

وكانت لطيفة معي ومع هاللي بصورة رسمية، بيد أنه تبدى قسم كبير من كيانها كما لو كان غير حاضر معنا بل ما زال في الحفلة التي عادت منها ذلك الصباح. ويبدو أنها وسكوت كانا يشعران بأننا (أنا وسكوت) قد تمتعنا كثيراً وأمضينا وقتاً رائعاً معاً في رحلتنا إلى ليون، وأصابتها الغيرة بسبب ذلك.

وقالت لسكوت: " عندما تذهبان أنتما وتمضيان وقتاً ممتعاً معاً بكل بساطة، فمن العدل أن أمرح أنا قليلاً مع أصدقائنا الطيبين هنا في باريس."

كان سكوت يمثل المضيف الكامل وتناولنا غداء سيئاً حسنه النبيذ بعض الشيء وليس كثيراً. وكانت ابنتهما الصغيرة شقراء، مدوّرة الوجه، ممثلة الجسم، وتبدو بصحة جيّدة، وتتكلم الإنجليزية بلهجة عامية بريطانية قويّة. وأوضح لنا سكوت أن مربيتها إنجليزية لأنه يريد أن يتحدث مثل الليدي ديانا مارنرز\* عندما تكبر.

وكان لزبلدة عينا صقر، وفم دقيق، وأخلاق ولهجة أمريكية جنوبية. وعندما تُمعن النظر في وجهها يمكنك أن تلاحظ أن فكرها يغادر المائدة وينتقل إلى حفلة الليلة البارحة ويعود وعيناها فارغتان مثل عيني قطعة، ثم تتشرح ويظهر الانسراح على طول الخطوط الدقيقة لشفتيها ثم يختفي. وكان سكوت مُضيفاً طيباً وبهيجاً، ونظرت إليه زبلدة وابتنسمت بسعادة بعينيها وفمها كذلك عندما شرب النبيذ. وتدربت على معرفة تلك الابتسامة جيداً، فهي تعني أن سكوت لن يتمكن من الكتابة.

كانت زبلدة غيورة من عمل سكوت، وعندما عرفناهما جيداً أصبحت غيرتها أمراً معتاداً. يقرر سكوت عدم الذهاب إلى حفلات الشراب التي تستغرق الليل كله لكي يتمرن قليلاً كل يوم ويمارس الكتابة بانتظام. ويبدأ العمل وحالما ينهك فيه تأخذ زبلدة بالتشكي من ضجرتها وعزلتها وتجبره أن يرافقها إلى حفلة شراب أخرى. ويتخاصمان ثم يتصالحان، ويأتي إليّ لنتمشي مسافة طويلة يتخلص بها من أثر الكحول، ويصمم على أن يعمل جيداً هذه المرة، ريبداً بدلية حسنة، ثم تدور الدائرة كالمعتاد مرة أخرى.

كان سكوت مغرمًا بزبلدة جدًّا، ويغار عليها كثيرًا. وقد أخبرني عدة مرات في نزواتنا كيف أنها وقعت في غرام طيسار من البحرية الفرنسية. بيد أنها لم تُثرْ غيرته مع رجل آخر منذ ذلك الحين. وفي هذا الربيع أثارت غيرته مع نساء أخريات، وفي حفلات حيّ المونمارتر كان يخشى من أن يُغمي عليه أو عليها

من شدة السكر. وكان الإغماء أثناء الشرب يمثل وقاية لهما من الاستمرار فيه. وكانا يتناولان الشراب أو الشمبانيا لمساعدتهما على النوم ولكن ذلك قليل التأثير في شخص اعتاد على الشراب، ويأويان إلى فراشهما مثل الأطفال. وحدث أن شاهدتكما وقد أغمي عليهما لا كمن كان تحت تأثير السكر بل كمن كان تحت التخدير، ويتولى أصدقائهما أو، أحيانا، سائق سيارة الأجرة نقلهما إلى فراشهما، وعندما يستيقان في الصباح يشعران بنشاط وسعادة، لأنهما لم يأخذا من الكحول ما يكفي لتدمير جسديهما قبل أن يُغمي عليهما.

والآن فقدوا وقايتهما الطبيعية. فقد أصبحت زليدة في هذا الوقت قادرة على أن تشرب أكثر من سكوت، وصار سكوت يخشى عليها من الإغماء أمام رفاقهما في الأماكن التي كانوا يرتادونها ذلك الربيع. ولم يحب سكوت تلك الأماكن ولا الأشخاص، وكان عليه أن يشرب أكثر مما يطيق ويبقى متماسكا، ليحتمل تلك الأماكن وأولئك الأشخاص، ثم أخذ يشرب ليبقى صاحيا بعد أن كان يغمى عليه عادة. وفي النهاية لم يبق لديه إلا فترات يسيرة للعمل.

كان يحاول دائما أن يعمل. ففي كل يوم كان يحاول ولكنه يفشل. وعزا سبب فشله إلى باريس، تلك المدينة التي تتوفر على كل ما يساعد الأديب على الكتابة، وكان يعتقد بوجود مكان ما يستطيع هو وزليدة أن يستمتعا فيه بالحياة الطيبة معاً مرة أخرى. وفكر في الريفييرا، كما كانت آنذاك وقبل أن يزحف عليها البناء،

بما لها من مساحات واسعة من زرقة البحر والشواطئ الرملية  
وغابات أشجار الصنوبر وجبال الأستيرال\* المطلة على البحر.  
وكان يتذكرها كما رآها هو وزيلدة أول مرة قبل أن يذهب الناس  
هناك لتمضية الصيف.

وحدثني سكوت عن الريفيرا وكيف يتوجب عليّ وزوجتي أن  
نذهب إلى هناك في الصيف الموالي وكيف أنه سيجد لنا مكاناً  
غير باهظ الثمن وكيف سنعمل كلانا بجد ونسبح ونستلقي علي  
الشاطئ، وتلوح الشمس بشرتنا، ولا نتناول إلا مشروباً فاتحاً  
للشهية قبل الغداء وآخر قبل العشاء فقط. وقال إن زيلدة ستسعد  
هناك، فهي تحب السباحة وتجيد الغطس وستسرها تلك الحياة  
فتحته على العمل وسيغدو كل شيء منضبطاً. وكان يتأهب هو  
وزوجته وابنتهما للذهاب إلى هناك في ذلك الصيف.

حاولت أن أقنعه بكتابة قصصه على أفضل وجه يستطيع  
دون أن يخضعها لأي وصفة كما كان يفعل. وقلت له : " إنك  
كتبت رواية جيدة الآن، ولا ينبغي أن تكتب شيئاً رخيصاً بعد  
اليوم."

فقال : " ولكن تلك الرواية لا تُباع. ويجب أن أكتب قصصاً  
وأن تُباع هذه القصص."

— : " اكتب أفضل قصة في مقنورك واكتبها بصورة مباشرة  
قدر الإمكان."  
قال : " سأفعل ذلك."



ولكن نظراً لأن الأمور كانت على ما هي عليه، فإنه لم يواتيه الحظ لفعل أي شيء على الإطلاق. لم تشجع زليدة الرجال الذين كانوا يلاحقونها ولا علاقة لها بهم، هكذا كانت تقول. غير أن ذلك يسلبها ويجعل سكوت غيوراً ولهذا فإنه يضطر إلى مصاحبته إلى تلك الأماكن. وقد دمر ذلك عمله. وكانت تغار من عمله أكثر من أي شيء آخر.

وقد كافح سكوت ليعمل طوال ذلك الربيع وأوائل الصيف ولكنه لم يستطع أن يعمل إلا لماماً. وكان بشوشاً كلما التقيت به، وأحياناً بشوشاً بصورة يائسة، ويروي نكاتاً جيدة، وكان رفيقاً طيباً. وعندما كان يمر بأوقات عصيبة، كنت أسمع إليه وأحاول أن أجعله يعي أنه إذا استطاع أن يتماسك فإنه سيكتب، لأنه يمتلك موهبة الكتابة وأن لا شيء يتعذر تغييره إلا الموت. وعند ذاك يأخذ بالسخرية من نفسه، وشعرت أنه على ما يرام ما دام يستطيع أن يسخر من نفسه. وطوال ذلك الوقت لم يستطع أن يكتب إلا قصة قصيرة جيدة بعنوان (الولد الغني)، وكنت واثقاً من أن بمقدوره أن يكتب ما هو أفضل منها، كما فعل فيما بعد.

كنا في إسبانيا خلال الصيف، وشرعت في كتابة مسودة رواية أتممتها في باريس في شهر أيلول. وكان سكوت وزليدة في (راس غنتية)\*، وعندما رأيته في باريس ذلك الخريف كان قد تغير كثيراً. لم يتمكن من الكف عن الشراب في الرقيير، وأصبح الآن ثملاً في النهار كما في الليل. ولم يعد يعبأ بي سواء كنت أعمل أم لا، وهكذا أخذ يأتي إلى ١١٣ في شارع نوتردام دي

شامب وهو سكران في وقت النهار أو في الليل. وأصبح فظاً مع الذين هم أقل منه منزلة أو مع من يعدّهم أقل منزلة منه. ودخل ذات يوم من باب المنشرة مع ابنته — وكان يوم العطلة الأسبوعيّة لمربيّتها الإنجليزيّة ويتولى سكوت العناية بها في ذلك اليوم — وفي أسفل السلم أخبرته ابنته أنها تحتاج إلى الذهاب إلى دورة المياد. فشرع سكوت في خلع ملابسها في باحة العمارة، وعندما شاهده صاحب العمارة الذي كان يسكن في الطابق تحتنا، نزل إليه وقال له: "سيدي، توجد دورة مياه بالقرب منك إلى يسار السلم". فقال له سكوت: "نعم، وسأضع رأسك فيها كذلك إن لم تكن مهذباً".

وكان صعباً جداً طوال ذلك الخريف ولكنه أخذ يعمل في كتابة رواية عندما لا يكون ثملاً. ونادراً ما رأيته صاحباً، ولكنه حين يكون صاحباً يصبح لطيفاً ويروي النكات وأحياناً يسخر من نفسه. بيد أنه عندما يكون سكران، يأتي إليّ عادةً ويجد لذة في التخلل في عملي كما تتدخل زليدة في عمله. وقد استمر هذا الوضع سنوات، ولكن، لسنوات كذلك، لم يكن لدي صديق أكثر إخلاصاً من سكوت حين يكون صاحباً.

كان مساء مني في خريف ١٩٢٥، لأنني لم أطلععه على المسودة الأولى لروايتي (ولا تزال الشمس تشرق). وشرحت له أنها لا تعني شيئاً حتى أراجعها وأعيد كتابتها وأنني لا أرغب في مناقشتها مع أي شخص آخر ولا أعرضها عليه قبل ذلك. وكنا

سندهب إلى شرونز\* في فورارلبرغ\* بالنمسا حالما تسقط أوائل  
الثلوج.

وأعدت كتابة النصف الأول من مسودة الرواية هناك وانتهيت  
منه في كانون الثاني/يناير، على ما أظن. وأخذتها إلى نيويورك  
وأطلعت ماكس باركنز\* من دار سكرابينز\* للنشر عليها، ثم  
عدت إلى شرونز وأكملت إعادة كتابة الرواية. ولم يطلع عليها  
سكوت حتى أتممت إعادة كتابتها. وبعثت بالمسودة إلى دار  
سكرابينز للنشر في نهاية شهر نيسان. وأذكر أنني كنت أمزح  
معه حول اهتمامه ورغبته في المساعدة دائماً بعدما ينتهي العمل.  
ولكنني لم أطلب مساعدته أثناء إعادة كتابة الرواية.

وفيما كنا نعيش في فورارلبرغ\* وأنا في سبيل الانتهاء من  
إعادة كتابة الرواية، غادر سكوت وزوجته وطفلهما باريس  
متوجهين إلى الينابيع في جبال البرنيز\* السفلى. وكانت زيلدة  
مريضة بذلك المغص المعوي الشائع الذي ينتج عادة من تناول  
الكثير من الشمبانيا والذي كانوا يشخصونه آنذاك باسم 'التهاب  
القولون'. ولم يواصل سكوت الشراب وأخذ يعمل، وطلب منا أن  
نوافيهم في (خوان لي بان)\* في شهر حزيران. وكانوا سيجدون  
لنا فيلا بثمان مناسب، وفي هذه المرة سيتمتع عن الشرب وسيغدو  
الحال كما كان في الأيام الطيبة الخوالي، وسيزاول السباحة  
ويصبح صحيح البدن ومسمّر البشرة، ولا يتناول سوى شراب  
مشه قبل الغداء وآخر قبل العشاء. وأصبحت زيلدة بخير مرة  
أخرى وكلاهما على ما يرام والعمل في روايته يسير بصورة

رائعة، ووصله المال من جرّاء تحويل روايته ( غاتسبي العظيم ) إلى مسرحية لقيت إقبالا، كما أنها كانت ستباع إلى السينما ولم تعد الهموم تملكه. وكانت زيلدة بخير حقيقة وكل شيء كان يسير على ما يرام وبشكل منضبط.

وذهبت إلى مدريد في مايس/مايو للعمل بمفردي، وعدت من (بايون)\* إلى (خوان لي بان)\* بالدرجة الثالثة بالقطار وأنا جائع تماماً، لأنني أنفقت جميع ما لدي من نفود بغباء، وكانت آخر مرة تناولت فيها طعاماً في (هونداي)\* على الحدود الإسبانية الفرنسية. لقد كانت دارنا فيلا جميلة ودار سكوت فاخرة لا تبعد عن فلنتا كثيراً. وكنت سعيداً برؤية زوجتي التي اعتنت بالفيلاً جيداً، وسعيداً برؤية أصدقائنا، وكان الشراب المشهي المنفرد قبل الغداء لذيذاً وتناولت منه عدة كؤوس. وفي تلك الليلة أقيمت حفلة للترحيب بنا في الكازينو، مجرد حفلة صغيرة تضم عائلات مكليش\* وميرفي\* وفترجيرالد\* وعائلتنا. ولم يشرب أحد شراباً أقوى من الشمبانيا، وكانت حفلة مريحة. وكان المكان فاخراً ملائماً للكتابة، وفيه كل شيء يحتاجه الإنسان ليكتب ما عدا الانفراد بنفسه.

وكانت زيلدة جميلة جداً وقد لوحت الشمس بشرتها بلون ذهبي بديع، وكان شعرها بلون ذهبي غامق جميل، وهي في غاية اللطف، وعيناها الشبيهتان بعيني الصقر هادئتين صافيتين. وأدركت أن كل شيء على ما يرام، وأن الأمور تسير سيراً حسناً وستنتهي بخير، وإذا بها تميل نحوي وتخبرني بسرّها العظيم

---

قائلة: "ألا تظن، يا إرنست، أن آل جولسون\* أعظم من يسوع المسيح؟"

لم يتبادر شيء إلى ذهن أيّ منا في ذلك الوقت. إنه سرّ زيلدة الذي باحت به لي، وأشركتني فيه، كما يقسم صقر ما شيئاً مع إنسان. ولكن الصقور لا تقسم الفريسة. ولم يكتب سكوت شيئاً آخر ذا قيمة إلى أن علم بجنونها.

## مسألة مقاييس

ودعاني سكوت فيما بعد لتناول طعام الغداء معه في مطعم (ميشو) \* الواقع في زاوية التقاء شارع يعقوب \* بشارع دي سان بيريز \*، وذلك خلال الفترة التي عانت فيها زليدة مما أسموه حينذاك بانهيارها العصبي الأول. وقال لي إن لديه أمراً هاماً جداً يريد أن يسألني عنه وإن ذلك الأمر يعني بالنسبة إليه أكثر من أي شيء آخر في العالم، ويجب أن أجيب عنه بمنتهى الصدق. وقلت له إنني سأبذل كل ما في وسعي. وكان كلما طلب مني أن أصارحه بالحقيقة، وهو مطلب صعب جداً، وبذلت جهدي، أغضبه ما أقول ليس في حين الإجابة ذاته، وإنما على الأغلب بعد وقت طويل عندما يطيل التأمل فيها. وتغدو كلماتي شيئاً ينبغي تحطيمه، وأحياناً، تحطيمي معها، لو كان ذلك ممكناً.

شرب النبيذ مع الغداء ولكن لم يؤثر فيه، لأنه لم يكن قد مهد للغداء بشرب سابق. وتحدثنا عن عملنا وعن الناس، وسألني عن أناس لم نرهم مؤخراً. وعلمت أنه بصدد كتابة شيء جيد وأنه يواجه صعوبة في محاولته لعدة أسباب، بيد أن ذلك لم يكن الأمر الذي يريد التحدث عنه. وبقيت أنتظر مجيء ذلك الشيء الذي

يجب عليّ أن أجيب عليه بالحقيقة المطلقة، ولكنه لم يتطرق إليّه حتى نهاية الوجبة، كما لو كنا نتناول غداء عمل. وأخيراً وفيما كنا نأكل كعكة الكرز ونشرب آخر غرافة نبيذ، قال لي:

— "أنت تعلم أنني لم أضاجع امرأة أخرى سوى زيلدة."

— "لا، لا أعرف ذلك."

— "ظننت أنني أخبرتك بذلك."

— "لا، لقد أخبرتني بأشياء كثيرة ولكن ليس ذلك."

— "هذا ما يتعين عليّ أن أسألك عنه."

— "طيب، استمر."

— "تقول زيلدة إن تكويني البدني لا يساعدني أبداً على

إسعاد أي امرأة، وهذا الذي يكثرها في الأساس. ونقول إنها مسألة

مقاييس. ولم استرجع مشاعري الطبيعية منذ أن أخبرتني بذلك،

ويجب أن أعرف الحقيقة."

قلت: "تعال معي إلى المكتب؟"

— "أين المكتب؟"

قلت: "المرحاض."

ورجعنا وجلسنا إلى الطاولة. وقلت له :

— "إنك طبيعيّ تماماً. أنت على ما يرام وليس من عيب

فيك. انظر إلى نفسك من الأعلى وستبدو قصيراً. اذهب إلى

متحف اللوفر وألق نظرة على تماثيل الرجال ثم اذهب إلى منزلك

وانظر إلى نفسك في المرأة."

— " قد لا تكون تلك التماثيل مضبوطة. "  
— " إنها جيدة. ومعظم الناس تتفق عليها. "  
— " ولكن لماذا تقول هي ذلك؟ "  
— " لتعرف نشاطك. هذه أقدم طريقة لعرقلة نشاط الآخرين. طلبت مني ، يا سكوت ، أن أخبرك بالحقيقة ، وأستطيع أن أخبرك بأكثر من الحقيقة ، ولكن هاهي الحقيقة المطلقة وكل ما تحتاج إليه. وبوسعك مراجعة طبيب. "  
— " لم أرد ذلك. أردتك أن تخبرني أنت بصدق. "  
— " والآن هل تصدقني؟ "  
قال: " لا أعرف. "  
قلت: " تعال معي إلى اللوفر. إنه في آخر الشارع عبر النهر. "  
وذهبنا إلى اللوفر ونظرنا إلى التماثيل ، ولكن الشك ما زال يساور نفسه.  
وقلت: " إن المسألة أساساً لا تكمن في حجمه في حالة الاسترخاء. إنها مسألة الحجم الذي يبلغه في الانتصاب. ومسألة الزاوية كذلك. "  
وشرحت له كيفية استخدام وسادة. وبعض الأشياء الأخرى التي تعود عليه بالفائدة.  
وقال لي: " ثمة فتاة لطيفة معي جداً ، ولكن بعد السذي قالت له زيلدة — "



فقاطعتَه قائلاً: " انسَ ما قالته زيلدة. زيلدة حمقاء.. لا عيب فيك مطلقاً. ولكنك لديك ثقة بنفسك، وافعل ما يُبغِيه تلك الفتاة. إن زيلدة تريد تحطيمك فقط."

— " أنت لا تعرف أي شيء عن زيلدة."  
قلت: " حسن. لننوّف عند هذا الحد. ولكنك أتيت إليّ لتسألني وحاولت أن أجيبك بكل أمانة."  
ولكن، مع ذلك، ظل متشككاً.

وسألته: " ألا ينبغي أن نذهب لمشاهدة بعض الأفلام؟ هل شاهدت هنا أي فيلم آخر باستثناء الموناليزا؟"

قال: " لست في حالة نفسية تسمح لي برؤية الأفلام. وقد وعدت أناساً أن ألتقي بهم في بار الريتز \*."

وبعد عدة سنوات، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بوقت طويل، سألتني جورج، وهو رئيس بار الريتز آنذاك وكان نادلاً عندما عاش سكوت في باريس، سألتني في البار قائلاً:

— " بابا، من هو السيد فيتزجيرالد حتى يسألني عنه كل واحد؟"

— " ألم تعرفه؟"  
— " لا، إنني أنكر كل رواد تلك الفترة. ولكن الآن يسألونني عنه فقط."

— " وبماذا تحبهم؟"  
— " بأي شيء ممتع يرغبون في سماعه. بما يسرهم. ولكن أخبرني من هو؟"

- " كان كاتباً أمريكياً في أوائل العشرينات وما بعدها، وعاش في باريس والخارج بعض الوقت. "
- " ولكن لماذا لا أتذكره؟ هل كان كاتباً جيداً؟ "
- " ألف كتابين جديدين وآخر لم يكتمل يقول عنه الذين يعرفون أدبه إنه كان سيصبح كاتباً جيداً. وكتب كذلك بعض القصص القصيرة الجيدة. "
- " وهل كان يرتاد ألبار كثيراً؟ "
- " أعتقد ذلك. "
- " ولكنك لم تأت إلى البار في أوائل العشرينات. أعرف أنك كنت فقيراً آنذاك وتعيش في حارة أخرى. "
- " عندما كانت تتوفر لدي النقود كنت أذهب إلى الكريون. \* "
- " وأعرف ذلك أيضاً. وأتذكر جيداً أول مرة التقينا فيها. "
- " وأنا كذلك. "
- وقال جورج: " من الغريب أنني لا أتذكره. "
- " كل هؤلاء الناس متوفون. "
- " ومع ذلك فإن الإنسان لا ينسى الآخرين لمجرد كونهم موتى، والناس يظلون يسألونني عنه. يجب أن تخبرني شيئاً عنه لذكرياتى. "
- " سأفعل. "
- وابتسم وقال: " أذكر أنك أتيت يوماً مع البارون فون بلكس \* ذات مساء — في أي سنة؟ "

— "وهو ميت كذلك."

— "نعم، ولكن لا ينسأه أحد. أرأيت ما أعني؟"

وقلت: "زوجته الأولى كانت تكتب بأسلوب جميل جداً. لقد ألفت أفضل كتاب قرأته عن أفريقيا باستثناء كتاب السير صموئيل بيكر\* عن روافد النيل في الحبشة. أضف ذلك إلى ذكرياتك ما دمت مهتماً بالأنباء الآن."

فقال جورج: "طيب، البارون ليس بالرجل الذي تنسأه. واسم الكتاب؟"

قلت: "من إفريقيا. وكان بليكي\* فخوراً جداً بكتاب زوجته الأولى. ولكننا كنا نعرف أحدها الآخر قبل وقت طويل من تأليفها الكتاب."

— "والسيد فتزجيرالد الذي يظنون يسألونني عنه؟"

— "لقد كان هنا في زمن فرانك."

— "نعم. ولكنني كنت أنا النادل. وأنت تعرف ما معنى النادل."

— "سأكتب عنه شيئاً في الكتاب الذي سأؤلفه عن أيامي الأولى في باريس. لقد قطعت على نفسي عهداً أن أكتب ذلك الكتاب."

قال جورج: "حسن."

— "سأصفه بالضبط كما أتذكره أول مرة التقيته."

قال جورج: "طيب. إذن، إذا كان قد جاء هنا فسنذكره. ومع ذلك، فإن الإنسان لا ينسى الآخرين بسهولة."

---

— " والسَّيَّاحُ؟ "  
— " طَبِيعِي. وَلَكِنَّكَ تَقُولُ إِنَّهُ كَانَ يَأْتِي إِلَى هُنَا كَثِيرًا. "  
— " أَعْنِي كَثِيرًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ. "  
" اكْتُبْ عَنْهُ كَمَا تَتَذَكَّرُهُ، وَإِذَا كَانَ قَدْ أَتَى إِلَى هُنَا فَسَأَتُذَكَّرُهُ. "  
قُلْتُ : " سَنَرَى. "

## لا نهاية لباريس مطلقاً

عندما أصبحت عائلتنا تتألف من ثلاثة أفراد بدلاً من اثنين، صار الطقس البارد هو الذي يخرجنا من باريس في فصل الشتاء. لا مشكلة لديّ لو كنت وحدي فقد تعوّنت على البرد. كنت أستطيع دائماً أن أذهب إلى مقهى وأكتب هناك طوال الصباح ولا أتناول سوى قهوة بالحليب فيما يقوم عمّال المقهى بالتنظيف والكنس، وشيئاً فشيئاً أشعر بالدفء. وكان بإمكان زوجتي أن تذهب للتمرّن على البيانو في مكان بارد وهي ترتدي ما يكفي من الكنزات لتظل دافئة أثناء العزف ثم تعود إلى المنزل لإرضاع بومبي. ومن الخطأ اصطحاب طفل إلى المقهى في الشتاء، حتى إن كان ذلك الطفل لا يبكي أبداً وإنما يراقب كل ما يدور حوله ولا يشعر بالسأم. لم يكن هنالك في تلك الأيام جليس أو جليسة أطفال وكان بومبي يظل سعيداً في فراشه الطويل المسيّج كالقنص ومعه قطه الكبير الودود المسمى ف. بوس. ثمة من كان يقول إن ترك قط مع الطفل شيء خطير. ويقول أشد المتحاملين الذين لا علم لهم بالموضوع إن القط يمص نفس الطفل ويقتله. ويقول آخرون إن القط ينمّد على الطفل ويكتم أنفاسه. ولكن القط ف. بوس كان

يضطجع بجانب بومبي في الفراش القفصيّ الطويل ويراقب الباب بعينه الكبيرتين الصفراوين ولا يدع أحداً يقترب منه إذا كنا خارج المنزل، وحتى منظمة العمارة ماري كان عليها أن تبتعد. وهكذا لم تكن هناك حاجة لجلساء الأطفال، فقد كان القط ف. بوس هو جليس طفلنا.

ولكن عندما تكون فقيراً، وقد كنا فقراء حقاً عندما تخليت عن الصحافة بعد رجوعنا من كندا ولم أتمكن من بيع أي قصة على الإطلاق، فإن الحياة في باريس أثناء الشتاء تغدو صعبة إذا كان لديك طفل. لقد عبر بومبي المحيط الأطلسي وعمره ثلاثة أشهر في رحلة استغرقت اثني عشر يوماً على متن باخرة صغيرة أبحرت من نيويورك عبر هاليفاكس. ولم يبك قط خلال الرحلة، بل كان يضحك بسعادة عندما كنا نحسنه في سرير مثبت في السفينة لئلا يسقط حين يتردى الطقس كثيراً. ولكن برد باريس شديد الوطء عليه.

ولهذا ذهبنا إلى شرونز في فورارلبرغ\* بالنمسا. وبعد المرور في سويسرا وصلنا إلى الحدود النمساوية في فيلدكرش\*. واخترق القطار لايبنتشتاين\* وتوقف في بولدنز\* حيث يوجد خط فرعي يتجه إلى شرونز بمحاذاة نهر مليء بالأسماك والحصى ويجري في سهل تغطيه المزارع والغابات حتى شرونز التي كانت بلدة تسوق تغمرها الشمس، وتتوفر على منشرة، ودكاكين، ونزل، وفندق جيد مفتوح طوال العام يُسمّى تاويه\*، وفيه أقمنا.

وكانت الغرف في فندق ثاوبه واسعة ومريحة وتتوفر على مواقف كبيرة، وشبابيك كبيرة، وسرر كبيرة معها بطانيات وأغطية بالريش. وكانت الوجبات التي يقدمها الفندق بسيطة وممتازة، وغرفة الطعام والبار ذو الجدران المكسوة بالخشب رائقين ويتوفران على تدفئة جيدة، والوادي الذي يطل عليه الفندق شاسعاً يسمح بدخول الشمس بكثرة. وكانت تكلفة الإقامة دولارين في اليوم لثلاثتنا، ولما كانت قيمة الشئلن النمساوي في هبوط بسبب التضخم، فإن كلفة غرفتنا وطعامنا كانت في انخفاض طوال الوقت. لم يكن هناك تضخم وفقر بالشكل الموجود في ألمانيا، فالشئلن النمساوي يرتفع وينخفض ولكنه كان في انخفاض في معظم الأحيان.

لم تكن هناك مصاعد تزلج ولا عربات معلّقة للانتقال من شرونز، ولكن كانت هناك ممرات الماشية والممرات التي تقود إلى الأكواخ الجبلية، وهذه الممرات تربط الأودية المختلفة بالمرتفعات الجبلية. وكنت تتسلق على جلود الفقمة التي تربطها بأسفل المزالج الخشبية. وفي أعالي الوديان الجبلية توجد أكواخ نادي الألب الكبيرة المعدة للمتسلقين خلال الصيف حيث تستطيع أن تنام وتترك لهم في الكوخ ثمن الخشب الذي تستعمله للتدفئة. وفي بعض هذه الأكواخ يتوجب عليك جمع الخشب بنفسك، أو، إذا كنت ذاهباً في جولة طويلة في الجبال العالية والأنهار الجليدية، فإنك تستأجر شخصاً يقوم بجمع الخشب ونقل

المستلزمات إلى المقر الذي تختاره. وأشهر تجمعات الأكواخ العالية هي لنداور هوت\*، ومادلنر هاوس\*، وفاير بادنر هوت\* .  
وخلف نهر تازبه\* كان هناك منحدر للتمرّن حيث تستطيع أن تسير مخترقاً البساتين والحقول، وثمة منحدر آخر خلف قرية تشاغونز\* عبر الوادي حيث يوجد نزل جميل فيه مجموعة من قرون الوعول الجبلية معلقة على جدران غرفة تناول المشروبات. وتمتد المتزلجات الجيدة وراء قرية تشاغونز المشيدة من الخشب والواقعة على الطرف البعيد من الوادي، عبر الجبال، وتصل سيلفرتيا\* في منطقة كلوسترز\* .

وكانت شرونز منتجاً صحياً مفيداً لبومبي الذي كانت تعتني به فتاة جميلة ذات شعر غامق اللون وتأخذه إلى الشمس في زحافة جليد، ليتسنى لي ولهادلي أن نستكشف جميع المناطق والقرى الجديدة، وكان أهل قريتنا في غاية اللطف، وقام السيد والتر لنت\*، وهو أحد رواد التزلج في الجبال العالية — والذي كان في وقت من الأوقات شريكاً لهانس شنايدر، متزلج آرلبرغ\* العظيم، في تصنيع شمع للتزلج في مختلف أنواع الجليد — قام بفتح مدرسة لتعليم التزلج في جبال الألب وانخرطنا كلانا فيها. ولم يكن التزلج يومئذ كما هو عليه اليوم، فالشج في أعلى خشبة التزلج، الذي يفتح في حالة السقوط، لم يكن معروفاً آنذاك، ولا يستطيع أحد أن يغامر بكسر ساقه. ولم تكن هناك مصاعد التزلج. وكان عليك أن تتسلق إلى المرتفع الذي تريد الانحدار منه. وهذا سيعطيك ساقين يصلحان للهبوط بهما.



كان والتر أنت \* يعتقد أن متعة التزلج تكمن في التسلق إلى أعلى قمة جبلية ممكنة حيث لا يوجد فرد آخر وحيث يكون الثلج بكرة لم يطرقه أحد، ومن ثم التنقل من كوخ من أكواخ نادي الألب إلى آخر متزلجاً على الممرات العالية والأنهار الجليدية التي ترخر بها جبال الألب. وينبغي أن لا يكون على ساقك أي رباط قد يؤدي إلى كسرها عندما تسقط. ويجب أن ينفصل المزلج الخشبي قبل أن يكسر ساقك. وما كان يحبّه حقاً هو التزلج على الأنهار الجليدية بدون حبال، ولكن هذا النوع من التزلج كان يتطلب منا الانتظار حتى الربيع عندما تمتلئ الأخاديد بصورة كافية.

لقد أحببنا، أنا وهادلي، التزلج كثيراً منذ أن جربناه معاً أول مرة في سويسرا وبعد ذلك في كورتيينا دامبيزو \* في دولميتس \* عندما كان بومبي على وشك الولادة؛ وأعطاهما الطبيب في ميلانو الإذن في الاستمرار في التزلج على شرط أن أتعهد أنا بعدم سقوطها. وتطلب ذلك عناية خاصة من حيث اختيار المكان ومسارات التزلج والتحكم في الانزلاق، ولكن كان لها ساقان جميلتان قويتان بصورة رائعة يساعداها على التحكم بمزلاجيهما، فلم تسقط. وكنا نعرف أحوال الثلج المختلفة ونعرف كيف ننزلج على الثلج الطري.

لقد أحببنا فورارلبرغ وأحببنا شرونز. وكنا سنذهب إلى هناك في موسم عيد الشكر ونبقى حتى عيد الفصح. فقد كان هناك دوماً مجال للتزلج على الرغم من أن شرونز ليست عالية بما يكفي

لتكون منتجع تزلج ما عدا في الشتاء الذي تتساقط فيه الثلوج بغزارة. وكان التسلق متعة ولم يعترض عليه أحد في تلك الأيام. فأنت تحدد المدى والسرعة التي تريد، وتجد الأمر سهلاً ويحسن قلبك بالغبطة وتشعر بالفخر وأنت تحمل حقيبتك على ظهرك. وكان جزء من مسار التسلق إلى مادلنر هاوس\* شديد الانحدار وصعب جداً. ولكن عندما تتسلق ذلك الجزء في المرة الثانية تجده أسهل، وأخيراً يصبح بإمكانك أن تتسلق ببسر وأنت تحمل ضعيف ما حملته في المرة الأولى.

كنا دائماً نشعر بالجوع، وكان وقت كل وجبة مناسبة عظيمة. وكنا نشرب الجعة الخفيفة أو الغامقة، وأنواع النبيذ الجديدة وأحياناً النبيذ المعتق لمدة عام. والنبيذ الأبيض هو الأفضل. أما بالنسبة للمشروبات الأخرى فقد كان هناك مشروب الكيرش\* الذي يُصنع في الوادي، وإنزيان شنايز\* المقطّر من نبات الجنطيانا\* الجبلي. وكانوا يقدمون لنا أحياناً في العشاء لحم أرنب بري مطبوخ على نار هادئة مع التوابل وصلصة النبيذ الأحمر القوي، وأحياناً لحم الطهي مع صلصة الكستناء. وكنا نتناول النبيذ الأحمر مع هذه المأكولات على الرغم من أنه أعلى من النبيذ الأبيض وكان الجيد منه يكلف عشرين سنتاً للتر الواحد. والنبيذ الأحمر العادي أرخص بكثير، وكنا نحمله معنا في برميل صغير إلى مادلنر هاوس\*.

كانت لنا خزانة كتب سمحت لنا بأخذها معنا سلفياً بيتش\* لتمضية فصل الشتاء، وكنا نلعب لعبة الكرة الخشبية مع أهل البلدة

الصغيرة في الممشى المؤدي إلى حديقة الفندق الصيفية. وكانت تنظم في غرفة الطعام بالفندق لعبة ورق البوكر مرة أو مرتين في الأسبوع، وحينئذ تعلق جميع الشبابيك وتوصد الأبواب. فقد كان القمار ممنوعاً في النمسا في تلك الأيام، وكنت ألعب مع السيد نيلس\*، مدير الفندق، والسيد لينت\*، صاحب مدرسة تزلج الأكلب، وأحد المصرفيين من البلدة، والمدعي العام، ورئيس الشرطة. ولعبة البوكر لعبة صارمة وكان جميع شركائي في اللعب جيدين ما عدا السيد لنت الذي كان يلعب بعنف لأن مدرسة التزلج لم تحقق أي دخل مالي يذكر آنذاك. وكان رئيس الشرطة يرفع إصبعه إلى أذنه عندما يسمع الشرطيين يتوقفان خارج الباب عند القيام بجولتهما، فنخلد إلى السكون حتى يذهبا.

وكانت خادمة الفندق تأتي إلى غرفتنا في برودة الصباح حالما ينتشر الضوء، وتشتعل النار في الموقد الكبير المزخرف بالخرف، فتصبح الغرفة دافئة عندئذ، وهناك الفطور المؤلف من الخبز الطازج أو الخبز المحمص مع عصير فواكه لذيذ وطاسات كبيرة من القهوة، والبيض الطازج، واللحم المقدد إذا طلبته. وكان معنا كلب يسمى شناوتز\* ينام عند أسفل السرير ويحب الذهاب في رحلات التزلج، ويركب على ظهري أو على كتفي عندما أترجل منحدرًا على الثل. وكان هذا الكلب صديق السيد بومبي\* أيضاً ويذهب معه ومريته في نزعات المشي ويسير بجانب زخافة الجليد.

وكانت شرونز \* مكاناً ملائماً للعمل. وأعرف ذلك لأنني قمت بأصعب عمل هو إعادة كتابة النسخة الأولى من رواية (ولا تزال الشمس تشرق) في شتاء ١٩٢٥ و ١٩٢٦، حيث أتممت إعادة كتابتها في شكل رواية متكاملة دفعة واحدة خلال ستة أسابيع. ولا أتذكر القصص القصيرة التي كتبتها هناك وأنجز بعضها بصورة جيدة.

أتذكر أن الثلج في الطرق كان يصرّ تحت أقدامنا ونحن عائدون ليلاً إلى الفندق في البرد، حاملين المزالج وعصي التزلج على أكتافنا، ونتطلع إلى الأضواء، وأخيراً نرى اللبنايات، وكيف يحيننا كل من يرانا على الطريق بعبارة (Gruss Gott). كان هنالك دائماً قرويون في (فاين شتوبه) \* ينتعلون جزمات مزودة بالمسامير ويرتدون ملابس جبليّة، والهواء مشبعاً بالدخان وعلى الأرضيات الخشبيّة آثار المسامير. وكان كثير من الشباب قد أدى الخدمة العسكريّة في كتائب الألب النمساويّة، وكان أحدهم، اسمه هانس \* ويعمل في المنشرة، صياداً شهيراً، وأصبحنا صديقين حميمين لأنه كان أثناء الحرب مثلي في نفس المناطق الجبليّة بإيطاليا. كنا نشرب معاً ونغني أغاني جبليّة.

أتذكر الممرات التي تخترق البساتين والحقول المنتشرة على التلال في تلك القرية، والبيوت القروية الدافئة بمواقدها الكبيرة وأكوام الخشب العالية في الثلج. وكانت النساء يعملن في المطابخ وفي نذف الصوف وغزله في شكل خيوط سوداء ورماديّة. وكانت دواليب الغزل تعمل بالدعس بالقدم على نواصة، ولم يكن

الغزل مصبوغاً بعد. فالغزل الأسود يأتي من صوف النعاج السود. وكان الصوف طبيعياً لم يُخلص من الشحم، ولهذا فإن ما نسجته هادلي من هذا الصوف على شكل طاقيات وكنزات ومناديل رأس لم يبطل في الثلج مطلقاً.

وفي أحد أعياد الميلاد عُرضت إحدى مسرحيات هانز ساخس\* أخرجها مدير المدرسة. وكانت مسرحية جيدة فكتبت عنها مقالاً نقدياً للجريدة المحلية قام مدير الفندق بترجمته. وفي سنة أخرى، حضر ضابط بحرية ألماني على رأسه الحليق آثار جروح لإلقاء محاضرة عن معركة جوتلاند\*. وكانت صور الفانوس السحري التي استعان بها في محاضراته تبين تحركات الأسطولين المتحاربين. وكان ضابط البحرية يستخدم عصا البليارد للإشارة إلى الصور حينما كان ينبه إلى جبن جاليكو\*، وكان غضبه يشتد أحياناً إلى درجة يتهذج معها صوته، بحيث خشي مدير المدرسة أن يخرق المحاضر الشاشة بعصا البليارد. وأخيراً لم يعد ضابط البحرية السابق قادراً على تهدئة روعه وشعر الجميع بشيء من الحرج في (فاين شتوبه)\*. وبعد ذلك، لم يشاركه الشرب سوى المدعي العام والمصرفي وكانا في طاولة منفصلة. ولم يحضر المحاضرة الهر لينت\*، الذي كان من الراين. واستمع إلى المحاضرة زوجان وصلا من فيينا للترنلج ولكنهما لم يشاءا أن يذهبا إلى الجبال العالية فتوجها إلى تسورز\* حيث قتلا في انهيار جليدي، كما سمعت. وقال الزوج إن المحاضر من الأوغاد الذين دمروا ألمانيا وسيعيدون فعلتهم بعد

عشرين عاماً. وقالت له المرأة التي معه بالفرنسية أن يسكت مضيفة أن ذلك مكان صغير ولا يدري أحد ما قد يحدث. وكانت تلك السنة هي التي قُتل فيها كثيرون بسبب الانهيارات الجليدية. وأول خسارة كبيرة وقعت في الجبال القريبة من وادينا في ليج\* في آرلبرغ\*، حينما وصلت مجموعة من الألمان للتزلج مع الهر لينت خلال عطلة عيد الميلاد. وكان تساقط الثلوج متأخراً ذلك العام ومنحدرات الثلل والجبال ما زالت دافئة بفعل الشمس عندما انهار جرف جليدي عظيم. فقد كان الجليد عميقاً وهشاً ولم يكن ملتصقاً بالأرض بتاتاً. وكانت ظروف التزلج على أسوء ما يكون ولهذا فإن الهر لينت أبرق إلى البرلينيّين ينصّحهم بعدم المجيء. ولكن كانت تلك الفترة عطلتهم وهم على جهل بالأوضاع ولم ينتابهم الخوف من الانهيارات الجليدية. ووصلوا إلى ليج ورفض الهر لينت أن يخرج معهم. وقد نعتّه أحدهم بالجبان ثم قالوا إنهم سيتزلجون وحدهم. وأخيراً أخذهم إلى أكثر المنحدرات أماناً استطاع أن يجده. وعبره أمامهم ثم تبعوه وفجأة انهار الثل الجليدي وغمرهم كما تغمر موجة مدّ عاتية السابحين في البحر. وأخرجوا منهم ثلاثة عشر، ومات التسعة الآخرون. ولم تكن مدرسة تزلج الألب مزدهرة قبل الحادثة، أما بعدها فأمسينا نحن الوحيديين فيها تقريباً. وأصبحنا طلاباً متخصصين في الانهيارات الجليدية، وأنواعها المختلفة، وكيفية تجنبها، وكيفية التصرف إذا فاجأك واحد منها، ومعظم ما كتبته في ذلك العام تم في وقت الانهيارات الجليدية.

الظلام والنجوم قريبة وشديدة اللمعان. وكان للحمّالين مزاليج قصيرة ويقومون بالتعامل مع الحمولات الثقيلة. وكنا نتنافس بعضنا مع بعض حول مَنْ يستطيع التسلق وهو ينقل أثقل الحمولات، ولكن لا أحد يستطيع التنافس مع الحمّالين، الذين كانوا من الفلاحين المربوعي القامة المكفهرى الوجوه والذين يتحشّون باللهجة المونتافية فقط، وكانوا يتسلقون بخطوات راسخة ثابتة مثل خيول محملة، وعندما يصلون إلى القمة حيث يوجد كوخ نادي الألب المبني على منحدر بجانب نهر جليدي تغطيه الثلوج، يضعون أثقالهم هناك بجانب حائط صخري للكوخ، ويطالبون بمبلغ أكثر من الثمن المتفق عليه، وعندما يحصلون على مبلغ وسط ينطلقون منحدرين على مزاليجهم مثل أقزام.

وكانت هناك فتاة ألمانية من أصدقائنا تنزلج معنا، وهي متزلجة رائعة، صغيرة وجميلة القوام، وبإمكانها أن تحمل حقيبة لوازم ثقيلة مثلي، ولمسافات أطول. وقالت لي ذات مرة: "إن هؤلاء الحمّالين ينظرون إلينا دائماً كما لو كانوا يتوقعون أن يحملوننا إلى الأسفل جثثاً هامدة. فهم يقررون ثمن التسلق ولكن لم أرهم مرة إلا وهم يطالبون بأكثر من الثمن المقرر.

وكنت في شرونز \* أطلق لحيني أثناء الشتاء اتقاء الشمس التي أحرقت وجهي بقساوة في أعالي الجليد ذات مرة، ولا أعياً بحلاقتها. وأخبرني الهر لينت ذات مساء وكنا ننزلج عائدين في ممرات الخطّابين أن الفلاحين الذين مررت بهم في تلك الطرق في شرونز يدعونني بـ ( المسيح الأسود). وقال إن بعضهم ممن

يأتي إلى ( فاين شتوبه ) \* يسمونني ب (المسيح الأسود الذي يشرب الكيرش). ولكن في نظر الفلاحين القاطنين في النهاية العليا القصوى من مونتافون \* حيث نستأجر الحمّالين للذهاب إلى مادلنر هاوس \*، كنا جميعاً بمثابة شياطين أجاناب تتوجه إلى الجبال العالية في وقت ينبغي أن يبتعد الناس عنها. ولم يكن انطلاقنا المبكر، قبل ضوء النهار لعبور أماكن الانهيارات التي تجعلها الشمس أخطر، ليحسن صورتنا في نظر أولئك الفلاحين. كان ذلك يبرهن فقط على أننا ماكرون مثل جميع الشياطين الأجاناب.

أتذكر رائحة أشجار الصنوبر، والنوم على فرش من أوراق أشجار الزان في أكواخ الحطّابين، والتزلج في الغابات على ممّرات الأرانب البرية والثعالب. وأتذكر أنني كنت أتعقب ذات مرة ثعلباً في الجبال العالية وراء خط الأشجار حتى استطعت رؤيته وراقبته وهو يقف رافعاً قدمه الأمامية اليمنى ثم يتحرك بحذر ليقف ثم يقفز، وفجأة ينتفض طائر ثرمجان مذعور خارجاً من الثلج ويحلق بعيداً فوق قمم الجبال.

أتذكر جميع أنواع الجليد التي تستطيع الريح صنعها ومخاطرها المختلفة عندما يكون المرء على المزالج. ثم هناك العواصف الثلجية التي كانت تهبّ ونحن في أكواخ الألب العالي، وتنشئ عالماً غريباً فيتوجّب علينا العودة بعناية وحذر كما لو كنا لم نعرف الطريق من قبل. والحقيقة هي أننا لم نكن نعرفه لأنه جديد كل الجدة. وأخيراً هنالك التزلج على الأنهار الجليدية



العظيمة المتجمدة قبيل الربيع التي كانت تنحدر باستقامة ونعومة، استقامة متواصلة إذا كان بإمكان سيقاننا التماسك، ولما كانت كواحلنا مثبتة فإننا ننزلج منحنيين إلى الأسفل لزيادة السرعة، ونحن نهبط أكثر فأكثر وفحيح المسحوق الثلجي الهش يطرق أسماعنا. كان التزلج أفضل من أي طيران ومن أي شيء آخر، ونمينا قدرتنا على التزلج وعلى التمتع به مع رحلات التسلق الطويلة ونحن محملون بالحقائب الثقيلة. فلم يكن بوسعنا أن ندفع لقاء رحلة إلى الأعالي ولا أن نشترى تذكرة إلى القمة. لقد عملنا من أجل هذه الغاية طوال الشتاء وقد أثمر عملنا.

وخلال سنتنا الأخيرة في الجبال حل أناس جدد في أعماق حياتنا ولم يعد هناك أي شيء كما كان عليه. فقد كان شتاء الانهيارات الجليدية بمثابة شتاء برئ سعيد من أيام الطفولة إذا ما قورن بالشتاء الذي تلاه، فهو شتاء حزين كابوسي متكرر في ثياب المرح الطافح، وأعقبه صيف قاتل، إذ صادف وصول الأغنياء إلى المنطقة ذلك العام.

وبيعت الأغنياء بنوع من الطعم قبل وصولهم، ويكون هذا الطعم أحياناً شخصاً أصم نوعاً ما أو أعمى شيئاً ما. ويتكلم الطعم هكذا: "حسن، إنني لا أعرف. لا طبعاً ليس حقيقة. ولكنني أحبهما. أحب كليهما. نعم، والله، يا هام. فأنا أحبهما. أرى ما تعني ولكنني أحبهما حقيقة، ولها جانبية خاصة (وينطق اسمها بطريقة محببة) لا، يا هام، لا تمزح ولا تكن صعباً. فأنا أحبهما

حقيقة. أقسم أنني أحب كليهما. وستحبه ( ويستعمل صيغة التصغير لاسمه) عندما تعرفه. وأنا أحبهما حقيقة."

وعندما يصل الأغنياء لا يبقى أي شيء كما كان. ويختفي الطعم طبعاً. فهو يذهب دائماً إلى مكان ما أو يأتي من مكان ما، ولا يبقى في أي مكان وقتاً طويلاً أبداً. وهو يلج السياسة أو المسرح ويغادر بنفس الطريقة التي كان يدخل فيها البلدان أو حياة الناس ويغادرها في شبابه. فهو لا يقبض عليه أبداً ولا يقبض عليه الأغنياء. لا شيء بمسكه، فقط أولئك الذين يتقون به يقبض عليهم ويقتلون. وله مران النغل وحب دفين للمال ينكره دائماً. ويصبح هو نفسه غنياً في آخر الأمر، فهو يتحرك بمقدار دولار إلى اليمين بعد كل دولار يربحه.

وهؤلاء الأغنياء كانوا يحبونه ويتقون به لأنه خجول، ومضحك، ومراوغ، ومجرب، ولأنه طعم لا يخبئ..

عندما يوجد شخصان يحب أحدهما الآخر، ويشعران بالسعادة، ويتمتعان بالمرح، ويعمل أحدهما أو كلاهما عملاً جيداً، فإن الناس ينجذبون إليهما كما تنجذب الطيور المهاجرة ليلاً إلى فئار قوي. فإذا كان الزوجان متراصتين بقوة كالفئار فلا ضرر هناك إلا ما يصيب الطيور. وأولئك الذين يجذبون الناس بسعادتهم ومنجزاتهم غالباً ما تعوزهم التجربة، فهم لا يعرفون كيف يتجاوزون العقبات وكيف يفلتون. وهم لا يعرفون حقيقة الغني المتفهم، الكريم، المحبوب، الطريف، الجذاب، الطيب، الذي لا تشوبه شائبة والذي يجعل من كل يوم مهرجاناً، والذي بعد أن

بأخذ ما يريد، يترك كل شيء هسيماً أكثر من أيّ عشب داسته  
حوافر خيول عطيل\*.

وصل الأغنياء يتقدمهم الطعم. ولم يكن بوسعهم المجيء قبل  
عام، فلم يكن هناك شيء مؤكّد آنذاك. فالعمل كان جيّداً والسعادة  
طافحة ولكن لم تُكتب رواية بعد، ولهذا لم يكن بإمكانهم التأكّد.  
وهم لا يهدرون وقتهم أو يبندون لطفهم على شيء ليس مؤكّداً.  
ولماذا؟ بيكاسو كان مؤكّداً، وحقق نجاحه طبعاً حتى قبل أن  
يسمعوا بالرسم. كانوا متأكّدين من رسام آخر، ومن عدد من  
الرسامين الآخرين. ولكنهم هذا العام كانوا متأكّدين، وقد وصلهم  
الخبر من الطعم الذي جاء معهم كذلك لئلا نشعر بأنهم غرباء،  
ولكيلا أكون صعباً. وكان الطعم صديقنا.

وكنت في تلك الأيام أثق بالطعم كما أثق بدائرة البحار  
وتخطيطاتها\* فيما يخص الاتجاهات الصحيحة للإبحار في البحر  
الأبيض المتوسط، أو كما أثق في جداول روزنامة براون  
للملاحة\*. وقد وثقت بكل غياب بهؤلاء الأغنياء كما يفعل كلب  
صيد يريد الخروج مع أي رجل يحمل بندقيّة، أو كما يفعل خنزير  
مدرّب في السيرك وقد وجد أخيراً شخصاً يحبّه ويقدره لذاته فقط.  
وعندما صار كل يوم كالمهرجان ظننت أنني اكتشفت شيئاً رائعاً،  
لدرجة أنني قرأت بصوت عال جزءاً من الرواية التي كتبتها،  
وهذا أسوأ شيء يمكن أن يفعله الكاتب وأكثر خطراً عليه من  
التزلّج على الأنهار الجليديّة بدون حبل قبل أن تغطي تساقطات  
الثلوج الشتائيّة شقوق تلك الأنهار وتصدعاتها.

وعندما قالوا: "إنها شيء عظيم، يا إرنست، عظيم حقاً. لا تستطيع أن تقف على ما فيها من روعة." كنت أحرك ذيلي فرحاً وأنغمس في مفهوم الحياة المهرجاني، آملاً استخلاص شيء منها بدلاً من أن أفكر: "إذا كان هؤلاء الأوغاد يحبون روايتي، فما الذي ينقصها؟" هذا ما كان يجب علي أن أفكر فيه لو كنت أتصرف بطريقة مهنية، على الرغم من أنني لو كنت أتصرف بصورة مهنية لما قرأت الرواية عليهم بناتاً.

وقبل مجيء هؤلاء الأغنياء، كان قد تسَلَّل إلينا شخص غني آخر مستخدماً أقدم حيلة معروفة. لقد كان ذلك الشخص الغني في صورة امرأة شابة غير متزوجة أصبحت بصورة مؤقتة صديقة حميمة لامرأة شابة أخرى متزوجة، وأخذت تعيش مع الزوج والزوجة، ثم وبصورة عفوية بريئة عملت بلا هوادة للاقتران بالزوج. وعندما يكون الزوج كاتباً ويقوم بعمل صعب يستغرق جل وقته ولا يستطيع أن يكون رفيقاً أو شريكاً جيداً لزوجته معظم اليوم، فإن ذلك الترتيب له فوائده حتى تترك الغرض منه. فالزوج تحيط به فتاتان جذابتان عندما ينتهي من عمله، وإحدهما غريبة وجديدة، وإذا كان سيئ الحظ فإنه سيحبهما معاً.

وبدلاً من أن تتألف العائلة من زوجين وطفلهما، فإنها تتألف من ثلاثة. يبدو الأمر في البداية مثيراً وممتعاً، ويستمر على هذا المنوال لمدة من الزمن. إن جميع الأمور الشريفة حقاً تبدأ من البراءة. وهكذا فأنت تعيش حياتك يوماً بعد آخر وتستمتع بما لديك ولا يساورك القلق. وتأخذ في الكذب، وتكره ما تفعل، ويدمرك

ذلك الوضع، ويمسى كل يوم أخطر من سابقه، ولكنك تعيش من يوم لآخر كما في الحرب.

كان من الضروري أن أغادر شرونز\* متوجّهاً إلى نيويورك لأمر يتعلّق بالناشرين. وبعد أن أنهيت مهمّتي في نيويورك وعدت إلى باريس كان من الواجب عليّ أن أسنقل أول قطار من محطة الشرق ليأخذني إلى النمسا. ولكن الفتاة التي أحبّها كانت في باريس آنذاك، فلم أسنقل أول قطار ولا الثاني ولا الثالث.

وعندما رأيت زوجتي مرة ثانية واقفة على الرصيف عندما توقّف القطار بجانب كومة من الأخشاب في المحطة، تمنيت لو كنت ميتاً قبل أن أحبّ امرأة غيرها. كانت تقف باسمّة، وقد غمرت الشمس وجهها الذي لوحتّه الثلوج وأشعة الشمس، وبرز قوامها الجميل، وشعرها الذي بدا أحمر ذهبياً قد طال خلال الشتاء وتبعثر بصورة جميلة، وكان السيد بومبي يقف معها أشقر ممثلاً، وله خدان متوردان فتبتّى مثل ولد من أولاد فورارلبرغ\* الطيّبين.

وقالت عندما ضممتها بين ذراعيّ: "آه، يا تاتي، لقد عدت بعد أن قمت برحلة ناجحة. أحبك وقد افتقدناك كثيراً." كنت أحبّها ولم أحبّ أيّ امرأة أخرى وقد أمضينا وقتاً جميلاً كلّ السحر عندما كنا وحيدين. فقد عملت جيّداً وقمنا برحلات رائعة، وظننت أنه سيصعب التفريق بيننا مرة أخرى، وبقينا متّحدين حتى غادرنا الجبال في أواخر الربيع وعدنا إلى باريس، فبدأ الشيء الآخر ثانية.

---

هذه نهاية الفصل الأول من باريس. وباريس لن تكون المدينة نفسها مرة أخرى على الرغم من أنها دائماً باريس، ونحن تغيّرنا كما تغيّرت. ولم نعد أبداً إلى فورارلبرغ كما أن الأغنياء لم يعودوا إليها.

ليس ثمة نهاية لباريس، وتختلف ذكريات كل شخص عاش فيها عن ذكريات الآخرين عنها. وكنا نعود دائماً إليها مهما كنا وكيفما تغيّرت وبأي صعوبة أو سهولة نصلها. فيباريس تستحق ذلك دائماً، وهي تمنحك مقابلاً لما تأتي به إليها. ولكن هكذا كانت باريس في الأيام الأولى عندما كنا فقراء جداً وسعداء جداً.



Hemingway's A Moveable Feast	الوليمة المتنقلة لهمنجواي
<u>Proper Nouns</u>	مسرد الأعلام
<u>Chapter 1</u>	الفصل الأول
1. Place St.-Michel	١. ميدان سان ميشيل
2. Place Contrescarpe	٢. ساحة كونتر إسكارب
3. Café des Amateurs 4. Rue	٣. مقهى الهواة
Mouffetard	٤. شارع موفتار
5. Rue Cardinal Lemoine	٥. شارع الكاردينال لوموان
6. Braque	٦. الرسام براك
7. Verlaine	٧. الشاعر فرلين
8. Lycée Henri Quatre	٨. مدرسة هنري كواتريه الثانوية
9. Michigan	٩. ميشيغان
10. Place du Pantheon	١٠. ساحة البانتيون
<u>Chapter 2</u>	الفصل الثاني
1. Miss Stein	١. الأنسة ستاين
2. Jardin du Luxembourg	٢. حدائق لكسمبورغ



3. Louvre	٣. متحف اللوفر
4. Jeu de Paume	٤. جي دي بوم
5. Cezannes	٥. سيزان
6. Manets	٦. مانيه
7. Monets	٧. مونيه
8. Rue Fleurus	٨. شارع فليروس
9. Fruulano	٩. فريولانو
10. Joan of Arc	١٠. جان دارك
11. Bouffe de Monvel	١١. بوتيه دي مونفل
12. Atlantic Monthly	١٢. مجلة أتلانتيك الشهرية
13. The Saturday Evening Post	١٣. جريدة ستردي إيفننغ بوست
14. Picassos	١٤. بيكاسو
15. Melanctha	١٥. ملاكتا
16. Ford Madox Ford	١٦. فورد مادوكس فورد
17. The Transatlantic Review	١٧. ذي ترانس أتلانتك رفيو
18. Kansas City	١٨. مدينة كنساس
19. Marsala	١٩. قتيحة مارسالا
20. Campari	٢٠. كمباري
21. Milan	٢١. ميلانو
22. Rue Vaugirard	٢٢. شارع فوجيرارد

Chapter 3	الفصل الثالث
1. Aldous Huxley	١. ألدوس هكسلي
2. D.H. Lawrence	٢. د. هـ. لورنس
3. Sylvia Beach	٣. سيلفيا بيتش
4. Marie Belloc Lowndes	٤. ماري بيلوك لاوندس
5. Jack the Ripper	٥. جاك السفاح
6. Enghien les Bains	٦. إنغين لي بان
7. Simenon	٧. سيمنون
8. Janet Flammer	٨. جانييت فلانر
9. Ronald Firbank	٩. رونالد فيربانك
10. Scott Fitzgerald	١٠. سكوت فيتزجيرالد
11. Sherwood Anderson	١١. شيرود أندرسون
12. Ezra Pound	١٢. عزرا باوند
13. Notre-Dame-des-Champs	١٣. شارع نوتردام دي شامب
14. Model T Ford	١٤. سيارة فورد تي
15. Marshal Ney	١٥. مارشال نبي
16. Gaulaincourt	١٦. الجنرال كولنكور
17. Apollinaire	١٧. الشاعر أبولينير
18. Guillaume	١٨. غيوم

<u>Chapter 4</u>	<u>الفصل الرابع</u>
1. Shakespeare and Company	١. شركة شكسبير
2. Rue de L Odeon	٢. شارع الأوديون
3. Turgenev	٣. ترجنيف
4. Constance Garnett	٤. كنستانس غرنيت
5. Dostoyevsky	٥. دوستيوفسكي
6. Michaud	٦. مطعم ميتشود
7. Larbaud	٧. لاربود
8. Joyce	٨. جويس
9. Rue de Seine	٩. شارع السين
10. Beaune	١٠. نبيذ البون
<u>Chapter 5</u>	<u>الفصل الخامس</u>
1. Ile St.-Louis	١. جزيرة سان لوي
2. Notre- Dame	٢. كاتدرائية نوتردام
3. Ile de la Cite	٣. جزيرة المدينة
4. Tour D Argent	٤. مطعم البرج الفضي
5. Quai des Grands Augustins	٥. رصيف غراند أوغستان
6. Hotel Voltaire	٦. فندق فولتير
7. Pont Neuf	٧. الجسر الجديد

8. Goujom	٨. الغجوم
9. Bas Meudon	٩. با مودون
10. La Peche Miraculeuse	١٠. مطعم الصيد العجيب
11. Muscadet	١١. الموسكات
12. Maupassant	١٢. موباسان
13. Sisle	١٣. سيسلي
14. Place du Verte Galentre	١٤. ساحة فيرت غالانت
15. Charenton	١٥. تشارنتون
16. Marne	١٦. نهر المارن
<b><u>Chapter 6</u></b>	<b><u>الفصل السادس</u></b>
1. Rue Descartes	١. شارع ديكارت
2. Auteuil	٢. حلبة أوتي
3. Chevre d Or	٣. الغنز الذهبي
4. Toronto paper	٤. جريدة تورنتو
5. San Siro	٥. سان سيرو
6. Pruniers	٦. مطعم برونير
7. Tuileries	٧. حدائق التويلري
8. Place de Concorde	٨. ميدان الكونكورد
9. Arc de Triomphe	٩. قوس النصر
10. Arc du Carrousel	١٠. قوس الكاروسل

11. Sermione	١١. السرميون
12. St. Bernard	١٢. سانت برنارد
13 Aosta	١٣. أوستا
14. Chink	١٤. تشنك
15. Biffi's in the Galleria	١٥. مطعم بيفي في الكلاريا
16. Stockalper	١٦. المستوكالبر
17. Rhone	١٧. الرون
18. Wisteria vine	١٨. كرمة الؤستاريا
19. Mrs Gangeswisch	١٩. أؤسيدة غانجسؤيش
20.Dent du Midi	٢٠. أؤنؤ دي ميدي
21. Mons	٢١. مونز
22. Sandhurst	٢٢. ساندهيرست
23. Cologne	٢٣. كولونيا
24. Michaud s	٢٤. مطعم ميتشو
25. Joyce	٢٥. جويس
26. Nora	٢٦. نؤرا
27. Georgio	٢٧. جورجيو
28. Lucia	٢٨. لؤسيا
<u>Chapter 7</u>	<u>الفصل السابع</u>
1. Mike Ward	١. مايك وارد

2. Rue des Italiens	٢. شارع الإيطاليين
3. Boulevard des Italiens	٣. جادة الإيطاليين
4. Square Louvois	٤. ساحة لوفوا
5. Stade Buffalo	٥. ملعب بوفالو
6. Montrouge	٦. مونتروغ
7. The Sioux	٧. السيوكس
8. Parc du Prince	٨. منتزه الأمير
9. Ganay	٩. غناي
<b>Chapter 8</b>	<b>الفصل الثامن</b>
1. Luxembourg museum	١. متحف اللكسمبورغ
2. Cézanne	٢. سيزان
3. Place St.-Sulpice	٣. ساحة سان سلبيس
4. Rue de l Odeon	٤. شارع الأوديون
5. Adrienne	٥. أدريان
6. Larbaud	٦. لاربود
7. Wedderkop	٧. ودركوب
8. Der Querschnitt	٨. در كيرشنت
9. Frankfurter Zeitung	٩. جريدة الأوقات الفرانكفورتية
10. The Transatlantic	١٠. ترانس أتلنتك

11. Lipp s	١١. مطعم ليبس
12. Distingué	١٢. الكأس المميز
13. Edward O Brien	١٣. أدورد براين
14. Lincoln Steffens	١٤. لنكولن ستيفنس
15. Rapallo	١٥. رالبالو
16. Cortina d Ampezzo	١٦. كورتينا أمبازو
17. Deux – Magots	١٧. مقهى القرين
18. Rue de Guynemer	١٨. شارع غتيمير
19. Rue d Assas	١٩. شارع آساس
20. Closerie des Lilas	٢٠. بستان الليلك
 <u>Chapter 9</u>	
1. Marshal Ney	١. المارشال نبي
2. Dome	٢. مقهى النقبة
3. Rotonde	٣. مقهى الطارمة
4. Boulevard Montparnass	٤. شارع مونپرناس
5. Boulevard Raspail	٥. شارع رسباي
6. Paul Fort	٦. بول فور
7. Blasie Cendrars	٧. بليز سنذرار
8. Ford Madox Ford	٨. فورد مادوكس فورد
9. Bal Musette	٩. مرقص المزممار

10. Ezra Pound	١٠. عزرا باوند
11. Ouida	١١. أويدا
12. Tauchnitz	١٢. طبعات توشنيتس
13. John Quinn	١٣. جون كوين
14. Myron Herrick	١٤. ميرون هيريك
15. Harry Hotspur	١٥. هاري هوتسبور
16. Trollope	١٦. ترولوبه
17. Fielding	١٧. فيلدنغ
18. Marlowe	١٨. مارلو
19. John Donne	١٩. جون دون
20. Paris- Sport complet	٢٠. البذلة الرياضية الباريسية
21. Aleister Crowley	٢١. أليستر كراولي
<u>Chapter 10</u>	<u>الفصل العاشر</u>
1. Petite Chaumiere	١. مقهى الكوخ الصغير
2. Hal	٢. هال
3. Mr. Bumby	٣. السيد بومبي
4. F. Puss	٤. القط ف. بوس



<u>Chapter 11</u>	<u>الفصل الحادي عشر</u>
1. Pascin	١. باسكين
2. Boulevard Montparnasse	٢. شارع مونپارناس
3. Negre de Toulouse	٣. مطعم زنجي تولوز
4. Mr. Lavigne	٤. السيد لافين
5. Cahors	٥. نبيذ كاهور
6. The Select	٦. مقهى النخبة
7. Harold Stearns	٧. هارولد ستيرنز
8. Rue Delambre	٨. شارع دلامبر
9. Chez Les Vikings	٩. مطعم الفايكنغ
10. Broadway	١٠. برودواي
<u>Chapter 12</u>	<u>الفصل الثاني عشر</u>
1. Dorothy	١. دورثي
2. Gaidoer-Brzeska	٢. غودبير-برزيسكا
3. Picabia	٣. بكابيا
4. T.S. Eliot	٤. ت. س. إليوت
5. Natalie Barney	٥. ناتالي بارني
6. The Dial Award	٦. جائزة الدايال
7. The Criterion	٧. المعيار

<u>Chapter 13</u>	<u>الفصل الثالث عشر</u>
1. Juan Gris	١. جوان غريس
<u>Chapter 14</u>	<u>الفصل الرابع عشر</u>
1. Ernest Walsh	١. إرنست والش
2. Harriet Monroe	٢. هاريت مونرو
3. Eddie Guest	٣. أدي غيست
4. Kipling	٤. كبلنغ
5. Scofield Thayer	٥. سكوفيلد ثاير
6. Marennes	٦. المارين
7. Portugaises	٧. البرتغالية
8. Pouilly Fuise	٨. بويلي فويضة
9. Tournedo	٩. شرائح التورتيدو
10. Chatreauneuf du Pape	١٠. شاتو نف دي باب
11. Dry Sherry	١١. الشيري الجاف
<u>Chapter 15</u>	<u>الفصل الخامس عشر</u>
1. Evan Shipman	١. إيفان شيمان
2. Turgenev	٢. تورجنيف

3. Gogol	٣. غوغل
4. Tolstoi	٤. تولستوي
5. Chekov	٥. تشيخوف
6. Katherine Mansfield	٦. كاترين مانسفيلد
7. Dostoyevsky	٧. ديستوفيسكي
8. Brady	٨. برادي
9. Stephen Crane	٩. ستيفن كرين
10. Chartreuse de Parme by Stenūhal	١٠. راهبة بارم لستندال
11. Boulevard Arago	١١. شارع أراغو
12. Bal Bullier	١٢. مرقص بولبير
13. Maseppa	١٣. المازبا
14. Porte d Orleans	١٤. باب أورليان
15. Schruns	١٥. شرونز
16. Trollope	١٦. ترولبه
17. Tauchnitz	١٧. تاوشنتس
<u>Chapter 16</u>	<u>الفصل السادس عشر</u>
1. Ralph Cheever Dunning	١. رالف شيفر دوننج
2. Hole in the Wall bar	٢. حانة الثقب العتيق في الحائط

3. Terza riruce	٣. ترزا ريروسة
4. Dante	٤. دانتي
<u>Chapter 17</u>	<u>الفصل السابع عشر</u>
1. Scott Fitzgerald	١. سكوت فترزجيرالد
2. Dunc Chaplin	٢. دونك شايلان
3. Princeton	٣. برنستون
4. Dingo	٤. حانة دونغو
5. Zelda	٥. زيلدة
6. Renault	٦. الرونو
7. George Horace Lorimer	٧. جورج هوراس لوريمر
8. Maxwell Perkins	٨. ماكسويل باركنز
9. Rue de Tilsitt	٩. شارع تيلسيت
10. L'Etoile	١٠. ساحة النجمة
11. Dijon	١١. مدينة ديجون
12. Henry James	١٢. هنري جيمس
13. Great Gatsby	١٣. غاتسبي العظيم
14. Saturday Evening Post	١٤. بريد السبت المسائية
15. Boni and Liveright	١٥. بوني ولغرايت
16. Der Querschnitt	١٦. در كرشنت
17. This Quarter	١٧. مجلة هذا الفصل

18. Chalon-sur-Saone	١٨. شالون على نهر الساون
19. St.-Emilion	١٩. سان أميلون
20. A Sportsmans Sketches	٢٠. خطيطات رجل رياضي
21. Marseilles	٢١. مرسيليا
<u>Chapter 18</u>	<u>الفصل الثامن عشر</u>
1. Rue Tilsitt	١. شارع تلسيت
2. Montmartre	٢. مونمارتر
3. Lady Dina Marners	٣. دياتا مارنرز
4. Esterel	٤. جبال الأسترال
5. Cap d'Antibes	٥. راس عنقبيّة
6. Schruns in the Vorarlberg	٦. شرونز في فورارلبرغ
7. Max Parkins	٧. ماكس باركنز
8. Scribners	٨. دار سكرابينرز
9. Juan-les-Pins	٩. خوان لي بان
10. Hendaye	١٠. هونداي
11. MacLeishe	١١. مكليش
12. Murphy	١٢. ميرفي
13. Al Jolson	١٣. آل جولسون

### Chapter 19

1. Rue Jacob
2. Rue des Saints-Peres
3. Crillon
4. Baron von Blixen
5. Sir Samuel Baker
6. Blickie

### Chapter 20

1. Feldkirch
2. Liechtenstein
3. Bludenz
4. Taube
5. Lindauer-Hutte
6. Madlener-haus
7. Tchagguns
8. Silvretta
9. Klosters
10. Walther Lent
11. Cortina d'Ampezzo

### الفصل التاسع عشر

١. شارع يعقوب
٢. شارع دي سان بيريز
٣. الكريون
٤. البارون فون بلكس
٥. صموئيل بيكر
٦. بليكي

### الفصل العشرون

١. فيلدكرش
٢. لايتنشتاين
٣. بلدنز
٤. تاويه
٥. لنداور-هتة
٦. مادلنر-هاوس
٧. قرية تشاغونز
٨. سيلفرتيا
٩. كلوسترز
١٠. والتر لنت
١١. كورتينا دامبيزو

12. Enzian Schmapps	١٢. إنزبان شنابز
13. Gentian	١٣. الجنطانيا
14. Herr Nels	١٤. السيد نيلس
15. Herr Lent	١٥. السيد لينت
16. Schnautz	١٦. الكلب شناوتز
17. Schruns	١٧. شرونز
18. Hans Sachs	١٨. هانز ساخس
19. Battle of Jutland	١٩. معركة جوتلاند
20. Jellicoe	٢٠. جاليكو
21. Zurs	٢١. تسورز
22. Weinstube	٢٢. فاين شتوبه
23. Montafon	٢٣. مونتافون
24. Attila	٢٤. عطيل

## الفهرس

- ١- مقهى جيد فى ساحة سان ميشيل ٣٥
- ٢- توجيهات الأنسة شتاين ٤٢
- ٣- الجيل الضائع ٥٥
- ٤- شركة شكسبير ٦٣
- ٥- أهل السين ٦٨
- ٦- ربيع زائف ٧٤
- ٧- نهاية هواية ٨٦
- ٨- الجوع تهذيب جيد ٩٣
- ٩- فورد مادوكس فورد ومريد الشيطان ١٠٤
- ١٠- ميلاد مدرسة جديدة ١١٤
- ١١- مع ياسين فى مقهى القبة ١٢٣
- ١٢- عزرا باوند وحبه للأدب ١٣١
- ١٣- نهاية غريبة حقاً ١٣٩
- ١٤- الرجل الموسوم بالموت ١٤٣
- ١٥- إيفان شبحان فى البستان ١٥٢
- ١٦- عميل الشر ١٦٢
- ١٧- سكوت فتزجيرالد ١٦٧
- ١٨- الصقور لا تتقاسم القريسة ٢٠٢
- ١٩- مسألة مقاييس ٢١٢
- ٢٠- لا نهاية لباريس مطلقاً ٢١٩



## علي القاسمي

- كاتب عراقي يقيم ويعمل في الرباط -- المغرب
- تلقى تعليمه في جامعات في العراق (جامعة بغداد)، ولبنان (الجامعة الأمريكية في بيروت وجامعة بيروت العربية)، وفرنسا (جامعة السوربون)، وبريطانيا (جامعة أكسفورد)، والولايات المتحدة الأمريكية (جامعة تكساس في أوستن).
- حاز على شهادة البكالوريوس (مرتبة الشرف) في الآداب، ويسانس في الحقوق، وماجستير في التربية، ودكتوراه الفلسفة في علم اللغة التطبيقي.
- عضو مراسل عن العراق في مجمع اللغة العربية بالغاورة.
- مارس التعليم الجامعي وعمل مديراً في المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالرباط، ومديراً للأمانة العامة لاتحاد جامعات العالم الإسلامي.
- يعمل حالياً مستشاراً في مكتب تنسيق التعريب بالرباط ومحرراً في مجلة المكتب "النسان العربي".
- له مؤلفات بالعربية والإنجليزية منها:
- \* عصفورة الأمير - قصة للفتيات والفتيان - (بيروت: مكتبة لبنان، ٢٠٠٥)
- \* دوائر الأحزان - قصص قصيرة - (القاهرة: دار ميريت، ٢٠٠٥)
- \* العراق في القلب: دراسات في حضارة العراق (بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٤)
- \* مفاهيم أشعل العربي (الدار البيضاء: دار الثقافة، ٢٠٠٤)
- \* مرافق على نشاطين الآخر - ترجمة - (بيروت: إفريقيا الشرق، ٢٠٠٣)
- \* رسالة إلى حبيبتني - قصص قصيرة (الدار البيضاء: دار الثقافة، ٢٠٠٣)
- \* صمت البحر - قصص قصيرة - (الدار البيضاء: دار الثقافة، ٢٠٠٣)
- \* المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق (بيروت: مكتبة لبنان، ٢٠٠٣)
- \* معجم الاستشهادات (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠١)

## منافذ بيع مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب

### مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق  
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب  
القاهرة - ت : ٢٥٧٧٥٣٦٧

### مكتبة ساقية

عبد المنعم الصاوي  
الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو  
من أبو الفدا - القاهرة

### مكتبة مركز الكتاب الدولي

٢٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة  
ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

### مكتبة المبتديان

١٣ ش المبتديان - السيدة زينب  
امام دار الهلال - القاهرة

### مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة  
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

### مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز  
ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨

### مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة  
ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

### مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة  
ت : ٣٥٧٢١٣١١

### مكتبة عرابي

٥ ميدان عرابي - التوفيقية - القاهرة  
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

### مكتبة جامعة القاهرة

بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعي -  
الجيزة

### مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة  
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

### مكتبة رادوييس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة  
مبنى سينما رادوييس

### مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

ت : ٣٥٨٥٠٢٩١

### مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

### مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

### مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

### مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب - جامعة المنيا - المنيا

### مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل ( ١ ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

### مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

### مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقاً

### مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

### مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

### مكتبة بورفؤاد

بحوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١ ، ١٤ - بورسعيد

### مكتبة المنصورة

٥ ش الثورة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

### مكتبة أسوان

السوق السياحي - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

### مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف





ان سوف تفتني صورة مشهورة في كتاب بنادول ولا سيما القصة العجايب والقصص العظيمة  
 التي تفتني الصورة عبر نصف بالكتاب والجميع مكتبة ، جميع تظهر بقايا المكتبة  
 التي اصحابها العصف وقدر انهارت ، فسقطت اركانها الفضية وتلاوت  
 وتخطت قطع اللغات وتناوت ، لكن روفها المنبثة على الشرف بقيت في  
 مكانها ، فحطفت وغلظها الكتب في عالم الهجرة . ان الميراث انما في وسط  
 الرمار والقصص ففت تلك شخصيات ، الشخصية القوية التي هي الكتب مزودة  
 والناشر غير يرها الوفاط ان عمر الكتب ، والناشر تعرف في كتاب مفتوح  
 لولا ان معنى الصورة تذكر ان الصورة ، بوصفها اعم من الصور والصور  
 القوية في ، هي التي تعبر طائر مودع في كل صور معالمة الحياة ، وتفتح  
 الحياة انما انما التوصل ، فالصورة تصور فمنا لما نحن ، وقصص  
 اورو لنا الحاضر ، وشحننا استشرافنا للمستقبل ، لنستغل  
 دورنا ونكوني ان نعرف لحواة الحياة .

سوزان مبارك



ISBN # 9789774211383

